الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الحاج لخضر– باتنة

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية و العلوم الإسلامية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة الفلسفة

إشكالية مستقبل العلاقة بين الحضارات
"زكي الميلاد نموذجا"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في فلسفة الحضارة

إعداد الطالبة:

* شبلي هجيرة

إشراف:

* أ.د عمراني عبد ا يد

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الدرجة العلمية	الصفة	الجامعة
العربي فرحاتي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة الحاج لخضر باتنة
عبد ا يد عمراني	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة الحاج لخضر باتنة
موسى معيرش	أستاذ التعليم العالي	عضوا	جامعة عباس لغرور خنشلة
رشيد باقة	أستاذ محاضر .أ.	عضوا	جامعةالحاج لخضر باتنة

السنة الجامعية: 2013/2012

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ".

صدق الله العظيم

سورة الحجرات: الآية 13

الإهداء

إلـــى أميرتـــي

الأميـــرة: هبـــة الله رفيـــدة

والأميـــــــــرة آلاء الرحمـــان إكـــــــــرام

أستسمحهما على تقصيري في حقهما و في ما انتقصت من وقتهما

حفظهما الله - تعالى-

شكر وعرفان

أتقدم بخالص شكري وامتناني الكبير

إلى الأستاذ الدكتور:"زكي الميلاد" على تعامله الراقي معي وحسن تواصله وسعة صبره و على مساعدته القيمة وتزويدي بمختلف المصادر، والإرشادات العلمية والمنهجية التي استفدت منها كثيرا في إنجاز هذه الرسالة.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي خلقني وأكرمني بنعمة العقل والإسلام.

والحمد لله الذي أنار لي درب العلم والمعرفة وأعانني على أداء هذا الواجب ووفقني إلى إنجاز هذا العمل.

يشرفني أن أتقدم بالشكر والتقدير للأستاذ الدكتور الفاضل: عبد المجيد عمراني الذي لم يبخل عليّ بتوجيهاته التي كانت عونا في إتمام هذا البحث.

خطة البحث

أ – روجيه غارودي .

ب – محمد خاتمي .

3 – نقد زكي الميلاد لنظرية حوار الحضارات

نتائج الفصل الثاني

الفصل الثالث : من العولمة إلى تعارف الحضارات

مدخل :

المبحث الأول: من العولمة إلى العالمية

1 – قراءة في مقولة نهاية التاريخ

2 – نقد فوكوياما

3 – الفرق بين العولمة و العالمية

المبحث الثاني: في مفهوم تعارف الحضارات

1 – تعريف فكرة تعارف الحضارات

2 – أسس مفهوم تعارف الحضارات عند زكي الميلاد

3 – مفهوم تعارف الحضارات و الأنساق المعرفية

المبحث الثالث:نظرية تعارف الحضارات

1 – المميزات و المرتكزات

2 – بواعث و أهداف تعارف الحضارات

3 – نظرية تعارف الحضارات: الصعوبات و التحديات

4 – نقد وتقييم لنظرية تعارف الحضارت

نتائج الفصل الثالث

خاتمة

قائمة المصادر و المراجع

ملحق

فهرس الموضوعات

مقدمة :

تنصبّ هذه الدراسة أساسا على موضوع متلازم مع فلسفة الحضارة، فهو يتناول البحث في شكل من أشكال العلاقات بين الحضارات لبلوغ مستوى لائق من التعايش الثقافي والحضاري، و هي بذلك مسألة شائكة ومعقدة تقوم بوصف حركية المجتمع في سيرورته التاريخية تقدما أو تخلفا، و لعلّ ما يزيد المسألة تعقيدا هو اختلاف طروحات المفكرين المهتمين بالشؤون الحضارية نتيجة الاختلاف الحاصل في المرجعيات الفكرية لكل مفكر، لاسيما ونحن نعيش في عالم اجتاحته وسائل التكنولوجيا والاتصال وحوّلته إلى شبه قرية صغيرة كونية تختزل فيها الحدود الطبيعية و السياسية، و تخترق الهويات الثقافية والحضارية.

في ظل هذه المتغيرات الجديدة برزت أطروحات متعددة ومختلفة حاولت رسم صورة العلاقة بين الحضارات خاصةً بعد أن حسم الصراع الإيديولوجي بين الشيوعية والليبرالية لصالح هذه الأخيرة، وهي متغيرات امتدت تأثيراتها على أحوال العالم الإسلامي وانعكست سلبا على أوضاعه وعمقت من تبعيته وتخلفه.

تتسع دائرة النقاش أكثر بتصاعد دعوات متباينة منها ما يدعو إلى حضارة إنسانية واحدة، وهي دعوة لا تخلو من النقد كونها تكرس التبعية الحضارية بسعيها إلى صهر الحضارات الإنسانية المختلفة في قالب الحضارة الغربية (الأمريكية)نظرا لما تمتلكه من عناصر القوة بمختلف مستوياتها،مما شكل أكبر تهديد على الخصوصيات الحضارية والثقافية لحضارات الشرق(عموما)،و بين داعٍ لحضارات متباينة في ظل تصور التنوع والاختلاف.

في خضم هذه الدعوات سارع الغرب –تحيزا لمركزيته– إلى صياغة جملة من النظريات التي تردد صداها في أرجاء العالم سياسيا وفكريا مثل أطروحة هنتغتون عن صدام الحضارات ومقولة نهاية التاريخ عند فوكوياما،و هي دعوة ترمي إلى أن يسود العالم حضارة واحدة مهيمنة في معالم التاريخ الحضاري للإنسانية، وهو الوجه الحقيقي للعولمة المقنعة.

في المقابل تصاعدت الدعوة إلى حوار الحضارات استنادا إلى القواسم المشتركة بينها أملا في أن يعود ذلك بالخير والمنفعة على البشرية جمعاء.

وهي دعوات أقحم فيها الطرف الإسلامي بحكم الرؤية المغلوطة والمشوهة المتشكلة عنه في الأذهان والمبنية على أساطير ومخاوف تقليدية وحالة عدائية شاملة ترفدها صراعات دينية عرقية عسكرية واقتصادية وغيرها.

بالإضافة إلى توصيف العالم الإسلامي بالجمود والتخلف والسلبية والعنف وكل ذلك لأن "الخطاب الغربي يؤسس العلاقة مع عالم الإسلام على أساس هيمنة الغرب وتبعية العالم الإسلامي والتحذير من المشاركة بمفهومها الواسع " [1]

في هذا الصدد حاول المفكر والباحث السعودي المعاصر زكي الميلاد التصدّي لمثل هذه الدعوات وإبراز ما فيها من ثغرات وما انطوت عليه من مغالطات واختزال للمسلمات تغطية للحقيقة والبيانات، حيث قدّم مساهمة فكرية رائدة تجلت في سلسلة دراسات وقراءات ونقد ومراجعات،حاول من ورائها إيجاد مخرج يعالج إشكالية مستقبل العلاقة بين الحضارات من خلال رصد محور العلاقة مع الآخر انطلاقا من خصوصيات الحضارة الإسلامية، حيث تجلى بوضوح أن هذه العلاقة تقوم على أساس إما معرفة الآخر أو الجهل به، من هنا جاءت نظرية تعارف الحضارات،و المستنبطة من القرآن الكريم * لترسم طريقا لمستقبلنا الحضاري المشترك، حيث انفرد الميلاد بطرح خاص جدير بالدراسة والتحليل والاهتمام وهو ما يعزز من قيمة الموضوع.

أهمية الموضوع :تستمد هذه الدراسة أهميتها من خلال:

-أن موضوع العلاقة بين الحضارات من القضايا الحساسة والمعقّدة التي يتداخل فيها الجانب العقائدي مع ما هو حضاري وثقافي، ويتشابك فيها الاقتصادي مع السياسي وحتى الإيديولوجي أحيانا أخرى، وهي أيضا من القضايا الراهنة التي ما تزال تثير نقاشات حادة في أوساط النخب الفكرية على الصعيدين العربي والغربي وفي المحصلة فإنه لم يتم الفصل فيها بشكل نهائي.

[1] – زكي الميلاد ، تركي علي الربيعو ، الإسلام و الغرب الحاضر و المستقبل، (حوار لقرن جديد) (دمشق: دار الفكر ، ط2 ، 2001) ، ص 8 .

* – قوله تعالى : " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا " (سورة الحجرات ، الآية 13) .

-إن أهمية دراسة واقع العلاقة بين الحضارات يتجلى في كونه يساهم في بناء تصور مستقبلي فعّال لتجاوز إشكالية الصدام بين الغرب والإسلام،كما يسمح لنا بتعامل حضاري راق و إيجابي مع الآخر استنادا إلى منظومتنا الفكرية الإسلامية، لأن الحضارة الإسلامية بالتحديد أمر آخذ بالظهور والانتشار في الدراسات المعاصرة سواء عند المسلمين أو حتى عند غيرهم، فالقرآن الكريم الذي شكل محور هذه الحضارة يعتبر بمثابة دستور للبشرية،بوصفه قانونا شرعيا نزّل من لدن إله عليم خبير فهو صالح لكل زمان ومكان، فقد تضمَن كل ما يحتاجه البشر سواء ورد ذلك نصا صريحا أو إشارة أو مفهوما ، و هنا تبرز أهمية أطروحة التعارف المستنبطة من كلام الله-تعالى-.

-فضلا عن أن مثل هذه الأطروحات هو من أشد ما تحتاجه أمتنا اليوم أكثر من أي وقت مضى لاسيما في أعقاب الحملات المسعورة والمحمومة التي تشنها وسائل الإعلام والدعاية المعادية للإسلام لنخرج للعالم أمة وسطا تحترم خصوصية الآخر و تجادل بالتي هي أحسن.

أسباب اختيار الموضوع: على العموم فإن أسباب اختيار الموضوع ترجع إلى جملة من الأسباب ذاتية وأخرى موضوعية نجملها فيما يلي:

- بالنظر إلى المساهمين في طرح قضية العلاقة بين الحضارات، نجد أن هذا الموضوع قد أسهم في تناوله بشكل بارز المفكرون والبحاثة الغربيون، ويظهر ذلك بوضوح في نموذجي: الصراع والحوار الحضاري اللذين انبثقا من قيم غربية الأصل، لهذا كان لابد من هندسة نموذج ينبثق من قيم غير غربية و إسلامية على وجه التحديد.
- الرغبة في تجاوز ثنائية الصدام والحوار والحدّ من تراكم السّجال الفكري حولهما للانتقال إلى رؤية ثالثة مغايرة تجنبنا سلبيات الصدام و تعزز إيجابيات الحوار عبر قيم التعارف.

- فضلا عن ذلك ما تزخر به أقطارنا العربية من نماذج فكرية فذّة جديرة بالدراسة أمثال زكي الميلاد، و هنا يتبادر إلى الأذهان السؤال التالي:

لماذا زكي الميلاد نموذجا ؟

لقد وقع اختياري لنموذج زكي الميلاد تحديدا نظرا لجملة من الأسباب نذكر منها:

أولا:يعدّ زكي الميلاد أحد أكثر الكتاب مساهمة في المجال العربي بنشر كتابات و مقالات ودراسات جادة حول فكرة الحضارة و حوار الحضارات و صدام الحضارات و ما يدور في هذا الفلك.

ثانيا:إن زكي الميلاد صاحب نظرية في المجال الحضاري و هي نظرية تعارف الحضارات والتي سيرد الحديث عنها في الفصل الثالث من هذه الرسالة بوصفها أنضج نظرية بإمكانها أن ترسم طريقا لمستقبل العلاقة بين الحضارات، وسوف نكشف لاحقا القيمة الكبيرة لهذه النظرية، وما يمكن أن تقدمه لنا ولمستقبلنا الحضاري، و هي النظرية التي جعلتني أختار زكي الميلاد نموذجا.

ثالثا: يصنف زكي الميلاد نفسه من خلال كتاباته ومؤلفاته ومواقفه في تيار المنحى الحضاري، في ساحة الفكر الإسلامي المعاصر، وهو التيار الذي أعطى قيمة كبيرة لفكرة الحضارة وللمسألة الحضارية.

رابعا: إن زكي الميلاد من الأسماء الجديدة الصاعدة و غير المستهلكة، وله تجربة فكرية ثرية وفاعلة، فهو يرأس مجلة فكرية رائدة (الكلمة) مضى عليها أكثر من سبعة عشر سنة، أما على مستوى المؤلفات فله رصيد يزيد على ثلاثين مؤلفا .

خامسا: يضاف إلى ذلك فإن زكي الميلاد أحد الذين تربطهم صلة فكرية بالمفكر الجزائري مالك بن نبي وألف كتابا مبكرا عنه بعنوان "مالك بن نبي ومشكلات الحضارة "،وكتب عنه فصولا ودراسات ومقالات أخرى، وقدّم لكتاب" التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي " للباحث الجزائري الطاهر سعود.

لهذه الأسباب تصورت أنه من واجبنا تقدير ما يطرح في الساحة الفكرية من دراسات جادة في الفكر الإسلامي عموما و العربي منه على وجه الخصوص.

الهدف من الدراسة : من جملة الأسباب السابقة الذكر، تبلورت أهداف الدراسة كالتالي :

- إضافة لبنة في مجال البحوث الأكاديمية تساهم في إثراء جانب من الجوانب القيمة المتعلقة بالفلسفة عموما و بمجال فلسفة الحضارة خصوصا.

-تحقيق قراءة علمية حول مسيرة الميلاد الفكرية و تنظيم أفكاره المتعلقة بمجال المسألة الحضارية حتى يتبين وجه تميزها عن غيرها.

-تحديد طبيعة تصور الميلاد للعلاقة بين الحضارات السائدة وكيف تعامل معها لتكوين منظور عربي إسلامي قادر على احتواء و تهذيب التناقضات لتحديد كيفية التعامل مع الآخر الحضاري بالطرق الإيجابية من خلال الانفتاح على ثقافته،كما أن هذا لا يعني إلغاءها أو الذوبان فيها، والتقوقع والانعزال عنها، و في نفس الوقت نشر ثقافة موسعة عن قيمنا الحضارية وفي مقدمتها التسامح والسلم و التعاون للقضاء على مختلف رواسب صور الجهل المتبادل بين الطرفين.

- كشف مدى مراعاة الطرح الإسلامي الأصيل للخصوصيات الثقافية لدى الحضارات الأخرى في إطار الدعوة للتعارف الحضاري لتحقيق مستقبل ذو وجه إنساني عالمي عبر نشر الوعي بقيم التعارف لترميم الشرخ والتصدع العظيم الذي أصاب العلاقات الحضارية.

-التأكيد على إمكانية تحقيق التعايش السلمي دون نزاع في ظل التنوع والتعدد الثقافي، لتعميم تبادل المنافع والإبداعات، لأن الإبداع ليس حكرا على شعب دون آخر وفي المحصلة لأن الحضارة هي ثمرة سلسلة نتاج بشري مشترك.

خطوات الدراسة:توخيا لتحقيق الأهداف السابقة تم تقسيم مادة البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول و في الأخير خاتمة.

- **المقدمة:**تضمنت أساسا أهمية و أسباب اختيار الموضوع والإشكالية التي يطرحها والهدف من البحث، مع تقسيم الدراسة و المنهج العلمي المتبع في ذلك.

- **الفصل الأول:**تمّ افتتاح الفصل الأول بتناول السيرة الذاتية لزكي الميلاد مع تركيزنا على مساهمته الفكرية، كما اختص بضبط المفاهيم الرئيسية لتحديد المعالم الأساسية التي ينبني عليها فكر زكي الميلاد والمتمثلة في جملة من المفاهيم ذات المرجعية التراثية الثقافية الحضارية الإسلامية، إن التشبع بهذه المرجعية قد ألهم الميلاد استنباط نظرية جديدة في

مقابل ما طرح من نظريات غربية حاولت تفسير نمط العلاقات الحضارية، وذلك تخطيطا للمستقبل و استشراف مسارات القرن الحادي و العشرين.

- تمحور أوّل مبحث حول تحديد مفهوم الحضارة في اللغة، ثم الوقوف عند استعمالات هذا المصطلح في السياقين العربي والغربي، ثم تلاها تحديد مفهوم الحضارة عند زكي الميلاد حيث قدّم لنا مفهوما جديدا لها تجاوز من خلاله المعنى اللغوي المتكرر في المعاجم والقواميس من خلال إبراز الحضارة كمفهوم متميز له من الدلالة و الفعالية ما يسمو به إلى الممارسة والحضور الفعّال المواكب لروح العصر وتطوراته و متغيراته.

- جاء المبحث الثاني ليوضح معنى الثقافة عند الميلاد على وجه الخصوص باعتبارها معلما من معالم الصراع الحضاري الحالي من جهة، و باعتبارها أحد أهم المعاني المتقاطعة مع مدلول الحضارة عند بعض المفكرين من جهة أخرى، و هنا أيضا يبرز تشبع الميلاد بالفكر و بالثقافة الإسلامية، حيث استنبط لنا مفهوما جديدا للثقافة استلهمه من عملية الحفر المعرفي لمعاني الثقافة الواردة في معاجم وقواميس اللغة العربية، و في بعض الآيات من القرآن الكريم .اكتفينا نحن في رسالتنا ببعض النماذج لأسباب منهجية بحتة، من هنا كانت الثقافة عنده طاقة روحية أخلاقية تمثل شحنة كامنة تمكّن الأمة من النهوض والتقدم.

- أما المبحث الثالث فقد تعرض إلى المسألة الحضارية التي تدخل في عمق الاهتمامات الفكرية عند زكي الميلاد، فهي تعكس منظور الرؤية للمشكلات الحضارية بهدف إيجاد حلول ممكنة تتلاءم مع التغيرات العالمية دون الانقطاع عن الماضي والاستفادة من عثراته، لهذا كانت الحاجة ماسة لصياغة مشروع حضاري إسلامي معاصر قادر على جمع شتات الأمة بهدف التخلص من آثار التخلف والخروج من هيمنة النموذج الغربي، و ذلك دون إقصاء أو إلغاء للغير، و إنما من خلال تكوين وعي عالمي له خاصية التواصل مع العالم على كافة الأصعدة و المستويات لمواجهة مختلف التحديات.

- أما **الفصل الثاني** فقد اشتمل على مبحثين أساسيين:

-المبحث الأول: تطرق إلى معنى الصدام وخصائصه نظرا لتشابك استعماله مع مفاهيم أخرى كالتراع والصراع، ثم تعرض إلى تحليل أطروحة صدام الحضارات عند أبرز دعاقما باعتبارها من أهم النظريات الغربية التي أسالت حبر الكثير من المفكرين، كونها حاولت أن تقدّم تفسيرا مركبا وكليا لتحولات السياسة العالمية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة. بالإضافة إلى الإشارة إلى نماذج فكرية أخرى سبقت هنتغتون في طرح فكرة الصدام، لذا عرجنا على فكرة الصدام في المجال الغربي عند المستشرق برنارد لويس بوصفه الأب الروحي لهنتغتون، الذي برّر جذور السخط الإسلامي على أنه ليس شيئا أقل من صراع الحضارات، أما في المجال العربي فقد تناولنا الباحث المهدي المنجرة الذي اعتبر نفسه المنظر الأول لحرب الحضارات أو صدام الحضارات .ثم أعقبنا ذلك التحليل بنقد هذه الرؤى : ليس بقصد توسيع دائرة السجال حولها،و إنما لبيان المغالطات التي بنيت عليها، والأهداف المدسوسة والضمنية التي تلمح إليها وترمي إلى إيحائها وتغلغلها في الأذهان ليقبلها ويتبناها الرأي العام .

-أما المبحث الثاني: فتناول أطروحة "حوار الحضارات" بوصفها الخطاب المقابل للصدام وهو مطلب أخلاقي ضروري يحقق التعاون الفعّال و الإيجابي بين بني البشر مما يؤدي إلى تجنب الصدام، وتجسّد هذا المطلب بشكل بارز في الفكر الغربي عند المفكر روجيه غارودي، حيث طرحه في شكل مشروع مستقبلي أملا في أن يدفع بالغرب لتبني منظور مغاير للتعامل مع الأمم غير الغربية والاعتراف بإسهاماتها والاستفادة من منجزاتها على أساس الشراكة الحضارية. بينما في المجال العربي تجسدت مقولة حوار الحضارات عند محمد خاتمي و هي تمثل عنده بديلا معاصرا في مقابل الأساس التقليدي المتمثل في منطق القوة و الغلبة والهيمنة.كما عرجنا على أحداث 11 سبتمبر 2001 التي مثّلت منعطفا تاريخيا حاسما انعكس بالسلب على جملة المكتسبات وقضى على الطموحات التي حملها القرن الحادي والعشرين، حيث شكّل الحدث عائقا في مسار الحوار مما أتاح الفرصة للغرب من أن يروج لمفهوم الإرهاب وإعلان العداء ضد الإسلام ليبقى السؤال معلقا على أي أساس تبنى العلاقات بين الحضارات هل على أساس الصراع أم الحوار ؟

-أما **الفصل الثالث** فاشتمل على ثلاث مباحث رئيسية متكاملة :

-حيث كان المبحث الأول منه بمثابة الأرضية التي ساهمت في التأسيس لفكرة تعارف الحضارات، حيث تناول هذا المبحث أساسا قراءة في نظرية العولمة باعتبارها الوجه الآخر من خطاب الهيمنة الغربية سواء كما رسمتها مقولة فوكوياما المبشرة بانتصار الليبرالية— النموذج الأمريكي الأوحد — أو في ظل هذا التصور الجديد الذي راج وفرض نفسه بقوة على الحياة المعاصرة في جميع مستوياتها لتوحيد الهوية وإلغاء التمايزات المختلفة، فكريا، علميا،سياسيا،اقتصاديا،ثقافيا،إعلاميا،تربويا، لذا كان لزاما على الفكر الإسلامي التصدي لقهرها حفاظا على هويته الحضارية واحتراما للتنوع الثقافي للأمم و الشعوب الأخرى، و هنا يبرز الفكر النقدي البناء والرؤية الفكرية الثقافية والبعد النظري الواعي الخلاق الذي جسّده الميلاد في ضرورة ابتكار عولمة بديلة أكثر إيجابا وانفتاحا وتواصلا وهو ما تجسّده الرسالة الإسلامية بوصفها دعوة عالمية قوامها السّلم والتعاون والتعارف.

-بناءً على ذلك جاء المبحث الثاني من هذا الفصل ليبلور معالم فكرة تعارف الحضارات التي تنطلق من قاعدة أن تعدد أو انبعاث حضارات جديدة لا يفترض أن يؤدي إلى صدام بينها وبذلك يتسنى لنا أن نطور مستويات الفهم في النظر إلى عالم الحضارات، لأن كل حضارة تشتكي من أن الصورة المتشكلة حولها في أذهان الآخرين صورة مغلوطة أو مشوهة أو سطحية لذلك كانت الحاجة ملحة لقيام التعارف، كما تضمن هذا المبحث تحليلا لجملة الأسس التي استند إليها الميلاد في تأسيسه لمفهوم التعارف، انطلاقا من نقد المقولات السائدة.

تماشيا مع المسألة الحضارية التي تقتضي مواكبة العصر ومتغيراته وتحاول إيجاد حل إسلامي أصيل وهو ما عبّرت عنه الآية الثالثة عشر من سورة الحجرات والتي أطلق عليها فيما بعد آية التعارف، ومن ثمة خرج هذا الطرح إلى الساحة التداولية، فمصطلح التعارف شكّل مخرج مفاهيمي يبرز أصالة و خصوصية الحضارة الإسلامية، و هو مفهوم فيما يرى الميلاد يقترب في نسق معرفي متجاور مع مفهوم التواصل عند هابرماس.

-أما المبحث الثالث فهو يشكّل جوهر هذه الرسالة إلى جانب المبحث الثاني، فقد جاء لتسليط الضوء على نظرية التعارف مبرزا مميزاتها كونها نظرية تأسيسية (إنشائية) جاءت

لإنشاء شكل العلاقات المفترض بين الشعوب و الأمم كما يجوز لنا سحب و تعميم هذا التوصيف على مستوى الحضارات.كما حدّد الميلاد مرتكزات هذه النظرية بطريقتين، الأولى: تحليلية، و فيها درس الآية في مكوناتها التجزيئية ، و الثانية: تركيبية ، أوردها في شكل مستخلصات عامة للوقوف عند عناصر الآية ومكونات مفهوم تعارف الحضارات، كما اشتمل هذا المبحث على بواعث التعارف والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها حتى يخرج العالم من هيمنة النموذج المتطور الوحيد ويعرف العالم تجربة التعددية الحضارية و تطوى صفحة الصراع و الصدام لتفسح المجال لنشر منطق التعايش والتعاون و التسامح و التعارف.كما عرجنا على جملة العوائق والصعوبات التي تقف في وجه هذه النظرية، حتى يتم تجاوزها فإن الأمر يستوجب تظافر جهود المؤمنين بقدرة التعارف على مد جسور التواصل والعمل على تذليلها توخيا لتحقيق الأهداف المرجوة. وكما هو معلوم أن النقد هو سمة كل عمل فلسفي، لذا عمدت إلى نقد نظرية التعارف، و الذي تضمن في الحقيقة تأييدا لهذه النظرية في أوساط النخب الفكرية التي قابلت هذا الطرح بالترحيب، ومن ثمة عقدت حول هذه النظرية العديد من الدراسات والنقاشات والمؤتمرات و الندوات الداعية إلى تفعيله.

-أما **الخاتمة**:ففيها عرض لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة في سياق الإجابة عن الإشكالية المعالجة مع التوصيات.

-ثم أخيرا ذيلنا البحث بقائمة للمصادر راعينا فيها الترتيب الزمني، أما المراجع المعتمدة في البحث فقد رتبت حسب الترتيب الهجائي للحروف العربية كما تم وضع فهرست للعناوين و الموضوعات التي شملها البحث.

المصادر المعتمدة :

و قد اعتمدت في معالجة هذه الدراسة على جملة من المصادر الأساسية و التي يأتي في مقدمتها كتاب " المسألة الحضارية " في طبعته الثانية الصادرة سنة 2008، و هو المؤلَّف الذي بسط فيه الميلاد نظرية تعارف الحضارات، و هو بدوره يقرّ بأنه من أشهر مؤلفاته التي عُرف بها في الأوساط الفكرية .

نقد الدراسات السابقة :

هناك دراسة سابقة ذات صلة بالموضوع تتمثل في رسالة ماجستير في الفلسفة بعنوان " تعارف الحضارات الأطروحة البديل في التعامل مع الآخر " قدمها الأستاذ الباحث علي عبود مالك المحمداوي بالعراق كلية الآداب، حيث أبرز المعوقات التي تقف بالضد من مشروع التعارف والمتمثلة في الأصولية و العولمة و التي لا تقبل الآخر، و تعتقد بامتلاكها للفكر الواحد و النموذج المطلق للحق، و لحل هذا العائق جاءت " فكرة التسامح " كأحد الأدوات التي يجب تفعيلها في منهجية التعارف و هي دعوة إسلامية و إنسانية . [2]

و نحن بدورنا نحاول من وراء هذه الدراسة المقدمة تكملة الجهود العلمية السابقة لفتح آفاق مجال البحث في نظرية التعارف للاستفادة من معطيات العولمة و إفرازاتها، التي ترمي إلى تنميط معالم ومظاهر الحياة المختلفة ضمن إطارها الكوني ضاربة عرض الحائط سيادة الدول وحدودها مخترقة الهوية الثقافية للمجتمعات الإنسانية، تطلعا إلى تظافر جهود مختلف النخب الفكرية لوضع الآليات التي يفتقر إليها التعارف حتى يتسنى لنا تفعيله والانتقال به من حيز التنظير الفكري إلى حيز التطبيق العملي.

إشكالية البحث:

ينصب هذا البحث على مراجعة المشهد العالمي وما حفل به من علاقات حضارية متعددة (من صراع و حوار و غيرهما)، في ظل انبعاث الأحادية الفكرية السائدة لدى الحضارة الغربية و انسداد مسالك التواصل بينها وبين بقية الثقافات الإنسانية المعاصرة وعلى رأسها الإرث الثقافي للحضارة الإسلامية . من هنا فإن هذا البحث يعالج الإشكالية التالية :

- إلى أيّ مدى ساهم الميلاد في ضبط تصوّر لتعارف الحضارات يتجاوز التعارض القائم بين مأزق الصّدام و منطق الحوار و يؤسس لعلاقات مستقبلية إيجابية بين الحضارات ؟

[2] - علي عبود مالك المحمداوي : تعارف الحضارات الأطروحة البديل في التعامل مع الآخر ، رسالة ماجستير في الفلسفة ، إشراف : نبيل رشاد سعيد ، جامعة بغداد ، 2007 ، ص ص 4 – 5 .

تعتمد الإجابة على هذه الإشكالية على البحث المتعمق في عدد من جوانب الموضوع و التي تثير عددا من الأسئلة الفرعية و هي:

- هل يمكن أن نراهن على مقدرة المسألة الحضارية على الرقي بمكتسبات الحضارة الإسلامية و تراثها القيمي بما يواكب تحولات العصر ؟
- إذا كان الصراع هو منطق الأقوياء و هو أحد أهم دعائم منظومة الغرب الفكرية، فكيف يمكن لنا أن نهذّب و نعقلن هذا المنطق لينصت لصوت الضعفاء ؟
- إذا كان الحوار مطلب إنساني و أخلاقي نبيل فكيف نفعل هذا المطلب في غياب شرط التكافؤ و الندية؟
- ماذا يمكن لنظرية التعارف أن تقدم في مجال العلاقة بين الحضارات ؟

منهج البحث :

لقد تحدّد منهج البحث المعتمد تبعا لطبيعة الموضوع المعالج ومن هذا المنطلق فقد اعتمدت إجمالا على المنهج التحليلي لتوضيح الخلفيات الفكرية التي ساهمت في بروز نظرية تعارف الحضارات و ذلك من خلال تحليل جملة المفاهيم التي راجت على إثر انتهاء الحرب الباردة و التي تمثلت تحديدا في مقولة نهاية التاريخ، العولمة، صراع الحضارات، حوار الحضارات بالإضافة إلى اعتماد هذا المنهج في بسط وتحليل مفهوم الحضارة والثقافة والمسألة الحضارية وكذا المشروع الإسلامي الحضاري المعاصر و فكرة التعارف حسب ما أوردها الميلاد، و ذلك بغية تحليل ما هو مركب إلى أجزائه و عناصره الأساسية حتى يتيح لنا معرفة جميع أبعاده و مدى تأثيرها في هذا الكل المركب لمعرفة شبكة المفاهيم الأساسية في مشروع زكي الميلاد الحضاري .

كما لا تخلو هذه الدراسة من آلية النقد الذي يعكس أهم خاصية للبحث الفلسفي، أيضا توخيا لتحقيق عنصر الموضوعية التي تنشدها العلوم الإنسانية في البحث العلمي لذا عمدت إلى نقد جل الأفكار و المفاهيم و الأطروحات الواردة بهدف تبيين ما فيها من صواب من جهة وبهدف التأسيس لبناء و توليد أفكار و مواقف جديدة من جهة أخرى .

صعوبات الدراسة :

إن رحلة الدراسة والبحث هذه لا تخلو من مشاق وصعوبات يمكن إجمالها في أسباب ذاتية وأخرى موضوعية :

أسباب ذاتية: تتمثل في الالتزامات الاجتماعية و المهنية كوني أشغل وظيفة أستاذة مادة الفلسفة بالطور الثانوي و منها الالتزامات العائلية اتجاه الأسرة على اعتبار أنني القائمة على شؤون البيت، بالإضافة إلى متطلبات البحث العلمي وما تقتضيه الرسالة من تفرغ.

أسباب موضوعية: لا شك أن محاولة البحث في مثل هذا الموضوع من قبل باحث مبتدئ لا تخلو من صعوبة، لاسيما و أن الموضوع يندرج ضمن القضايا الجديدة و المتجددة باستمرار والذي بات يطرح نفسه بقوة على الصعيدين العربي والغربي و أيضا بحكم حداثة النموذج الفكري " الميلاد " ، يمكن حصر هذه الصعوبات فيما يلي :

-غياب دراسات وكتب متخصصة حول الميلاد ونظريته للتعارف الحضاري أستعين بها باستثناء بعض البحوث والمقالات المبثوثة على الانترنت والتي تكرّر نفس المضامين تقريبا.

-تشعب الموضوع المدروس وترامي أطرافه،حيث يبدو للوهلة الأولى – للقارئ السطحي- أن موضوع التعارف فكرة بسيطة لكنها في الحقيقة هي نظرية تضرب بجذورها إلى عمق مختلف أنماط العلاقات الحضارية، لن الفكرة لها طابعان: نقدي ثم تأسيسي، وهنا يكمن وجه الصعوبة في فصل هذه النظرية عن خلفياتها ومرجعياتها المؤسسة لها، مما أوقعنا – في بعض الأحيان كما سيأتي – في التكرار لكنه تكرار وظيفي و منهجي الغرض منه التأكيد على السياق الذي وردت فيه و الغايات المرجوة .

-و يترتب على ذلك أن الميلاد في اللحظة الواحدة و في الموضوع الواحد يمارس التنظير والنقد و التحليل و التركيب و التأريخ و الفلسفة و غيرها بأسلوب سهل ممتنع لذا كان التعامل مع فكره صعب المراس و يحتاج إلى جهد كبير من التفكير و الإحاطة بآليات واسعة تسمح بفهمه.

-كما أنني عانيت في بداية البحث من عدم توفر المصادر الأساسية لزكي الميلاد ، سواء على مستوى المكتبات الجامعية وحتى في المعارض الوطنية والدولية التي أقيمت في السنتين الأخيرتين،مع ذلك فقد حاولت تخطي هذه الصعوبة من خلال الاتصال عبر البريد الالكتروني بالمفكر زكي الميلاد، الذي لم يبخل عليّ بنصحه و توجيهه، كما زودني بكل ما احتجت إليه من مصادر تتعلق بالموضوع، إلى أن قدمت الرسالة على الشكل الذي هي عليه، و لا أدعي من وراء ذلك أنني قد أحطت إحاطة شاملة بنظرية تعارف الحضارات، لكنني حاولت قدر الإمكان أن أجتهد و أن أقدم بحثا يساهم في تسليط الضوء على جانب من جوانب الفكر الفلسفي عموما والمتعلق منه بفلسفة الحضارة الإسلامية خصوصا، لإعادة ربط هذا الفكر بتجاربه المبدعة و الخلاقة لعلّه يستعيد مكانته في الدورة الحضارية.

و في الأخير أتقدم بشكري الخاص إلى الأستاذ الدكتور عمراني عبد المجيد على ما بذله من جهد معي كما لا يفوتني أيضا أن أشكر كل من مدّ يد العون لي من قريب أو من بعيد لإنجاز هذا البحث .

الفصل الأول:

بحث في المفاهيم ... الحدود والمحددات

مدخل:

المبحث الأول: في مفهوم الحضارة

1- الحضارة في اللغة

2- الحضارة في الاصطلاح:العربي والغربي

3- مفهوم الحضارة عند زكي الميلاد

المبحث الثاني: في مفهوم الثقافة والمدنية عند زكي الميلاد

1- في مفهوم الثقافة

2- في مفهوم المدنية

المبحث الثالث: في المسألة الحضارية عند زكي الميلاد

1- الفقه الحضاري

2- المشروع الحضاري

3- المسألة الحضارية

نتائج الفصل الأول

مدخل :

كثيرا ما يلتبس مفهوم الحضارة ويتداخل ويتقاطع مع مفاهيم أخرى كـ "الثقافة "و"المدنية"، حيث أضحت هذه المفاهيم من بين الكلمات الأكثر تداولا،وغالبا ما تتردد في كتابات المفكرين والفلاسفة وعلماء الاجتماع وغيرهم بوعي منهم أو بغير وعي أحيانا أخرى، لدرجة أن البعض يستخدمها على أ ا تحمل معاني واحدة، حيث يمكن له استخدام كل لفظ مكان الآخر دون تمييز أو دون مراعاة لمنطق اللغة، هذا التداخل المغلوط الواضح في فهم معنى كل كلمة هو ما يدفعنا إلى التمييز بين هذه الكلمات لوضع محددات لاستعمال المصطلحات.

و تزداد الحاجة اليوم للعودة إلى هذه الكلمات والوقوف عند معانيها، لاسيما ونحن في ظل القرن الحادي والعشرين، الذي عرف العالم فيه جملة من التغيرات والتحولات من ثورة للمعلومات وزحف كاسح للعولمة، وأحادية قطبية ...، تحولات عصفت بالعالم من كل جهاته وأثّرت في ملامحه وقسماته، هذه التغيرات التي لا محالة ستؤثر في العالم العربي والإسلامي.

في خضم كل هذا، لا شك أن هناك أسئلة كثيرة باتت تطرح نفسها بقوة على الفكر العربي و الإسلامي ومنها: ماذا نعني بالحضارة والثقافة والمدنية على وجه العموم؟ وما المقصود ا على وجه الخصوص عند زكي الميلاد؟ هل نمتلك مفهوما للثقافة؟ وكيف السبيل لبناء نظرية في الثقافة؟ وكيف يمكننا صياغة مشروع حضاري إسلامي يمكننا من التواصل مع العالم والعصر؟ و السؤال الجوهري هو بماذا تتحدد المسألة الحضارية عند زكي الميلاد ؟

السيرة الذاتية و الفكرية لزكي الميلاد:



قبل الخوض في عرض محتوى الرسالة كان لزاما علينا –لمقتضيات بحثية– أن نعرج على السيرة الذاتية والفكرية للمفكر زكي الميلاد وسنتناول الجوانب القيمة من هذه السيرة والتي قدرنا بأ ا تخدم موضوع البحث:

زكي عبد الله أحمد الميلاد من مواليد سنة 1965م الموافق لـ1385هـ بمحافظة القطيف شرق المملكة العربية السعودية، متخصص في الدراسات الإسلامية وباحث في الفكر الإسلامي و الإسلاميات المعاصرة، رئيس تحرير مجلة الكلمة فصلية فكرية تصدر من بيروت.

منحه الإتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية لقب دكتوراه إبداع على مجموع المؤلفات والأبحاث والكتابات والأعمال الفكرية الأخرى، بموجب خطاب بتاريخ2003/1/25م الموافق 1423/11/23هـ.

وهو عضو في العديد من الجمعيات والمؤسسات فهو:

- مستشار أكاديمي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي الولايات المتحدة الأمريكية.
- عضو الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، إيران.
- عضو المنتدى العالمي للوسطية، الأردن.
- عضو اتحاد الكتاب العرب في سوريا.

- عضو الجمعية التركية العربية للعلوم والثقافة والفنون في أنقره تركيا.
- عضو مجلس أمناء رابطة كتاب التجديد في الفكر الإسلامي.
- عضو الهيئة الاستشارية لمشروع طباعة مختارات من التراث الإسلامي النهضوي الذي تشرف عليه مكتبة الإسكندرية في مصر.
- عضو المنتدى العربي للحوار والمواطنة في لبنان.

كما انه عضو الهيئة الاستشارية لعدد من ا لات الفكرية العربية،من هذه ا لات:الحياة الطيبة، تفكر، المعارج،نصوص معاصرة،إسلامية المعرفة،الحجاج.

مؤلفاته:و له العديد من المؤلفات منها:المؤلفات المنشورة عددها (30)كتاباً صدرت في بيروت ودمشق والقاهرة والرياض وحائل وقد حظيت هذه المؤلفات بعناية واهتمام الكتاب والباحثين والنقاد والمتابعين للشأن الثقافي،ولقضايا الفكر الإسلامي المعاصر إلى جانب مشاركات في كتب أخرى يزيد عددها على (20) مؤلفاً صدرت في لبنان والأردن وسوريا والكويت والسعودية والسودان وإيران وهي مؤلفات مشتركة وبعضها أعمال لندوات ومؤتمرات وحلقات دراسية، كما قدم لبعض المؤلفات الأخرى التي صدرت لكتاب وباحثين، من بين مؤلفاته نذكر:

- الحركة الإسلامية ومعالم المنهج الحضاري.
- تحولات الفكر والثقافة في الحركة الإسلامية.
- مالك بن نبي ومشكلات الحضارة.
- الحركة الإسلامية وآفاق العمل الفكري.
- الوحدة والتعددية والحوار في الخطاب الإسلامي المعاصر.
- الفكر الإسلامي بين التأصيل والتجديد.
- خطاب الوحدة الإسلامية.. مساهمات الفكر الإصلاحي الشيعي.
- الإسلام والغرب.. الحاضر والمستقبل.
- الجامع والجامعة والجماعة.. دراسة في المكونات المفاهيمية والتكامل المعرفي.
- المسألة الحضارية.. كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير ؟

- الفكر الإسلامي قراءات ومراجعات.
- محنة المثقف الديني مع العصر.
- الفكر الإسلامي تطوراته ومساراته المعاصرة.
- تجديد التفكير الديني في مسألة المرأة.
- من التراث إلى الاجتهاد.. الفكر الإسلامي وقضايا الإصلاح والتجديد
- المسألة الثقافية.. من أجل بناء نظرية في الثقافة
- نحن والعالم.. من أجل تجديد رؤيتنا إلى العالم.
- تعارف الحضارات.
- الإسلام والمدنية.. حوارات حول الفكر الإسلامي قضاياه، ومسائله، وإشكالياته
- الإسلام والإصلاح الثقافي.
- هاملتون جيب وكتابه الاتجاهات الحديثة في الإسلام.
- الإسلام والتجديد.. كيف يتجدد الفكر الإسلامي؟
- محمد إقبال والتجديد الديني والفلسفي.
- هل المثقفون في أزمة؟
- نحن والثقافة.. تأملات في مجالنا الثقافي ومستقبلياته
- الحوار في القرآن الكريم.. نماذج ومبادئ.
- الإسلام والعولمة.. لماذا لا تكون العولمة مكسباً لنا؟
- الإسلام والحداثة.. من صدمة الحداثة إلى البحث عن حداثة دينية
- دراسات في تاريخ الفلسفة الإسلامية.
- الإسلام وحقوق الإنسان.. تطور الفكر الإسلامي المعاصر من التأصيل إلى التقنين.

كما شارك في العديد من **الندوات والمؤتمرات** والحلقات الدراسية والفكرية والأكاديمية، العربية والإسلامية والدولية، يفوق عددها على (66) ندوة ومؤتمرا عقدت في العديد من العواصم والمدن العربية والإسلامية والغربية،منها:(لبنان:بيروت،طرابلس)،(مصر:القاهرة، الإسكندرية)،(الجزائر:تلمسان)،(السودان:الخرطوم)،(سوريا:دمشق)،(الأردن:عمان،المفرق،اربد الكرك)،(السعودية:الرياض،جدة،مكة المكرمة،الطائف،القطيف،الأحساء)،(الكويت)،(البحرين: المنامة)،(قطر:الدوحة)،(إيران:طهران)،(تركيا:اسطنبول)،(ماليزيا:كوالالمبور)،(بريطانيا:لندن)، (أمريكا: واشنطن،شيكاغو).

وعقدت بعضها في عدد من الجامعات العربية والمعاهد الأكاديمية. نالت بعض أبحاثه المقدمة في هذه النشاطات درجة امتياز في تقدير اللجان العلمية المحكمة،ووصفت بعض أبحاثه الأخرى بالتميز، وأعطيت له شهادات تقدير على بعض أبحاثه المقدمة في هذه الندوات، واعتبرت بعض الصحف العربية أبحاثه بأ ا الأكثر أهمية وذلك في تغطيتها لأعمال هذه الندوات والمؤتمرات.

كما تولى إدارة دورة علمية حول المنهجية الإسلامية كلفه بإدار ا المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عقدت لمدة أسبوع في العاصمة الأردنية عمان،خلال الفترة مابين 20 – 7 يوليو 1999م، حضرها ثمانية وعشرون مشاركا من أساتذة الجامعات وطلبة الدراسات العليا متعدد من الأقطار العربية والإسلامية،وحاضر فيها أساتذة كبار من مصر والأردن والسعودية والولايات المتحدة الأمريكية.

له العديد من الكتابات-دراسات ومقالات-منشورة في أكثر من (70) ما بين صحيفة يومية ومجلة أسبوعية وشهرية ودورية فصلية،صدرت في (السعودية،الكويت،قطر،البحرين،سلطنة عمان،اليمن،لبنان،سوريا،الأردن،العراق،المغرب،إيران،ماليزيا،أفغانستان،بريطانيا،أمريكا)وله مقالة أسبوعية ينشرها في صحيفة عكاظ السعودية،زاوية الرأي،منذ بداية سنة 2003م[1].

[1] - موقع الأستاذ زكي الميلاد: http://www.almilad.org/page/sira.php
تم تصفح الموقع يوم : 2012/04/15

المبحث الأول :في مفهوم الحضارة

تعتبر كلمة حضارة من الألفاظ اللغوية الأكثر شيوعا في الاستعمال لدى الكتاب والمفكرين في عصرنا، غير أن هناك غموضا يكتنف مدلولها ولعلّ ذلك يرجع إلى الخلفية الفكرية والتكوين العلمي والزاد المعرفي لدى هؤلاء الكتاب، مما أدى إلى عدم الاتفاق على معنى محدد لها.

كما أن "مفهوم الحضارة من أكثر المفاهيم التي أخضعت لعملية متواصلة من التلبيس والتشويه و طمس الدلالات، بصورة أدت إلى تحويل المفهوم إلى صفة ذات أبعاد قيمية تفتقد الماهية و المصادقات ". [2]

لذا، فإن محاولة مناقشة هذا المفهوم مناقشة تأصيلية تستقصي جذوره و تتبع دلالته تحتاج إلى بحث مستقل، وعليه ارتأيت ضرورة الوقوف عند الأصل اللغوي لكلمة الحضارة، والاقتصار على نماذج بارزة في الاستعمال الاصطلاحي للكلمة على الصعيدين العربي والغربي بالقدر الذي يسمح لنا بتحديد المصطلح وجعله واضحا وقابلا للتعامل معه في إطار البحث الذي نسعى إليه.

1-الحضارة في اللغة :

1 – أ – مفهوم الحضارة في اللغة العربية:

جاء في لسان العرب في مادة "حضر":الحُضور: نقيض المغيب و الغيبة، و الحَضر: خِلاف البدو، والحَاضِر: خِلاف البادي، الحاضِر : المقيم بالبادية، والحَضر و الحَضرةُ والحَاضِرةُ: خلاف البادية،وهي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم ا قرار ... ، و الحَاضِرةُ: و الحَاضِر: الحي العظيم أو القوم. [3]

و يذهب الراغب الأصفهاني إلى أن حضر: الحَضر خِلاف البدو، والحَضارةُ و الحِضارةُ السكُونُ بالحَضر كالبِداوةِ و البداوةِ، ثم جعل ذلك اسما لشهادة مكان أو إنسان أو غيره، فقال

[2] - محمد نصر عارف ، الحضارة ، الثقافة ، المدنية " دراسة لسيرة المصطلح و دلالة المفهوم "،
(عمان : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ط2، 1994) ، ص . 15 .

[3] - ابن منظور ، لسان العرب ، حرف باب الراء ،
(بيروت : دار صادر، ا لمد 4 ، ط1 ، 1955)،ص ص 196 – 197.

الله تعالى: "كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين و الأقربين بالمعروف حقا على المتقين " . (سورة البقرة – الآية 180).[4]

و قد ورد في المعجم الوسيط (حضر)فُلانٌ-حِضارة : أقام في الحَضر، و حضر الغائب حضورا: قَدِم، (تحضر): تخلق بأخلاق أهل الحَضرِ و عادا م.

و(الحَضارة) بكسر الحاء و فتحها تعني الإقامة في الحضر، و الحِضارة ضد البداوة، وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني، والحِضارة مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضر، (الحَضر) المدن و القرى و الريف، (الحاضِرة) خلاف البادية.[5]

و إلى نفس السياق يذهب جميل صليبا* إلى أن الحضارة(E) civilization– (F) civilisation ضد البداوة و تقابل الهمجية والوحشية، و هي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني، ويضيف أيضا، أ ا تمثل:" ملة مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع أو مجتمعات متشا ة، وهناك حضارات قديمة وأخرى حديثة، شرقية وأخرى غربية،والحضارات متفاوتة فيما بينها، و لكل حضارة نطاقها (aire) و طبقا ا (couches) ولغا ا (langues) . [6]

من خلال ما ورد من معان، يتضح جليا أن معنى الحضارة عند العرب متقارب على العموم فهو يتمحور حول ذلك النمط من الحياة المناقض والمقابل للبداوة، فالحضارة في جذرها اللغوي تركز على الجانب الاجتماعي، لأن حياة الاستقرار تؤدي إلى نشوء علاقات اجتماعية، فتزداد المصالح ارتباطا لتتجه الجهود نحو بناء حياة أحسن فالاستقرار هو المنشئ للمدن والأمصار.

---

[4] - الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق : نديم مرعشلي، (بيروت : دار الكتاب العربي ، 1972)، ص . 121.

[5] - المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية، قام بإخراج هذه الطبعة د/إبراهيم أنيس و آخرون (القاهرة : مطابع دار المعارف، ج2 ، ط2 ، 1973)، ص181-180.

* جميل صليبا (1902 – 1976) مفكر و مؤرخ فلسفة سوري .

[6] - جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، تصدير : إبراهيم مدكور، (جمهورية مصر العربية : مجمع اللغة العربية ، 1983) ، ص 73.

1 – ب – مفهوم الحضارة في اللغات الأوروبية :

يعود أصل الكلمة الأوروبية "civilisation " إلى الجذر اللاتيني " civites" بمعنى مدينة، و" civis " بمعنى ساكن المدينة، أو" civilis" بمعنى مدني أو ما يتعلق بساكن المدينة، أو"Citizen "وهو ما يعرف به المواطن الروماني المتعالي على البربري، ولم يشتق منها " civilization " حتى القرن الثامن عشر. [7]

و إلى نفس المنحى ذهب أحمد محمود صبحي إلى أن لفظ حضارة مختلف على مفهومه، لفظ الحضارة مشتق من الحضر، كما أن لفظ مدنية مشتق من المدينة سواء في اللغة العربية أو اللغات الأوروبية، فلفظ civilisation مشتق من civitosفي اللاتينية بمعنى المدنية أو civis بمعنى ساكن المدينة أو من civilis بمعنى مدني أو ساكن المدينة حيث تقوم الحياة المتحضرة عادة في المدن وبين الحضر،أي سكان المدن لما يتوفر من ثروات تجارية أو صناعية فضلا عن الانجازات البشرية من اختراعات وابتكارات ومفكرين و فلاسفة و علماء ،بينما لا تسمح حياة البدو أو سكان الجبال أو الريف بقيام تحضر أو مدنية أو على الأقل لا تزدهر الحضارة إلا في المدن، وقد تنجب القرية عباقرة أو مفكرين أو علماء أو فلاسفة و لكن لا تتجلى عبقريتهم إلا بعد هجر م إلى المدينة. [8]

كما تستعمل لفظة culture للدلالة على معنى الحضارة و هي مأخوذة عن اللاتينية cultura من فعل colere بمعنى حرث أو نمّى، و قد كانت دلالة الأصل اللاتيني في العصور القديمة والوسيطية مقصورة على تنمية الأرض ومحصولا ا– تلك الدلالة التي نجدها في agriculture ... و في أوائل العصور الحديثة بدأت تستعمل في الانجليزية والفرنسية بمدلوليها المادي والعقلي، مع إضافة الشيء المقصود تنميته la culture des lettres– la culture du blé. و مثلها في الانجليزية، فلما كان القرن الثامن عشر أخذ الكتاب الفرنسيون كفولتير وأقرانه يطلقون هذه اللفظة إجمالا دون إضافة إلى شيء معين، و غدت culture ذا المعنى

[7] - محمد نصر عارف ، مرجع سابق ، ص . 33 .

[8] - أحمد محمود صبحي و صفاء عبد السلام جعفر ، في فلسفة الحضارة (اليونانية – الإسلامية – الغربية) ، (بيروت : دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، ط1 ، 1999) ، ص . 6 .

المطلق تدل على تنمية العقل و الذوق، ثم انتقلت حصيلة هذه العملية إلى المكاسب العقلية والأدبية و الذوقية التي نعبر عنها بالعربية بلفظة الثقافة.[9]

أما لالاند فقد عرف الحضارة على أ ا:" مجموعة ظواهر اجتماعية مركبة، ذات طبيعة قابلة للتناقل، تتسم بسمة دينية أخلاقية جمالية فنية تقنية أو علمية، و مشتركة بين كل الأجزاء في مجتمع عريض أو في عدة مجتمعات مترابطة، "الحضارة الصينية" – "الحضارة المتوسطية " .[10]

وعليه فمنذ القرن 18م أخذ مصطلح الحضارة المعروف لدينا اليوم معناه عن اللغات الأوروبية، كما أن مدلوله يتضمن معنى الاستقرار والتنظيم شأنه شأن اللغة العربية.

2-الحضارة في الاصطلاح العربي و الغربي:

2 – أ – الحضارة في الاصطلاح العربي:

إن كلمة "حضارة " و" تحضر" لم تكن شائعة في استعمالات العربية اللغوية في البداية وذلك طيلة القرون التي أعقبت مرحلة الفتوحات الإسلامية، و يكاد يكون **ابن خلدون*** أول من نبه إليها واستخدمها في مقدمته، من خلال اصطلاحه الخاص" العمران البشري" و هو يقابل مصطلح "الحضارة البشرية ".[11]

2 – أ –1 : مفهوم الحضارة عند ابن خلدون :

ورد معنى مصطلح الحضارة أو قريبا منه مكررا في مقدمة عبد الرحمان ابن خلدون، وكان في ذلك أسبق بعدة قرون ممن خاض في هذا الميدان من علماء الغرب الذين اعتبروا روادا لهذه الدراسات،أمثال الفرنسيين Auguste comte أوغست كونت (1798 – 1857) وEmile Dur kheimإميل دور كايم (1858 – 1917)، لكن ابن خلدون استعمل كذلك مصطلح العمران للتعبير عن الاجتماع البشري ونتاجه كما استعمل علم العمران مشيرا إلى

---

[9] - قسطنطين زريق ، في معركة الحضارة – دراسة في ماهية الحضارة و أحوالها في الواقع الحضاري- ،
(بيروت : دار العلم للملايين ، ط4 ، 1981) ، ص ص 32 – 33 .

[10] - أندري لالاند ، موسوعة لالاند الفلسفية ، تعريب: خليل أحمد خليل ، إشراف : أحمد عويدات،
(بيروت – باريس : منشورات عويدات ، ط2 ، ا لد الأول A-G ، 2001) ، ص ، 171 .

* ابن خلدون (1336- 1406) مؤرخ و فيلسوف و عالم اجتماع عربي ولد بتونس ،و يعتبره الكثيرون المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع من مؤلفاته : مقدمة (كتاب العبر) التي اشتهرت باسم مقدمة ابن خلدون .

[11]- سليمان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام ،
(القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ، ط1 ، 1986) ، ص . 10 .

دراسة ظواهر هذا الاجتماع، فابن خلدون يستعمل العمران البشري ليشير به إلى الحضارة والاجتماع الإنساني وما يتعلق به، و يعني هنا العمران العام، بغض النظر عن نوع الحضارة أو النتاج،و إن كانت نوعية الحضارة الفاضلة و مستواها الإنساني كامنا في فهمه و تصوره عموما و شمولا و أساسا و قياسا .[12]

و هنا يقول ابن خلدون: "اعلم أن حقيقة التأريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض،و ما ينشأ عن ذلك من الملك و الدول و مراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم و مساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم و الصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعة الأحوال". [13]

ويقول أيضا:"أن الاجتماع الإنساني ضروري ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع،أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم، وهو معنى العمران" [14].

و قد استعمل الفلاسفة العرب لفظة "مدني" بمعنى "اجتماعي" أخذا عن اليونان الذين كانت المدينة عندهم مظهر الاجتماع المنتظم المتحضر".[15]

كما استعمل ابن خلدون صيغة التمدن بمعنى التحضر أو الحضارة فقال: " إن البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم ... و أن الحَضر المعتنون بحاجات الترف و الكمال في أحوالهم و عوائدهم. و لاشك أن الضروري أقدم من الحاجي و الكمالي و سابق عليه.لأن أول مطالب الإنسان الضروري و لا ينتهي إلى الكمال و الترف إلا إذا كان الضروري حاصلا، فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة.و لهذا نجد التمدن غاية للبدوي يجري إليها و ينتهي بسعيه إلى مقترحه منها و متى حصل على الرياش الذي يحصل له به أحوال الترف و عوائده عاج إلى

---

[12]- عبد الرحمان علي الحجي ، أضواء على الحضارة و التراث ،
(الجزائر : شركة الشهاب للنشر و التوزيع) ، ص ص ، 68 – 69 .

[13] - عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون،- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر- ضبط و شرح و تقديم : محمد الاسكندراني،
(بيروت : دار الكتاب العربي ،2008) ص 41.

[14]- مقدمة ابن خلدون ،المرجع نفسه ، ص . 48 .

[15] - قسطنطين زريق ، مرجع سابق ، ص . 31 .

الدعة وأمكن نفسه إلى قيادة المدينة وهكذا شأن القبائل المتبدية كلهم... أن البدو أصل للحضر و متقدم عليه و أن أحوال الحضارة ناشئة عن أحوال البداوة و أ ا أصل لها فتفهمه"[16].

والحضارة عنده تعني أيضا الاستقرار وما ينتج عنها من فنون الحياة و مظاهرها حيث يقول :" العمران هو التساكن و التنازل في مصر أو حلة للأنس بالعشير و اقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش... و من العمران ما يكون بدويا و هو الذي يكون في الضواحي و في الجبال ... و منه ما يكون حضريا و هو الذي بالأمصار والقرى و المدن و المدر للاعتصام ا و التحصن بجدرا ا [17].

نموذجا العمران :

إن العمران عند ابن خلدون يعني مجموع مركبات البنيات التحتية و الفوقية للمجتمع، وفي لغة دوركهايم الاجتماعية، فإن العمران يعني جميع الظاهرات الاجتماعية سواء منها التشكيلية أم الوظائفية، و لهذا نلاحظ أن العمران عنده على نوعين: ما يكون بدويا و ما يكون حضريا.

إذا كان العمران يوجد في شكلين:الشكل البدوي (البادية) والشكل الحضري (الحضارة) فإن العمران عنده ينبني على ثلاثة مستويات و هي: المستوى الاقتصادي و السياسي والثقافي.

1 – البادية: إن مفهوم البادية يخفي واقعا أشد تعقيدا من البداوة البسيطة، فتحت عبارة بدوي يجمع ابن خلدون في نفس الوقت كبار البدو بمعنى الكلمة (مربوا البقر و الغنم) و حتى المزارعين، إن مفهوم البادية لم يشر إذن إلى واقع توبولوجي ولكن إلى واقع اجتماعي، فعلى المستوى الاقتصادي تتضح البادية قبل كل شيء بكو ا نمطا معينا من إنتاج الخيرات الضرورية للحياة، أما على المستوى السياسي فإن الجماعة السياسية الأساسية في البادية مكونة من القبيلة بينما يتحدد المستوى الثقافي بطابعه الأول(البدائية)، إن العلوم منعدمة عمليا ما عدا بعض مبادئ الطب التجريبي، الصنائع تتحدد بالتقنيات المستعملة مباشرة، يكون الدين الذي يرتبط به الشعر و الغناء بعدا رئيسيا للعلم.

[16] - ابن خلدون، مرجع سابق ، ص . 123 .

[17] - المرجع نفسه ، ص . 46 .

2 – الحاضرة: لا يقتصر مفهوم الحاضرة بلا استثناء على أهل المدن فهو يجمع كل البشر الذين لم تتحدد علاقتهم بالطبيعة بواسطة الاستعمال بل بالعمل على التحول وهذا ما يؤدي بالضرورة إلى التحضر، اقتصاديا تتميز الحاضرة بالتغير الجذري في طرق إنتاج الخيرات المادية وفي حجم هذه الخيرات، سياسيا تتميز الحضارة بوجود الدولة بوصفها مجموعة مؤسسات سياسية خاصة بعيدة جزئيا عن علاقات النسب، ثقافيا: الحاضرة هي مكان انطلاق العلم الذي لا يوجد إلا في حالة بدائية في البادية، التقنيات و العلوم والصنائع تتطور بينما الدين يفقد قوته.

و تكمن العلاقة بين البادية والحاضرة في كو ما شكلين من وجود العمران، و أن صراعهما يكون أساس حركة العمران، تاريخيا: البادية تسبق الحاضرة و تفسر هذه الأسبقية بأسباب اقتصادية لإيجاد التمدن، يجب خلق فائض إنتاج اجتماعي هذا هو إذن تحول المعاش الذي يحدد تاريخيا الانتقال من البادية إلى الحاضرة.[18]

كما أن ابن خلدون استخدم مفهوم العمران خاصة كمرادف للثقافة، ونحن نعلم علم اليقين أن هذه الكلمة في نظر علماء الاجتماع والاختصاصيين بعلم الإنسان مقابلة لكلمة "الطبيعة " ... و جملة القول إنّ العمران ينطوي على كل ما يمكن للمجتمع البشري أن يجعله مقابلا للمجتمعات الحيوانية و أول ملاحظة لسنا في غنى عنها هي أن العمران أو الثقافة ليس مرادفا للتفنن و" العادات الحسنة "و ليس مرادفا للنشاطات الفكرية العادية.[19]

و عليه يمكن القول إن العمران البشري هو ا تمع أو الحياة الاجتماعية الإنسانية بكل أشكالها دون تحديده، أما الحضارة فهي شكل متقدم من أشكال العمران الإنساني، يتميز اقتصاديا بتجاوز الاكتفاء بضرورات العيش أيا كانت مستويات هذا التجاوز، كما يتميز بتكوين وحدات سكانية كالقرية والمدينة، و هما شكلان متقدمان من الحياة الاجتماعية يؤديان ضمن ما يؤديان وظيفة اقتصادية يعتبرها ابن خلدون أساسية في حياة العمران[20].

---

[18] - عبد القادر جغلول ، الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون،
(بيروت : دار الحداثة للطباعة و النشر ، ط4 ، 1987) ، ص ص 127 – 131.

[19] - عبد الغني مغربي، الفكر السوسيولوجي عند ابن خلدون ، تقديم و تعريب : محمد الشريف بن دالي حسين،
(الجزائر : دار القصبة للنشر ، 2006) ، ص ص . 127 – 128.

[20] - امحمد حسين نصر ، مفهوم الحضارة عند ابن خلدون و هيجل دراسة مقارنة،
(ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان، ط1 ، 1993)، ص29.

يرى ابن خلدون أن الحضارة أو الدولة تمر بثلاثة أجيال متعاقبة وهي مراحل حتمية يكون فيها التدهور ‌اية كل حضارة و هي:

1- مرحلة البداوة: و يتسم هذا الجيل بالشجاعة و تماسك العصبية و الإنتاج البسيط.

2- مرحلة التحضر:و فيه يتم الانتقال من البداوة إلى التحضر عبر اكتساح الأطراف للمراكز ... و العامل الحاسم في هذا الانتقال هو تماسك قوة العصبية، و بعد الاستقرار يتجهون إلى تأسيس الدولة وجمع المال والانغماس في الترف و بناء القصور وإعداد الجند و تكون الدولة مرهوبة الجانب.

3- مرحلة التدهور:في هذه المرحلة يشتد بطش الحاكم بعصبيته فتضعف نتيجة لزيادة الترف فتكون العصبية غير قادرة لا على تحصيل حاجا ا و لا على الدفاع عن الدولة، فيطمع الأعداء في الاستيلاء على ثروة دولة منهارة،و يشتد غضب المحكومين من الحاكم لزيادة فرضه الجباية، واستعانته بالموالى بدلا من عصبيته التي خارت قواها، فيزداد الاستهلاك ويقل الإنتاج وتتفاقم الأوضاع، فيحدث التدهور وتتهاوى الدولة تحت قبضات الخارجين والأعداء ذلك أن الموالى لا يمكن أن يكونوا أكثر إخلاصا من عصبية الحاكم [21].

وفي هذا الصدد يرى ابن خلدون "أن الحضارة هي ‌اية العمران و خروجه إلى الفساد، و ‌اية الشر والبعد عن الخير"،[22] و هنا يشير ابن خلدون إلى المرحلة الأخيرة التي تمر ‌ا الدولة – كما سبقت الإشارة إلى ذلك – عندما تنفك رابطة العصبية.

نقد:على الرغم من أن ابن خلدون لم يكن يتحدث عن مفهوم الحضارة كمفهوم كلي شامل يؤطر لحركة البشرية ويلقي عليها بصفات قيمية معينة – بل إن هذا المفهوم متسق تماما مع بنائه الفكري في"المقدمة" وحديثه عن تطور الدولة ومراحلها – إلا أن استخدامه للمفهوم قد توافق مع جذور المفهوم الأوروبي " civilization " و من ثم وقف الباحثون العرب عند الدلالات التي أعطاها ابن خلدون للمفهوم، و الذي اقتصر على الإقامة في الحضر بخلاف البادية [23].

[21] - حسن محمد الكحلاني ، فلسفة التقدم – دراسة في اتجاهات التقدم و القوى الفاعلة في التاريخ - ، (القاهرة : مكتبة مدبولي ، ط1 ، 2003) ص ص 57- 58.

[22] - مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص . 124 .

[23]- محمد نصر عارف ، مرجع سابق ، ص . 55 .

2 – أ – 2 – مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي :

يعتبر مالك بن نبي* من أبرز المفكرين العرب الذين اهتموا بقضية الحضارة بعد ابن خلدون إذ ركز تفكيره حول هذه القضية من أجل تأصيلها و دراسة مشكلا ا، مدركا بأن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته. و من هنا كان اهتمامه منصبا على قضية الحضارة ومشكلا ا، وقد عرف الحضارة من عدة جوانب وسنقف نحن عند تعريفين:الوظيفي والتركيبي.

1 – التعريف الوظيفي:

يتمثل هذا التعريف في اعتبار الحضارة:" جملة الشروط المعنوية والمادية التي تتيح تمع ما أن يوفر لكل فرد من أعضائه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتقدمه "[24].

حيث يعتبر مالك بن نبي أن الحضارة وظيفة أساسية لأي مجتمع متحرك في التاريخ وهي نتيجة حركة نفسية و اجتماعية.

فالتعريف الوظيفي للحضارة يكشف لنا جانبين: الجانب **المعنوي**:الذي يتضمن شروطها المعنوية في صورة إرادة تحرك ا تمع نحو تحديد رسالته الاجتماعية و إنجازها، و الجانب الذي يتضمن شروطها **المادية**: في صورة مكان فيضع تحت تصرف ا تمع الوسائل الضرورية للقيام بوظيفته الحضارية [25].

فالحضارة ذا المعنى تمثل المناخ الذي يوفر للفرد الحرية والحماية، و يقدم له كل ما يحفظ وجوده و شخصيته و يقيه من التدهور في مختلف ا الات[26].

* مالك بن نبي (1905 – 1972) مفكر جزائري ولد بقسنطينة ، أتم دراسته الثانوية في الجزائر و دراسته الجامعية في باريس حيث تخصص بالهندسة الكهربائية و بعد استقلال الجزائر عيِّن مديرا للتعليم العالي ، ثم أسس ندوة فكرية أسماها " سوسيولوجيا العالم الإسلامي " وكان يدعو دائما لإقامة " كومنولث إسلامي " و له العديد من المؤلفات أشهرها مشكلة الثقافة ، شروط النهضة .

[24]– Malek Ben Nabi : le problème des idées dans le monde musulman ;
(Alger ; édition : El byynate , 1990), p , 29

[25] - عمار الطالبي ، دراسات في الفلسفة و في الفكر الإسلامي ،
(بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 2005) ، ص . 672 .

[26]- موسى لحرش ، إستراتيجية البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي ،
(جامعة الجزائر : مختبر التربية ، الانحراف و الجريمة في ا تمع ، د ط ، 2006) ، ص . 67 .

2 – التعريف التركيبي:

يذهب مالك بن نبي إلى أن المقياس العام في عملية الحضارة هو أن:"الحضارة هي التي تلد منتجا ا" ... فليس من الواجب لكي ننشئ حضارة أن نشتري كل منتجات الآخر ... وهو يقود في النهاية إلى عملية مستحيلة كما وكيفا". [27]

إن الحضارة في منظور مالك بن نبي حركة بناء،وفي ذلك إقرار صريح بأ ا ليست عملا تكديسيا، لأن مشكلة الحضارة لا تنحل في اية الأمر باستيراد منتوجات متوفرة لدى مجتمعات أخرى،مع الاحتفاظ بالطبع هنا بصواب فكرة الاستفادة الواعية من ا تمعات الأخرى .

و في هذا الصدد يذهب أسعد السحمراني إلى أن عملية التحضر تكون كمن يحرث البحر إذا فهم بعض الناس أن الحضارة هي استيراد أشياء الأمم الأخرى أو استعارة فكرها ومنتجا ا، إن في هذا الفهم للحضارة بذرة موت الطموح الحضاري للشعوب .[28]

وعليه، لكي نحل مشكلة الحضارة فإنه يتوجب علينا الاتجاه نحو بناء (تركيب) الحضارة لا إلى تكديس منتجا ا، لأن كل ناتج حضاري تنطبق عليه الصيغة التالية:

ناتج حضاري = إنسان + تراب + وقت.

ففي المصباح مثلا يوجد الإنسان خلف العملية العلمية والصناعية التي يعد المصباح ثمر ا، و التراب في عناصره من موصل و عازل، و هو يتدخل بعنصره الأول في نشأة الإنسان العضوية،و الوقت (مناط) يبرز في جميع العمليات البيولوجية و التكنولوجية، وهو ينتج المصباح بمساعدة العنصرين الأولين:الإنسان والتراب. [29]

وهذه الصيغة صادقة بالنسبة لأي ناتج حضاري في ا ال المادي و ا ال الروحي، مما يعني أن مشكلة الحضارة تنحل إلى ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، و مشكلة الوقت.

---

[27] - مالك بن نبي ،شروط النهضة ، ترجمة: عمر كامل مسقاوي و عبد الصبور شاهين ،
(سوريا : دار الفكر ، ط4، 1987)، ص . 47.

[28] - أسعد السحمراني ، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ،
(بيروت : دار النفائس ، ، 1986) ، ص- ص . 146 – 147 .

[29] - مالك بن نبي ، شروط النهضة ، مرجع سابق . ص . 49 .

و لكي يحصل هذا الناتج " الحضارة " لابد من مركب للحضارة و هو العامل الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة بعضها ببعض، و التحليل التاريخي يدل على أن "المركب" الذي رافق دوما تركيب الحضارة في التاريخ هو الفكرة الدينية"فالحضارة لا تنبعث – كما هو ملاحظ – إلا بالعقيدة الدينية" [30] و خير مثال على ذلك الحضارة الإسلامية.

نقد:يعتبر مالك بن نبي مفكرا متميزا أضاف إلى الفكر الإسلامي المعاصر الكثير من الأفكار الواعية التي تهتم بدراسة الواقع الاجتماعي و تهدف إلى تحديد شروط النهضة .[31]

و لعلّ أول من حاول إبراز دور الفكرة الدينية في تكوين الحضارة هو "ابن خلدون" حيث خصص في مقدمته فصلا بعنوان: "أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصيغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة" . [32]

ومن بين ما يؤيد هذا الطرح أن دراسة الحضارات الإنسانية تكشف عن الدور الجوهري الذي قام به الدين في بنائها، فقد أصاب دارسوا الحضارات الذين رأوا أنه لم تنبثق حتى الآن حضارة من غير أن يجمعها الدين و يوحد مجتمعاتها،فهو دائما كان الرابطة العليا التي توحد توازن الأفراد فتشدهم بقوة و توحد تطلعاتهم و تنظم سلوكهم . [33]

كما أن "الذي يتأمل تاريخ الحضارة الإنسانية، سرعان ما يكتشف أن الفكرة الدينية كانت دائما بمثابة حجر الزاوية في صنع الحضارات – إيجابا أو سلبا – فتقدم الإنسان كان يتم وفق عملية متوازنة بين نتائج العقل وإمكاناته، و بين عطاء الإيمان الذي يمثل شحنات الدافع في مسيرة الإنسان الحضارية . [34]

بالرغم من المساهمات التي قدمها مالك بن نبي في مجال الحضارة إلا أن هناك من أعاب عليه بأنه عندما تناول مشكلة الحضارة أبرزها كعلاج لأزمة التخلف في العالم الإسلامي، و قد

[30] - المرجع السابق ، ص . 56 .

[31] - محمد عبد السلام الجفائري ، مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي ، (طرابلس: الدار العربية للكتاب ، ط1 ، 1984) ، ص . 87 .

[32] - ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، مرجع سابق ، ص . 149 .

[33] - سليمان الخطيب ، مرجع سابق . ص . 69 .

[34] - المرجع نفسه، ص.72 .

ربط المشكلة بإطار الزمان و المكان الذي عاصرهما بالإضافة إلى منهجه في الصياغة الذي يغلب عليه المنهج العلمي نتيجة لثقافته العلمية التخصصية.[35]

2 – ب – الحضارة في الاصطلاح الغربي :

بعد أن تناولنا أبرز النماذج لاستعمال مصطلح الحضارة في ا ال العربي، نعرج الآن إلى الاصطلاح الغربي لكلمة الحضارة.

2 – ب – 1 – تعريف الحضارة عند ول ديورانت * :

الحضارة عند ول ديورانت Will(Iam James)Durant نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وتتألف الحضارة من عناصر أربعة :الموارد الاقتصادية، و النظم السياسية، والتقاليد الخلقية، و متابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا أَمِن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع و عوامل الإبداع و الإنشاء، بعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها.[36]

نقد:يعتبر هذا التعريف نوعا ما جامعا لجوانب الحضارة باعتبارها تنظيم اجتماعي له نظمه السياسية، وعادات وتقاليد أخلاقية، يؤدي وظيفة أساسية ألا وهي الثقافة، كما يشير إلى عوامل قيامها كالموارد الاقتصادية وخاصة الأمن والاستقرار، لأن الحرية دافع للإبداع و لتوحيد الجهود نحو التقدم، كما لا يغفل الانفتاح على الفنون و مواكبة العلوم.

2 – ب – 2 – تعريف الحضارة عند ألبرت اشفيتسر: *

إن الحضارة عند اشفيتسر Schweitze,Albert، بكل بساطة معناها بذل ا هود، بوصفنا كائنات إنسانية من أجل تكميل النوع الإنساني وتحقيق التقدم، من أي نوع كان في أحوال الإنسانية وأحوال العالم الواقعي.وهذا الموقف يتضمن استعدادا مزدوجا : فيجب أولا أن نكون متأهبين للعمل إيجابيا في العالم و الحياة، و يجب ثانيا أن نكون أخلاقيين ... إن الحضارة تنشأ حينما يستلهم الناس عزما واضحا صادقا على بلوغ التقدم ويكرسون أنفسهم تبعا لذلك لخدمة

---

[35]- المرجع السابق ، ص.14 .

* - ول ديورانتwill Durant(1885 – 1981) مرب و مؤلف أمريكي ، يعتبر أحد الكتاب الذين وقفوا جهودهم على تبسيط التاريخ و الفلسفة ، أشهره آثاره : الفلسفة و المشكلة الاجتماعية ، قصة الفلسفة ، و قصة الحضارة في عشر مجلدات .

36- ول ديورانت ، قصة الحضارة – نشأة الحضارة في الشرق الأدنى ، ترجمة: زكي نجيب محمود ،

(مطبعة لجنة التاليف و الترجمة و النشر، ا لمد 1 ، ط3 ، 1965) ، ص 3 .

الحياة وخدمة العالم،وفي الأخلاق وحدها نجد الدافع القوي إلى مثل هذا العمل، فنتجاوز حدود وجودنا.[37]

إن جوهر الحضارة وحقيقتها ـذا المعنى يكتسي صبغة أخلاقية بحتة،كما يتوقف هذا الجوهر على مدى ما يتمتع به الأفراد من استعدادات عقلية ونفسية فعلية من أجل تكميل النوع الإنساني و بلوغ التقدم،و لهذا فالحضارة في تصوره العام هي"التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على السواء ".[38]

نقد:نلاحظ أن هذا التعريف يؤكد تلاحم الجانبين الروحي والمادي في معنى الحضارة،كما أنه قدم الجانب الروحي على الجانب المادي، فأسبقية الروح على المادة هي ما يؤكد في الحضارة إنسانية الإنسان، فلا معنى لأي تقدم مادي ما لم يسبقه ويقوده ويساوقه التقدم في ا ال الروحي والأخلاقي.

أما البعض فقد اعتبر أن الحضارة الإنسانية بوجه عام هي صورة كفاح الإنسان في هذه الحياة،و هي تمثل في أي عصر من عصور البشرية أرقى ما وصل إليه الإنسان في تنمية واكتساب القيم الأخلاقية، و تمثل أرقى صورة وصل إليها ا تمع الإنساني في التقدم العلمي والفني .[39]

كما يذهب اشفيتسر إلى أن محاولة التمييز بين الحضارة (kultur) كما يسميها الألمان و بين المدنية بوصفها مجرد التقدم المادي، يهدف إلى جعل العالم يألف فكرة من الحضارة لا أخلاقي إلى جانب نوع أخلاقي منها،كما يهدف إلى إلباس النوع الأول بلباس كلمة ذات معنى تاريخي، لكن لا شيء في تاريخ كلمة civilisation يبرر هذه المحاولة، فالكلمة قد استعملت حتى الآن بنفس المعنى المفهوم من كلمة kultur ، أعني تطور الإنسان إلى مرحلة من التنظيم الأعلى و إلى مستوى أخلاقي أسمى .

---

* ألبرت اشفيتسر SchweitzrAlbert(1875 – 1965) فيلسوف أخلاقي و لاهوتي و طبيب ألماني و موسيقار، نال جائزة نوبل للسلام سنة 1952 .

[37] - ألبرت اشفيتسر ، في فلسفة الحضارة ، ترجمة : عبد الرحمان بدوي ،
(بيروت :دار الأندلس للطباعة و النشر ، ط2 ، 1980) ، ص. ص 5 – 6 .

[38] - المرجع نفسه ، ص . 34 .

[39] - مصطفى النشار ، في فلسفة الحضارة جدل الأنا و الآخر نحو بناء حضارة إنسانية واحدة،
(القاهرة : دار قباء الحديثة للطباعة و النشر والتوزيع ، ط1 ، 2007) ، ص22 .

و بعض اللغات تفضل استعمال أحدهما، وبعضها الآخر يفضل استعمال الأخرى، فالألمان يستعملون عادة كلمة kultur، و الفرنسيون كلمة civilisation ، لكن ليس ثمة مبررا لغويا أو تاريخيا،لوضع تفرقة بين كلتا الكلمتين، إننا نستطيع التفرقة بين حضارة kultur أخلاقية وحضارة لا أخلاقية، أو بين مدنية civilisationأخلاقية ومدنية لا أخلاقية ، لكننا لا نستطيع التفرقة بين الحضارة kultur و بين المدنية civilisation . [40]

يبدو جليا أن اشفيتسر لا يفرق في الاستعمال بين لفظ الحضارة و لفظ المدنية، و أن المدنية أعظم شأنا وأرقى درجة من الحضارة،و أن هناك قاسم مشترك بينهما وهو تحقيق التقدم الأخلاقي.

و لهذا عندما طرح اشفيتسر السؤال ما هي الحضارة إذن ؟ أجاب بأ ا :" جماع كل تقدم حققه الناس و كل فرد في مجال من مجالات العمل و من كل وجهة نظر، من حيث كون التقدم يساعد الكمال الروحي للأفراد، فهذا الأخير هو التقدم كل التقدم " . [41]

و معنى هذا أن اشفيتسر يسخر الجانب العملي للأفراد و الجماعات من أجل الرقي و الكمال الأخلاقي و هو عين التقدم عنده.

2 – ب – 3 - الحضارة عند أسوالد شبنجلر*:

يعرف شبنجلر Spengler,Oswald الحضارة بأ ا:الظاهرة الرئيسية لكل تاريخ عالم ماض ومستقبل، [42] كما يعرفها بأ ا كينونة واعية لنظام عضوي ضخم واحد، نظام لا يجعل فقط العادة والأساطير و التقنية و الفن بل أيضا الأقوام والطبقات التي تضمها أحشاؤه، أوعية للغة شكل واحد و تاريخ واحد. [43]

---

[40] - ألبرت اشفيتسر ، مرجع سابق ، ص-ص 36 – 37 .

[41] - المرجع نفسه ، ص . 113 .

* - أسوالدشبنجلر Spengler Oswald(1880 – 1936) فيلسوف ألماني ، كان مثاليا في نظرته الفلسفية ، من مؤلفاته: " ا يار الحضارة الغربية " في مجلدين .

[42] - أسوالد شبنلجر : تدهور الحضارة الغربية ، ج1 ، ترجمة: احمد الشيباني ، (بيروت : دار مكتبة الحياة ، 1964) ، ص . 214 .

[43] - أسوالد شبنلجر : تدهور الحضارة الحربية ، ج2، ترجمة: احمد الشيباني ، (بيروت : دار مكتبة الحياة ، 1964) ، ص . 30 .

الحضارة عند شبنجلر تشبه الكائن العضوي، فلكل حضارة دورة حياة من نمو ثم شباب ثم شيخوخة يعقبها فناء.

لذلك كان للحضارات والشعوب واللغات والحقائق و الآلهة و البيئات نمو و شيخوخة، كما أن للبلوط والصنوبر والأزهار و الأغصان و الأوراق نموا و شيخوخة ... و لكل حضارة إمكانية تنبت تنضج و تذبل و تفنى إلى غير عودة ... فالتاريخ إذن مكون من كائنات عضوية حية هي الحضارات، وكل حضارة منها تشابه الكائن العضوي تمام التشابه، فتاريخ كل حضارة كتاريخ الإنسان أو الحيوان أو الشجرة سواء بسواء، و التاريخ العام هو ترجمة حياة هذه الحضارات، فإذا كان سياق الحياة واحدا بين الأفراد التي تدخل تحت نوع واحد ، فللحضارات جميعا سياق واحد تسير عليه .[44]

يصف شبنجلر سياق كل حضارة فيقول: "تولد الحضارة في اللحظة التي توقظ فيها نفس عظيمة الروحانية الأولية للإنسانية الأبدية للطفولة، و تعزل نفسها لتصبح شكلا مما لا شكل له، و شيئا محدودا فانيا مما هو خالد، و غير محدود، فتزدهر في تربة رقعة من الأرض محددة لها ومعرفة ا تعريفا تاما، حيث تبقى ملتصقة برقعة الأرض هذه شا ا في ذلك شأن النبات ثم تموت عندما تحقق هذه النفس كامل إمكانا ا في أشكال شعوب و لغات و مذاهب و فنون ودول و علوم و تعود إلى نفسها الأولية " .[45]

فكأن الحضارة إذا روح زاخرة بالإمكانيات و القوى الخصبة المتوثبة للتحقيق، تأتي إلى الوجود الحي في بيئة خارجية معينة تشيع فيها قوى عديدة في حالة فوضى مطلقة ولا شعور مظلم التجأت إليه هي و ما تنطوي عليه من حقد وكراهية، فتبدأ بتوكيد صور ا ضد هذا الخليط و اللاشعور فارضة عليهما صور ا، و تاريخ حيا ا هو تاريخ هذا النضال الشاق العنيف بينها و بين هذه القوى ... و على هذا النحو تستمر الروح في نضالها، خالقة في أثناء هذا النضال، وكأداة لتحقيق الظفر والانتصار، طائفة من الصور والأوضاع قد طبعتها بطابعها الخاص، و طالما كانت تنطوي في باطنها على قوى خالقة، استمرت في هذا الخلق، وظلت تخوض هذا النضال، أما إذا فقدت قواها الخالقة إما باختناقها تحت تأثير روح أخرى أقوى منها

---

[44] - عبد الرحمن بدوي ، شبنجلر ،
(بيروت : دار القلم ، 1982) ، ص – ص . 100 – 101 .

[45] - أسوالد اشبنجلر ، تدهور الحضارة الغربية ، ج1 ، مرجع سابق ، ص 217 .

وأخصب، و إما لأ ا بلغت غايتها وحققت صور ا النهائية، ولم يعد في استطاعتها أن تعلو على الحد الذي إليه علت، بأن حققت في الخارج كل ما تحتوي عليه من إمكانيات باطنة ينضب دمها وتتحطم قواها و يتحجر كيا ا – فتصبح " مدنية " بعد أن كانت "حضارة ".

و لكن هذا ليس معناه فنائها ائيا، بل لازالت قادرة على البقاء قرونا أخرى، كما تبقى الشجرة التي استنفد عصار ا الزمان سنوات طوالا لا تزال تمد فيها أغصا ا التي أصبحت فريسة للسوس.[46]

أن شبنجلر يفرق بين الحضارة والمدنية بخلاف اشفيتسر،وتبقى المدنية أعلى شأنا (وآخر مرحلة) من الحضارة.

2- ب – 4 – تعريف الحضارة عند صامويل هنتغتون:*

عرف هنتغتون الحضارة بأ ا "أعلى تجمع ثقافي للبشر وأوسع مستوى من الهوية الثقافية يكاد يكون شعب ما قد وصل إليها والتي تميز بني البشر عن الأنواع الأخرى.الحضارة يمكن التحديد ا من خلال كل من العناصر الموضوعية المشتركة، مثل:اللغة،التاريخ،الديانة، العادات، المؤسسات،و التعريف بالكيان الذاتي للشعب".[47]

معنى هذا أن الحضارة تشمل الثقافة–حسب هنتغتون– وأن الهوية الثقافية في أوسع مستويا ا و التي تميز شعبا ما تماثل الحضارة لذلك الشعب.

"إن كلا من الحضارة والثقافة يشيران إلى نمط الحياة العام للبشر،وما الحضارة إلا ثقافة كتبت بحروف كبيرة،كلاهما يتضمن "القيم والمبادئ والمؤسسات وأنماط التفكير التي تعطي لها الأجيال المتعاقبة في مجتمع ما أهمية أولية". [48]

---

[46] - عبد الرحمن بدوي ، مرجع سابق ،ص – ص . 102 – 103 .

* - صامويل هنتغتون Samuel Huntington(1927 – 2008) مفكر أمريكي من أصل يهودي تلقى تعليمه بالو.م.أ بجامعة "ييل" تحصل على الدكتوراه من جامعة هارفارد، درس فيها مدة 58 سنة احتل منصب معهد دراسات الحرب و السلام وبعد ذلك أسس مجلة السياسة الخارجية ، و عمل بالبيت الأبيض ، وقام ببحوث معمقة في السياسات العسكرية .

47- صامويل هنتغتون، صدام الحضارات و إعادة بناء النظام العالمي، ترجمة:مالك عبيد أبو شهيوة و محمود خلف، (مصراتة :الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان ، ط1 ، 1999) ، ص . 106 .

[48] - المرجع نفسه ، ص . 103 .

نقد: و الحضارة بهذا المعنى الذي قدمه هنتغتون يقترب من المعنى الذي ذهب إليه المؤرخ و عالم الاجتماع الانجليزي أرلوند توينبي (Arnold Toynbee) (1889–1974):بأن الحضارة هي نوع خاص لثقافة سادت في مرحلة معينة من التاريخ،[49] كما يقول توينبي أنه يمكن تعريف الحضارة كوحدة معقولة للدراسات التاريخية . [50]

لكن الحضارة حسب المفهوم المتداول هي حالة تاريخية واجتماعية يرتفع بمقتضاها المجتمع من مستوى أدنى إلى مستوى أعلى و أرقى والحضارة هي الرقي و بذلك يتعارض مفهوم الحضارة مع البربرية والوحشية فلا يقبل منطقيا أن يكون المرء متحضرا وهو يستعمل وسائل وحشية كالقتل والتدمير و الإبادة الجماعية و يمارس التفرقة العنصرية بين الأجناس، وهي أيضا، مجموع العناصر التي تميز حالة النمو التي بلغها مجتمع ما على المستويات التقنية و الذهنية والسياسية و الأخلاقية .

أما الثقافة فهي مجموع المعارف والسلوكيات التي يتميز بها مجتمع من المجتمعات أو شخص ما و بصفة عامة كل سلوك أو عادة أو معرفة يتلقاها الفرد اجتماعيا وليس وراثيا وتتكون الثقافة من اللغة و الفن والدين و العقليات وحتى الأساطير وكل ما من شأنه أن يؤثر على سلوك الأفراد و نمط حياتهم بصفة واعية أو غير واعية .

تعتبر اليونسكو أن الثقافة لا تقتصر على المفهوم الضيق الذي ينحصر في الفنون الجميلة و الآداب، بل تتجاوزه إلى فهم أوسع تصبح بمقتضاها الثقافة مجمل الخصائص البارزة الروحية والمادية و الذهنية والعاطفية التي تميز مجتمعا أو فريقا اجتماعيا وهي تتضمن زيادة عن الفنون الجميلة و الآداب و أنماط الحياة و أساليب العيش المشترك و نظم القيم و التقاليد و المعتقدات وقد حددت اليونسكو التزامها بهذا المفهوم في الإعلان العالمي حول التنوع الثقافي الذي أصدرته سنة 2001 .[51]

---

[49]- Toynbee Arnold ,traduit de l'anglais par Jacques Potin et autres , Paris-Bruxelles , Elsevier , Séquoia , 1975 , p 41 – 42 .

[50]- Toynbee Arnold ,Ibid. p 43 .

[51] - محمد العربي عزوز ، زمن هنتغتون ؟ صدام الحضارات و نهاية التاريخ . (القاهرة: دار النهضة العربية، ط1 ، 2009) ، ص . 76 .

كما أن المتعارف عليه عند أغلب المؤرخين وفلاسفة التاريخ أن الحضارة هي مفهوم شامل يتجاوز الثقافة والدين ليرقى إلى مستوى نظام اجتماعي متكامل وهي متحركة وديناميكية و ليست جامدة ومنكفئة على نفسها كما يصورها هنتغتون فهناك تأثير متبادل بين الحضارات.

و عليه فإن هنتغتون يختزل الحضارة في الثقافة في حين أن الحضارة تضم البعد الثقافي إلى جانب أبعاد أخرى كالتطور الصناعي والتكنولوجي والتطبيقات الطبية والعلمية المختلفة والتشريعات و القوانين و يختزل الثقافة في الدين في حين أن الثقافة هي في ذات الوقت الدين واللغة والفنون بأنواعها، و في النهاية تصبح الحضارة في مفهوم هنتغتون جوهرا دينيا خالصا يدخل في صدام مع الأديان الأخرى أو الحضارات.[52]

3- مفهوم الحضارة عند زكي الميلاد:

لم يقدم زكي الميلاد تعريفا صريحا للحضارة وإنما قرن مفهوم الحضارة بمعناها اللغوي والذي يعني الحضور، لكن الحضور الفعلي عنده هو الذي يحقق الأبعاد و الدلائل التالية و هي:

أولا : الحضور يعني امتلاك شروط و مقومات الحضور و القدرة على صنعه و تحقيقه .

ثانيا: الحضور معناه مواكبة الأمة لمتغيرات العالم وتحولاته من تقدم وتطور على مختلف الأصعدة الداخلية و الخارجية، فالحضور هو حضور في حركة العالم و العصر.

ثالثا: الحضور بمعنى الانفتاح والتفاعل والتواصل مع العالم والعصر، لأن التقدم لا يتحقق في ظروف الانغلاق أو الجمود.

رابعا: الحضور بمعنى القدرة على التجدد والنمو المتواصل و هذا هو الذي يصنع الحضور الفعلي و يفرض على الآخرين الاعتراف به و التعامل معه وفق منطقه.

[52] - المرجع السابق ، ص . 78 .

خامسا: الحضور بمعنى المشاركة و التعارف والانخراط في قضايا العالم والعصر، وتحمل المسؤولية و عدم التعامل بمنطق المتفرج أو اللامسؤول هذا من جهة، و من جهة أخرى يذهب زكي الميلاد إلى أنه يمكن التوفيق بين الحضارة بمعنى الحضور وهو نقيض الغياب، و الحضارة بمعنى الحاضرة في مقابل البادية، و هذا ما أكده من خلال جملة من الحقائق وهي:

* إن مجتمع البدو ليس له حضور بالمعنيين: المعنوي والوجودي،لأنه لا يعرف الاستقرار ويربط مصيره ووجوده بالتنقل والترحال بين الصحاري والوديان، بخلاف ا تمع الحضري الذي يتحقق فيه المعنى الوجودي نتيجة الاستقرار و التوطن و بإمكانه صنع حضوره المعنوي .

* ا تمع البدوي تنعدم فيه إمكانية التواصل و التفاعل و المشاركة مع ا تمعات الأخرى نتيجة انغلاقه حيث تحيط به الصحراء من كل الجهات بالإضافة إلى غياب وسائل الاتصال السريعة عكس ا تمع الحضري الذي غالبا ما يتوطن بقرب الأ ار والبحار التي تمثل أهم وسائل الاتصال الحيوية بين الأمم و الشعوب و الحضارات .

* بحكم طبيعة ا تمع البدوي القائم على الترحال فهو لا يتوفر على حوافز البناء و العمران ومن هنا لا يصنع الحضارة، في المقابل ا تمعات الحضرية تتجه للتوطن، حيث تتعاقب فيها الأجيال، و تحتفظ لنفسها بتراكما ا و منجزا ا و مكتسبا ا مما يساعد على صنع الحضارة .[53]

ومجمل القول فإن الحضارة والحضور الفعلي عند زكي الميلاد يتحقق من خلال المعنى الوجودي و الذي يتضمن الاستقرار والتوطن، مما يشجع على البناء والإنماء، وبإمكانه أن يصنع حضوره المعنوي من خلال الانفتاح على الأمم و تمعات والحضارات الأخرى مما يتيح فرصة المشاركة و التعارف و الانخراط في قضايا العصر و مواكبة تغيرات العالم .

نقد: ولهذا يذهب أحد المفكرين إلى أن الحضارة تبدأ "مع وعي الإنسان لنفسه أو بداية وجوده كمخلوق متميز بنفسه عن سائر الحيوان و قادر على صنع الحضارة و مدرك لبعض القيم الإنسانية ".[54]

---

[53] - زكي الميلاد ، المسألة الحضارية – كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير ؟،
(بيروت : مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، ط2 ، 2008) ، ص . 115 - 117.

[54] - حسين مؤنس ، الحضارة – دراسة في أصول و عوامل قيامها و تطورها – (سلسلة عالم المعرفة) ،
(بيروت : ا لس الوطني للثقافة والفنون و الآداب ،1978) ، ص . 92 .

ففي المفهوم العام تعرف الحضارة بأ ا" ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء أكان ا هود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود، و سواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية "[55].

معنى هذا أن الحضارة منتوج إنساني تطلق على كل ما حققه الإنسان من إنجازات ، وهي ذا قديمة قدم الإنسان وتاريخه.لأنه لا حضارة دون إنسان ولا إنسان بدون تاريخ والحضارة بعض من التاريخ ، ولكل حضارة تاريخ ،و ليس لكل تاريخ حضارة ... الحضارة كالإنسان مادة و روح ، فلا توازن لها في حالة غياب أحد عنصريها عن الآخر، و لن تؤد رسالتها وتشق طريقها بشقها الروحي دون شقها المادي ولا معنى لوجود هيكلها بدون روحها ... إن الحضارة تراث إنساني للمسيرة الإنسانية شاركت فيه جميع شعوب وأمم العالم بنسب متفاوتة وظهرت في مواقع جغرافية مختلفة، و بين أجناس وأعراف مختلفة، اختلفت مدة بقائها واندثارها من حضارة لأخرى. [56]

نظرا لصعوبة التفرقة بين حضارة ومدنية أو بين حضارة وثقافة،فإن حديثنا عن الحضارة سيتمحور حول جميع مظاهر النشاط (مادية و معنوية) لشعب من الشعوب بحيث تبدو أساليب حياته وأنشطته الدينية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية باعتبارها نسيجا واحدا متداخلا متفاعلا حتى تبدو الحضارة وحدة عضوية متكاملة .

و كأن الحضارة ليست سوى مجموعة الإبداعات التي دف إلى التقدم والارتقاء في مجالات المعرفة و السيطرة على الطبيعة، و في التنظيم الاجتماعي للمجتمعات الإنسانية، وفي مظاهر الحياة الروحية المتمثلة في الدين و الأخلاق. [57]

---

[55] - المرجع السابق ، ص.13.

[56] - بن إبراهيم الطيب، مواقف مشتركة بين مالك بن نبي و ابن خلدون، (الجزائر: دار مدني، ط1 ، 2008)، ص– ص . 46 – 47 .

[57] - إبراهيم محمد تركي ، في فلسفة الحضارة قضايا و مناقشات، (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2008)،ص 35.

المبحث الثاني : في مفهوم الثقافة و المدنية عند زكي الميلاد

1 - في مفهوم الثقافة :

1 – 1 – ضرورة بناء نظرية في الثقافة:

إذا كان مصطلح الثقافة من العبارات الأكثر تداولا في عصرنا الحالي، فإن أبرز ما يميزه هو تباين مدلوله لدى المتداولين له واختلاف التعاريف الموضوعة له والتي تنيف عن 250 تعريفا دون أن يصل العلماء فيها إلى قول فاصل.

و على الرغم من أن الثقافة كلمة عربية معروفة عند العرب في عصر ما قبل الإسلام وما بعد ظهوره ومتداولة في اللسان العربي، إلا أن زكي الميلاد يرى أن هناك مفارقة بين اهتمام الأوروبيين بفكرة الثقافة منذ عدة قرون وانجاز العديد من الكتابات والدراسات الفاعلة للاستفادة من حكمتها و بصير ا، و أن هذا الاهتمام مازال قائما و متجددا كما لو أ ا من مسائل اليوم الحديثة، أما في مجالنا العربي فإننا نشهد ضعفا وجمودا ومحدودية في مستويات النظر في هذا الشأن .

و لهذا سعى زكي الميلاد إلى لفت الانتباه لفكرة الثقافة، محاولة منه لاستنهاض إرادة فكرية اجتهادية تتطلع لبناء نظرية مستقلة في الثقافة في سبيل النهوض الحضاري بالأمة.

من هذا المنطلق فإن محور دراستنا لن يتجه نحو استقراء ما ورد في هذا ا ال من مفاهيم، لأنه لن تكون هناك ثمرة حقيقية لهذا الانشغال، وإنما سنحاول مع زكي الميلاد الإجابة على جملة من الأسئلة والانشغالات ألا و هي : لماذا لم نتعرف على فكرة الثقافة منذ وقت مبكر ؟كما أن السؤال المعرفي الذي يطرح نفسه لماذا لم تتحول الثقافة من كلمة في ا ال الحسي الفردي إلى مفهوم في ا ال الذهني الاجتماعي ؟ بمعنى لماذا بقيت الثقافة عندنا في إطارها اللغوي البسيط التي كانت عليه ولم تتحول إلى مرحلة الفهم بدلالته المركبة ؟ و لماذا بقينا بدون نظرية في الثقافة ؟ و كيف السبيل إلى بناء نظرية في الثقافة ؟[58]

[58] - زكي الميلاد ، المسألة الثقافية – من أجل بناء نظرية في الثقافة - ، (بيروت : مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، ط2 , 2010). ص-ص . 5-6-11 .

فهذه الأسئلة تعتبر أنضج و أجدر بالنظر من التنقيب عن تعريف موحد للثقافة. من هنا وجب علينا ضرورة البحث عن السبيل لاكتشاف فكرة الثقافة والعمل على بناء نظرية في الثقافة من داخل مرجعيتنا و منظومتنا و تراثنا.

في إطار تحقيق هذا المسعى حاول زكي الميلاد استقراء مقدمة ابن خلدون،باعتبارها أنضج محاولة منهجية في نطاق الثقافة الإسلامية سعت لبناء نظرية اجتماعية و لتأسيس علم للاجتماع ينتسب إلى الإطار المرجعي الإسلامي فاحصا ورود كلمة الثقافة كتسمية تنسب إلى اللغة العربية أو كمفهوم ينتسب إلى نسق المعارف الاجتماعية،و بعد الفحص و النظر وجد أن ابن خلدون قد تحدث عن الثقافة، و هذا ما لم يلتفت إليه مالك بن نبي في فترة من الفترات. [59]

عندما طرح مالك بن نبي في كتابه "مشكلة الثقافة " السؤال: ماهي الثقافة ؟ ومن أين جاءت هذه الكلمة، ومنذ متى استخدمت في اللغة العربية ؟ أجاب مالك بن نبي بأن الثقافة هي" مجموعة من الصفات الخلقية و القيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأس مال أولي في الوسط الذي ولد فيه، و الثقافة على هذا المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته ". [60]

كما عرفها بأ ا:"التعبير الحسي عن علاقة الفرد ذا العالم أي با ال الروحي Noosphèreالذي ينمي فيه وجوده النفسي، فهي نتيجة هذا الاتصال ذا المناخ " . [61]

فالثقافة ذا المعنى سلوك و قيم اجتماعية يكسبها الفرد من الوسط الاجتماعي، و من ثمة فمحيط الفرد هو الذي يشكل طباعه و شخصيته و يعكس حضارته.

هذا عن تعريفه للثقافة، أما جوابه من أين جاءت ؟ فإنه يقول أن مفهوم (ثقافة) ثمرة من ثمار عصر النهضة، عندما شهدت أوروبا في القرن السادس عشر انبثاق مجموعة من الأعمال

---

[59] - المصدر السابق ، ص- ص .16 – 17 .

[60] - مالك بن نبي ، شروط النهضة ، مرجع سابق ، ص89 .

[61] - مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ، ترجمة: عبد الصبور شاهين ،
(دمشق : دار الفكر للطباعة و التوزيع و النشر ، ط4 ، 1984) ، ص50 .

الأدبية الجليلة في الفن وفي الأدب وفي الفكر[62]، و إذا ما رجعنا قليلا في مجال هذا البحث لم نجد أثرا لتلك الكلمة في لغة ابن خلدون، الذي يعد على أية حال المرجع الأول لعلم الاجتماع العربي في العصر الوسيط،ولو ردنا في رجوعنا إلى ما قبل ذلك لم نجد الكلمة مستعملة في العصر الأموي و العباسي".

وجاء في هامش الكتاب:أن الكلمة وردت مرتين أو ثلاثا في المقدمة بصورة أدبية بوصفها مفردة لغوية دون الوقوف عند كلمة (ثقافة)بوصفها مفهوما وتقديرها ظاهرة اجتماعية. [63]

و قد رجح زكي الميلاد أن هذا التدارك هو من مترجم الكتاب أو من الذي راجعه وليس من المؤلف الذي عاد وكرر الملاحظة مرة أخرى و هو يتحدث عن فكرة الثقافة، وعندما صدر كتاب مجالس دمشق في طبعته الأولى سنة 2005 احتوى هذا الكتاب على محاضرة بعنوان (الثقافة والأزمة الثقافية) ألقاها بن نبي في جامعة دمشق سنة 1972 و فيها يشير إلى وجود كلمة ثقافة في المقدمة.
بقوله: "إن كلمة الثقافة نفسها وردت في مقدمة ابن خلدون مرتين أو ثلاثا في فصول موزعة من المقدمة، دون أن يكون لمدلول الكلمة ضبطا يحمل إلينا معنى الثقافة كما نفهمه أو نحاول أن ندركه اليوم ".
و لعل هذا يكشف – حسب زكي الميلاد – عدم اطلاع مالك بن نبي على كامل مقدمة ابن خلدون. [64]

لهذا أحصى الميلاد ستة استعمالات لكلمة الثقافة جاءت في سياق حديث ابن خلدون بصيغ متعددة:
1 – كان بلفظ الثقافة بوجود الفتحة و الشدة على الثاء .
2 – وردت الثقافة بكسر الثاء مع وجود الشدة .
3 - كان بصيغة (الِثقاف) بكسر الثاء .

---

[62] - مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ، مرجع سابق ، ص . 25 .
[63] - المرجع نفسه ، ص . 20 .
[64] - زكي الميلاد ، المسألة الثقافية ، مصدر سابق ، ص . 17 .

4 – كان بصيغ (ثِقافته) بكسر الثاء و تكررت هذه الصيغة ثلاث مرات في مقطع واحد .
5 – كان بصيغة تثقيف .
6 – و كان بصيغة (تثقيفا) .

و الذي يستفاد من هذا الاستعمال لكلمة الثقافة وصيغها المختلفة هو أن ابن خلدون تعامل مع هذه الكلمة باعتبارها مفردة لغوية متعارف عليها في مفردات اللغة العربية ولم يتعامل معها بوصفها مفهوما له من المعاني و الدلالات المعنوية والسلوكية والاجتماعية يكون متطابقا أو قريبا من الفهم الذي يتحدد اليوم حول الثقافة . [65]

و قد أرجع زكي الميلاد أسباب عدم تطور الثقافة من كلمة إلى مفهوم في إطار الثقافة الإسلامية إلى أسباب منهجية ومعرفية منها:

-عدم ارتباط الثقافة بقضايا أو خبرات أو بمجالات أو معارف تستدعي الاهتمام ا، مما أفقدها الشروط والمقتضيات المعرفية والاجتماعية التي كان بإمكا ا أن تساهم في تحريكها ودفعها نحو التطور المفاهيمي، فالثقافة الإسلامية حفلت بطائفة من الكلمات والتسميات التي تواترت في النص الديني وخطاباته و حظيت بم لة هامة و ترسخت في اللسان العربي وفي مجال التداول الاجتماعي العام و ظلت هذه الكلمات حاضرة في الأذهان وارتبطت ا المعارف والعلوم الإسلامية مثل: الفقه، العلم، العقل، الحكمة، الجهاد، الاجتهاد ... ، و لم تكن الثقافة من بين هذه الكلمات، و لا يصدق هذا على الإسلام فقط، و إنما على جميع الديانات الأخرى، وهكذا المذاهب الاجتماعية الكبرى و أيضا الفلسفات.

-إن مصدر كلمة الثقافة من الفعل (ثقف) ورد في معاجم اللغة العربية وفي النص القرآني – كما سنوضح لاحقا – لكن في سياق لا يلفت الانتباه إليه بصورة تساعد على اكتشافه و من ثمة إمكانية تطويره إلى مفهوم، فعلى سبيل المثال ورد في قوله تعالى: " ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله و حبل من الناس " (سورة أل عمران – الآية 112) ، و قوله أيضا: " ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا " (سورة الأحزاب– الآية 61).فقد ارتبط استعمال هذا الفعل في سياق واحد ألا و هو الحديث عن الحرب و القتال و بمعنى واحد هو الإدراك

[65] - زكي الميلاد ، المصدر السابق ، ص – ص ، 18 – 19 .

والظفر، و المقصود بالإدراك هنا هو الوصول إلى الشيء بالمعنى الحسي و الوجودي و ليس بالمعنى الذهني ". عدم تشكل العلوم الاجتماعية في فضاء الثقافة الإسلامية، و هي العلوم التي كان للعقل و المعرفة والفلسفة و المنطق الدور الأساسي في تشكلها و تطورها " [66].

و لولا التعرف على مفهوم الثقافة كما وصل إلينا من منظومة الفكر الأوروبي لما انتبهنا لكلمة الثقافة،مع ذلك لم نتمكن من أن نبدع لنا مفهوما مستقلا عن الثقافة نساهم من خلاله بإضافات معرفية خلاقة على مستوى الفكر الإنساني،الذي ظل يساءل نفسه باستمرار حول ما هي الثقافة ؟ مما يكشف الحاجة الدائمة و المستمرة للثقافة كلما تجددت الحياة و تغيرت أوضاع أحوال الاجتماع الإنساني. و لهذا حتى نتخلص من الشعور بالقصور وعقدة النقص و نتحرر من ذهنية التبعية و التقليد و نستعيد الثقة و الشجاعة في التعبير عن أفكارنا و في التعامل معها، يذهب زكي الميلاد إلى أنه بالإمكان أن نكتشف لأنفسنا فكرة عن الثقافة انطلاقا من منظومتنا الإسلامية.[67]

و عليه سنحاول من خلال هذا المبحث أن نستشف فكرة الثقافة وحقلها الدلالي على ضوء اللغة العربية من جهة و على ضوء آيات القرآن الكريم من جهة أخرى.

1 – 1 – أ – فكرة الثقافة في اللغة العربية :

يذهب زكي الميلاد إلى أن هناك إشارات شديدة الأهمية حول الثقافة في اللغة العربية يمكن تطويرها للانتقال ا من دائرة اللغة إلى دائرة المفهوم، و تكمن أهمية اللغة في أ ا ترجع بنا إلى الأصل الذي جاء منه اسم الشيء و تعرفنا على اشتقاقاته و استعمالاته المتعددة و ربط هذه الاستعمالات بقرينة من عالم الحس تارة، و من عالم الذهن تارة أخرى، أو ما معا تارة ثالثة، كما تشرح لنا ما طرأ على هذه الاستعمالات من تغير و تطور، و منشأ هذا التغير و التطور، وطبيعة تفسيراته اللغوية أو الاجتماعية أو الثقافية . [68]

عند العودة إلى معاجم اللغة العربية يمكن الوقوف عند المعاني و الدلالات التالية:

---

[66]- زكي الميلاد ، المصدر السابق ،ص- ص 12- 15 .

[67] - المصدر نفسه ، ص – ص . 25 – 27 .

[68] - المصدر نفسه ، ص . 163 .

أولا : الحذق و المهارة :

جاء في لسان العرب لابن منظور،ثَقِف الشيءَ ثَقْفًا و ثِقَافًا وثُقُوفَةً: حذَقَه، و رجل ثَقْف وثَقِف و ثَقُف: حاذق، فَهِم . [69] أما الراغب الأصفهاني فيذهب إلى أن الثَّقْف: الحذق في إدراك الشيء و فعله، و يقال: ثَقِفْت كذا إذا أدركته ببصرك لحذق في النظر . [70]

وهنا يذهب الميلاد إلى أن الحذق والمهارة ينتميان إلى مجال النظر والعمل، بمعنى العلم والصناعة،كما يتصلان بإدراك الشيء و إتقانه، و إدراك الشيء له علاقة بالحذق، و إتقانه له علاقة بالمهارة،و الإنسان الحاذق هو من يمعن النظر و الملاحظة و التفكير و بهذا الحذق يصيب إدراك الشيء و الإنسان الماهر هو من يمتلك الخبرة و بهذه المهارة يصيب في إتقان العمل.
و بهذا المعنى تشير الثقافة إلى:تنمية الملكات الذهنية التي تجعل الإنسان حاذقا في النظر إلى الأشياء و إلى تنمية الملكات النفسية التي تجعل الإنسان ماهرا في إتقان الأشياء و بالحذق يكون الإنسان واعيا لذاته وطاقاته وبالمهارة يكتسب القدرة على تسخير هذه الطاقات و توجيهها. [71]

ثانيا : الفطنة و الذكاء :

جاء في لسان العرب: ثَقْف الشيء: هو سرعة التعلم، غلام لَقِن ثَقِف، ذو فطنة و ذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه. [72] و في المعجم الوسيط: ثَقِف ثَقَفًا: صار حاذقًا فطنا، فهو ثَقِف. [73]

و هنا تشير الثقافة إلى تنمية القدرات الذهنية كالتعلم والإدراك للارتقاء بالفكر وتحسينه و تطويره و تنمية القدرات السلوكية كالتمييز و الاختيار للارتقاء بالسلوك وتحسينه و تهذيبه وبالفطنة و الذكاء ينمي الإنسان قدراته لكي تتحول إلى طاقة فاعلة و منتجة تتجلى بوضوح في مواقفه الفكرية و السلوكية، كما تظهر قابلية الإنسان الحيوية على التعلم و التقدم حتى يتغلب على عناصر الجهل والتخلف . [74]

---

[69] - ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد 9 ، حرف الفاء ، ص.22 .
[70] - الراغب الأصفهاني ،مرجع سابق ، ص . 76 .
[71] - زكي الميلاد، المسألة الثقافية، مصدر سابق ، ص . 165 .
[72] - ابن منظور ، مرجع سابق ، ص . 22 .
[73] - الراغب الأصفهاني ، مرجع سابق ، ص . 76.
[74] - زكي الميلاد ، المسألة الثقافية ، مصدر سابق ، ص . 166 .

وهذا ما يذهب إليه إبراهيم مدكور من أن الثقافة هي كل ما فيه استنارة للذهن و ذيب للذوق و تنمية لملكة النقد والحكم لدى الفرد أو في ا تمع تشتمل على المعارف والمعتقدات، والفن و الأخلاق وجميع القدرات التي يسهم ا الفرد في مجتمعه و لها طرق ونماذج عملية و فكرية وروحية ولكل جيل ثقافته استمدها من الماضي وأضاف إليها في الحاضر و هي عنوان ا تمعات البشرية.[75]

ثالثا : التهذيب و تقويم الاعوجاج :

جاء في المعجم الوسيط، ثَقف الشيء: أقام المعوج منه و سواه، وثقّف الإنسان: أدبه وهذّبه و علمه. [76]

يعد هذا المعنى في تقدير زكي الميلاد أقوى المعاني التي تشير إليها الثقافة وأكثر تعبيرا ودلالة، فالثقافة في عمق جوهرها كانت و مازالت هي عملية ذيب للنفس و إصلاح للفكر. ذيب في بعدين: بعد لتوجيه الغرائز وضبط الشهوات و التحكم في الأهواء و بعد لتنمية الملكات الفطرية و المواهب و الطاقات الجوانية.

إن الله سبحانه و تعالى الذي خلق الإنسان، وصف النفس بقوله تعالى:" و نفس وما سواها * فألهمها فجورها و تقواها * قد أفلح من زكاها * و قد خاب من دساها " (سورة الشمس : الآية 7 – 10) .

فالغرائز والشهوات بدون ضبط و ذيب تقود النفس إلى الفجور والطغيان، هذا على مستوى الفرد، والثقافة أيضا هي عملية ذيب للمجتمع في النطاق الذهني، والجمالي، والأخلاقي.

كما يذهب الميلاد إلى أنه بإمكاننا أن نطور من فكرتنا للثقافة و نكسبها قوة التحديد إذا ما أخضعنا هذه المعاني و الدلالات للفحص و الاختبار و التراكم .[77]

---

[75] - إبراهيم مدكور ، المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية .
(القاهرة : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، 1983) ص . 58 .

[76] - المعجم الوسيط ، مرجع سابق ، ص 98 .

[77] - زكي الميلاد ، المسألة الثقافية ، مصدر سابق ، ص 167 .

1 – 1 – ب – فكرة الثقافة في القرآن الكريم :

حاول زكي الميلاد اختبار فكرة الثقافة وحقلها الدلالي على ضوء آيات القرآن الكريم، حيث اكتشف أن هناك إشارات مهمة تستدعي منا التوقف عندها و التأمل فيها لاستلهام فيض المعاني و تصويب النظر وأصالة المعرفة و حكمة البرهان و من هذه الإشارات القرآنية التي تتصل بتحليل فكرة الثقافة :

أولا : قوله تعالى: " و علّم آدم الأسماء كلّها " . (سورة البقرة – الآية 31) .

تكمن أهمية هذه الآية في كو ا تتيح لنا النظر في أول كلام ظهر إلى الوجود حول علاقة الإنسان بالعلم، و تحدد لنا البداية التي ينبغي أن نبدأ منها في الحديث عن كل ما يتعلق بالعلم والمعرفة و بما يشمل الثقافة أيضا، و القرآن هو الكتاب الذي حدثنا عن هذه البداية .[78]

و قد توقف المفسرون كثيرا – قديما و حديثا و أمعنوا النظر – في تحليل ما هو المقصود من كلمة الأسماء ، و الأسماء كلها و تعددت وجهات النظر في هذا الشأن .

لكن حين نختبر هذه الآية وعلاقتها بفكرة الثقافة فإن ما نستنتجه يتحدد في أمرين مترابطين هما:

أولهما: أن الله الذي علم آدم هو مصدر العلم و المعرفة و الإدراك و بالتالي لا ينبغي أن ينفصل العلم عن مصدره، ويوجه ويسخر فيما يخالف هذا المصدر، و أن العلماء هم الذين يخشون الله، كما في قوله تعالى:

" إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ " (فاطر ، الآية 28)،كما يعني ضرورة تلازم العلم مع الإيمان بالله، و نستنتج من ذلك ضرورة العلاقة بين الثقافة و الإيمان بالله باعتبار أن المقصود من (الأسماء كلها) هي القوة العاقلة في الإنسان و هي مركز العلم و الإدراك و الثقافة كذلك ، و ذه القوة العاقلة يكتسب الإنسان المعارف و العلوم، و يدرك حقائق الأشياء و يهذب نفسه و يجعلها في أحسن صورة .

[78] - المصدر السابق ، ص . 153.

ثانيهما: يفهم من الآية أن الإنسان كائن عالم وعاقل من حيث الطبيعة و مزود في داخله بقابلية حيوية على التعلم، و هي قابلية لا تتوقف إلى مرحلة اللحد، مصداقا للحديث النبوي الشريف: " أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد ".

و ذه القابلية تميز الإنسان عن سائر المخلوقات، و انفصل عن الطبيعة و قوانينها الجبرية، و ذا العلم أو القوة العاقلة يكون الإنسان قريبا من الثقافة فهي جزء من الأسماء كلها التي تعلمها آدم. الجزء الذي يرمز لمفهوم الإنسان أو آدميته، و لو لم تكن الثقافة جزءا من هذه الأسماء لما كان في مقدور الإنسان التعرف عليها و التخلق ا، فالثقافة هي التي تعطي معنى إنسانية الإنسان و هي التي تحرره من جبرية قوانين الطبيعة،و ذب غرائزه .[79]

ثانيا: قوله تعالى:" فإذا سويته و نفخت فيه من روحي فَقَعوا له ساجدين ".

"و إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإٍ مسنون * فإذا سويته و نفخت فيه من روحي فَقَعوا له ساجدين "(سورة الحجر، الآية 28-29).

فالطبيعة البشرية حسب هاتين الآيتين مزدوجة التركيب فهي تتكون من طين و من نفخة الروح الإلهية، وإن محاولة فهم معنى الآيتين قد يقود إل القول بأن القرآن يعطي أهمية أكبر للنفخة الروحية الإلهية التي تحتوي عليها الطبيعة البشرية، إذ أنه طلب من الملائكة السجود لآدم بعد وليس قبل حدوث النفخة الروحية الإلهية في ذات آدم. و لعل أقرب التفاسير في تحديد معنى هذه الآية: أن نفخة الله لروحه في الإنسان تعني أن الله أعطى الإنسان معرفة و إرادة تشبه معرفة و إرادة الله و عند استعمال الإنسان لهما بحق فإ ما قادرتان أن تمنحا الإنسان التفوق والسمو على بقية الأجناس الأخرى.

ثالثا : قوله تعالى: " اقرأ باسم ربك الذي خلق ". (سورة العلق ، الآية 1) .

لقد دعا زكي الميلاد إلى تعميق النظر في الحقل الدلالي لكلمة (اقرأ) بوجه خاص مع الآيات الأربع التي تليها باعتبار أن لها حكمة السبق في ال ول، و ذلك لشدة الارتباط بين

---

[79] - المصدر السابق ، ص.ص . 155 -156

كلمة (اقرأ) و بين فكرة الثقافة في ا ال الإسلامي، فالثقافة تبدأ من (اقرأ) و لا تبدأ من غيرها .

فإذا أخذنا الثقافة بمعنى إصلاح الذهن وتنمية الملكات الفطرية و ذيب القدرات الفكرية، فإن هذا المعنى وثيق الصلة بـ (اقرأ) التي تفيد الأمر بالقراءة و الاستمرار على اكتساب العلم، كما تفيد أن مقدمة الثقافة (اقرأ) و ليس قبلها و هي نفي للجهل بكافة صوره، و من دلالات (اقرأ) أ ا خطاب موجه إلى كل إنسان في كل الأزمنة و العصور، ولابد من تصويب هذه القراءة بدلالة قوله تعالى: " اقرأ باسم ربك " فكل شيء في الإسلام يبدأ بـ (اسم الله) الذي هو خالق كل شيء في هذا الكون، حتى يخشى الإنسان ربه في تعلمه و تثقيفه، و ذه الخشية يلهم الله الإنسان الحكمة، " و من يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا " (سورة البقرة – الآية 269) .

من هنا يتبين لنا أهمية وقيمة العودة إلى النص القرآني في مجال دراسات و أبحاث العلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة.ويكشف عن أهمية و قيمة ما لدينا من مفاهيم و تصورات لها علاقة بفكرة و نظرية الثقافة.[80]

لهذا مثلت الثقافة عند زكي الميلاد: " قوة و طاقة و تخلقا و روحا، لابد من التخلق ا و الاستناد إليها في مواجهة أكبر وأعظم مشكلة مستعصية في الأمة، و هي مشكلة التخلف بكافة صورها و أنماطها و سعيا نحو التمدن و التحضر بعيدا عن التبعية و الاستيلاب ".[81]

1 – 1 – جـ - من تعريف الثقافة إلى فلسفة الثقافة :

بما أن الثقافة عند الميلاد تمثل قوة روحية أخلاقية ضرورية للنهوض بالأمة و السير ا نحو التقدم، فإننا لم نعد بحاجة إلى الانشغال بوضع تعريفات جديدة للثقافة و لا المفاضلة بين جميع التعريفات التي لا ينفي واحدا منها بعضها بعضا، لأن فلسفة الثقافة تفرض أن نضع حدا لتلك التعقيدات التي يشير إليها الكتاب حين يتحدثون عن الثقافة، فهي تتسع لتستوعب الدلالات المتباينة في النظر إلى الثقافة هذا من زاوية.

---

[80] - المصدر السابق ، ص – ص . 157 – 159.

[81] - المصدر نفسه، ص9 .

و من زاوية أخرى يمكن النظر إلى فلسفة الثقافة من جهة البحث عن حكمة الثقافة وطبيعة مقاصدها وغاياا ونوعية وظائفها.لأن حكمة الثقافة تتحدد عند زكي الميلاد بحسب مرحلتنا التاريخية ووضعيتنا الحضارية التي تمر ا أمتنا، فإذا كنا في مرحلة نتطلع فيها للتخلص من التخلف بكل إرثه و مركبه و تاريخه اجتهادا نحو التمدن والتقدم الحضاري، فإن هذا السعي ينبغي أن يكون وثيق الصلة بحكمة الثقافة التي نتأمل منها أن تلهمنا البصيرة والعزيمة من أجل التغلب على الضعف الذاتي من أجل الثبات إلى اية الهدف .[82]

إن فلسفة الثقافة هي سبيلنا إلى الاستقلال الثقافي الذي ننهض به حضاريا، لأن الحضارات لا تنهض إلا بثقافا ا و من داخل تراثها بعجلة تاريخها و على أساس الانتظام في هويتها دون الانقطاع عن الثقافات الأخرى أو عن التراث الإنساني، و إنما على أساس التواصل مع هذه الثقافات.

من هنا كانت الحاجة لأن نولي أهمية لفلسفة الثقافة لنعرف ماذا نريد من الثقافة، لتكون سبيلنا نحو التمدن[83].

2 - في مفهوم المدنية :

1-2 – مفهوم المدنية لغة :

جاء في المعجم الوسيط (مدن) فلان –مدونا: أتى المدينة، (تمدن) عاش عيشة أهل المدن وأخذ بأسباب الحضارة ،(المدنية): الحضارة و اتساع العمران .[84]

في نفس السياق ورد عن المنجد في اللغة العربية المعاصرة، مدني:ساكن مدينة، مدني: منسوب إلى المدن، مدِنية: حضارة، تمثل مظاهر الرقي العلمي و الفني و الأدبي و الاجتماعي الخاصة ببلد أو جماعة:"مدنية يونانية". تمدن: تحضر، انتقل من حالة البداوة إلى المدنية والحضارة و أصبح أكثر لطفا و ذيبا،متمدن:من ينعم بالمدنية و العمران ، من له حضارة متقدمة.[85]

[82] - المصدر السابق ، ص .ص. 173 – 175 .

[83] - المصدر نفسه ،ص 176.

[84] - المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ج2 ، ط2 ، مرجع سابق ص 859 .

[85] - أنطوان نعمة و آخرون ، المنجد في اللغة العربية المعاصرة .

(بيروت : دار المشرق ، ط2 ، 2001) ، ص . 1327 .

من خلال المعنى اللغوي لكلمة "مدنية " نلمس أن هناك تلاحم و تداخل كبير بينه وبين مصطلح الحضارة ، فمن جهة تمثل المدنية أحد عناصر الحضارة، كما تشتمل العمران ، و من جهة أخرى تمثل المدنية منتهى التقدم الحضاري.

2 – 2 – مفهوم المدنية عند زكي الميلاد :

يذهب زكي الميلاد إلى أن صلب و صميم فكرة المدنية يتمحور حول الاهتمام بإشكالية النهوض و التقدم.و في اعتقاده أن الوقت الراهن شهد تراجع في الاهتمام ـذه الإشكالية، وذلك بسبب القطيعة التي حصلت بين مرحلتي الفكر الإسلامي الحديث و المعاصر.[86]

إن فكرة المدنية عنده في علاقتها بالإسلام و بالفكر الإسلامي في ا ال العربي تحددت ونضجت خلال الفترة الممتدة ما بين منتصف القرن التاسع عشر وعشرينات القرن العشرين، وهي الفترة التي يصفها الدارسون العرب المعاصرون بعصر النهضة، أو مرحلة الفكر الإسلامي الحديث،[87] حيث مثلت مسألة صورة العلاقة بين الإسلام و المدنية هما حقيقيا في تلك الفترة، وعرفت تراكما متصلا،و من بعد تلك الفترة تغيرت صورة العلاقة بين الإسلام والمدنية والأكثر أهمية في ذلك أنه لم يعد يرتبط ـذه المسألة رجال مصلحون ومفكرون أمثال: الطهطاوي وخير الدين التونسي ومحمد عبده ومحمد فريد وجدي ، ولعل الاستثناء الوحيد في هذا الشأن هو ما مثله مالك بن نبي الذي اعتنى بفكرة الحضارة، وأعاد لها الاهتمام وقدم عنها أجود تحليل في مجال الفكر الإسلامي المعاصر، و مع مالك بن نبي تحول الاهتمام الجاد من فكرة المدنية إلى فكرة الحضارة، و هذا من التغيرات المهمة التي حصلت في ا ال الفكري الإسلامي .[88]

كما يرى زكي الميلاد أننا ننتمي إلى عالم يتطلع إلى بناء المدنية وصنع التحضر، و على الضفة الشمالية استطاع الغرب أن ينجز مدنيته و ينجز تقدمه وحضارته، و على هذا الأساس ينبغي أن نشكل ما يسميه بالمنظور المعرفي، فنحن مجتمعات تريد أن نتمدن، نريد أن نستعيد مدنيتنا المفقودة أو فردوسنا الغائب، وأمامنا عالم يمتلك هذه المدنية ... إلا أننا نريد المدنية من

[86] زكي الميلاد ، الإسلام و المدنية تقدم و تراجع فكرة المدنية في مرحلتي الفكر الإسلامي الحديث و المعاصر، مجلة الكلمة ، العدد 62 ، السنة 16 ، 2009) (بيروت:منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث)، ص . 18 .

[87] - المصدر نفسه، ص . 1 .

[88] - المصدر نفسه، ص 14 .

الغرب، لكننا لا نريد الاستلاب، نريد منه مدنية لا استلاب فيها نريد تقدما لا يفقدنا هويتنا، نريد حضارة لا تفصلنا عن ديننا و أخلاقنا. [89]

وفي تقدير زكي الميلاد أن الثقافة هي التي تصنع الحضارة، وتمثّل روح الحضارة، وباعتبار أن الحضارات لا تقوم بدون الثقافة، بدليل الحضارة الإسلامية التي بدأت بآية (اقرأ) الآية التي أوضحت أنه في البدء كانت الثقافة. [90]

2 – 3 – الفرق بين الحضارة و الثقافة عند زكي الميلاد:

الثقافة و الحضارة فكرتان تعبران عن روح ومنطق فلسفة التاريخ، والتي بواسطتهما يتحدد المعنى الكلي والمنطق التركيبي للتاريخ، بحيث يكون من الممكن النظر إلى التاريخ ليس باعتباره حوادث ووقائع سيالة متناثرة لا رابط ببينها ولا تفاعل أو اتصال، وإنما باعتبار أن تلك الحوادث والوقائع محكومة بسنن وقوانين عامة وكلية، تنطبق على جميع الثقافات والحضارات وا تمعات القديمة والحديثة و البائدة والسائدة النامية والمتقدمة، القوية و الضعيفة.

و يمكن القول إن الثقافة والحضارة هما من حقائق التاريخ و أسراره، بمعنى أن الثقافة لازمت الإنسان منذ وجوده على هذا الكوكب، وكل ثقافة بطبيعتها تتطلع إلى الحضارة، والرؤية التي تستحق الانتباه إليها في العلاقة بين الثقافة و الحضارة و التي -حسب تصور زكي الميلاد- تتحدد في منظورين متقابلين:

الأول: ما ذهب إليه المفكر الألماني أسوالد أشبنجلر في كتابه الشهير (تدهور الغرب) حيث يرى أن الغرب أنجز مرحلة الثقافة و دخل في مرحلة الحضارة، و بذلك فإن الغرب دخل مرحلة التدهور و الانحطاط حسب تحليله.

الثاني: ما ذهب إليه الميلاد من أن الحضارة الإسلامية فقدت الحضارة ولم تفقد الثقافة،و ما بقيت الثقافة إلا بوجود القرآن الكريم، ومع وجود الثقافة فإن العالم الإسلامي سوف يظل يتطلّع دوما إلى الحضارة . [91]

[89] - زكي الميلاد ، الإسلام و المدنية حوارات حول الفكر الإسلامي و قضاياه و مشاكله و إشكالياته ، (لبنان : الدار العربية للعلوم ، ناشرون ، ط1 ، 2007) ، ص – ص . 171 – 172 .

[90] - المصدر نفسه ، ص . 199 .

[91] - المرجع نفسه . ص – ص . 177 – 178 .

وقد برر زكي الميلاد المنظور الثاني بالحضارة التي صنعها الإسلام في القرن السابع الميلادي والتي مثّلت أعظم تحول في حركة التاريخ الإنساني و أرقى نموذج حضاري في ذلك العصر، والحضارة الإسلامية هي التي ألهمت الروح الحضارية في العقل الأوروبي، وكشفت له العلم التجريبي الذي أصبح ركيزة الحضارة الغربية إلى اليوم ، و إذا كانت الحضارات و الأمم في التاريخ تسقط بسقوط الفكر، فإن هذا القانون لا يصدق على الحضارة الإسلامية فهي لم تسقط بسقوط الفكر، بل سقطت بسبب الخروج عنه و الابتعاد عن منابعه الصافية و الأصيلة .

وقد حاول الغرب بكل ما يستطيع أن يدمر الثقافة الإسلامية منذ الحروب الصليبية التي بدأت عام 1059م و استمرت ما يقارب 150 عاما إلى الغزو المغولي الذي كان بتشجيع من أوروبا عام 1206 م، إلى حركة الاستشراق،و إن كان الاهتمام بالدراسات الإسلامية في أوروبا يعود إلى القرن الثامن عشر الميلادي، وصولا إلى الاستعمار الأوروبي الحديث و سيطرته الكاملة على أغلب المناطق الإسلامية منذ حملة نابليون على مصر عام 1798 م .

فبعد كل هذه المحاولات اعتقد بعض الغربيين بنهاية الإسلام و فكره و رسالته، و ما إن بدأت الصحوة الإسلامية المعاصرة و تنامت بطريقة سريعة ومتلاحقة، حتى اعتقد هؤلاء الغربيون أن الإسلام مازال يختزن في داخله قدرة على الإحياء و النهضة و التجديد .

و أثبتت التحقيقات الغربية أن الإسلام يعد من أكثر الديانات انتشارا في العالم ،بما في ذلك أمريكا و أوروبا و على مستوى مختلف الطبقات الاجتماعية هناك، و الأكثر من ذلك أن الأصوات باتت تتصاعد من وقت لآخر بطرح الإسلام كطريق لحل أزمة الحضارة في أوروبا والعالم ، كما اعتقد بعض المفكرين الأوروبيين سابقا أن محمدا رسول الإسلام (صلى الله عليه وسلم) هو الوحيد القادر على إخراج العالم من أزماته .[92]

المبحث الثالث : في المسألة الحضارية عند زكي الميلاد .

1- الفقه الحضاري :

لقد دخلت كلمة فقه حقول معرفية متعددة لها علاقة بالدراسات الإسلامية والإنسانية والاجتماعية كالحديث عن فقه التاريخ و فقه الاقتصاد و فقه السياسة و فقه الحقوق وفقه الحياة

[92] - المصدر السابق ، ص – ص . 13 – 14 .

و فقه الواقع ... إلخ ، و هناك مؤلفات معاصرة تحمل هذه العناوين و غيرها.و في هذا السياق كذلك يأتي استعمال الفقه في مجال الحضارة بإطلاق تسمية "الفقه الحضاري" هذا ما أدى بزكي الميلاد إلى محاولة تفسير الاستعمالات الكثيرة لمصطلح الفقه .

يذهب زكي الميلاد إلى أن مفهوم الفقه هو من أكثر المفاهيم ارتباطا بالدين فهو يعكس جوهر الحضارة الإسلامية كونه المفهوم الذي استعمله القرآن الكريم لتحديد شكل العلاقة بالدين، في قوله تعالى: " ليتفقهوا في الدين " .(سورة التوبة ، الآية 122) .

فعملية الاجتهاد بوصفها منهجية دقيقة متكاملة في تكوين المعرفة بالشريعة الإسلامية، وتحديد الموقف الشرعي حسب مقتضيات الحال في الزمان و المكان مرتبطة بالفقه.و الفقه في حقله الدلالي لا يقتصر على مجرد المعرفة فقط بل يشير أيضا إلى عنصر الفهم، و المقصود بالمعرفة تلك التي تتصل بجانب العلم، أما الفهم فيقصد ذلك الذي يتصل بجانب العقل، وبالتحليل المنطقي يمكن القول أن المعرفة تتصل بجانب التصورات والفهم يتصل بجانب الخبرات، فالفقه:معرفة و تعقل لهذه المعرفة.[93]

لقد تتبع زكي الميلاد استعمالات مصطلح الفقه الحضاري على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، و من بين الذين استعملوا هذه التسمية الدكتور سيد دسوقي حسن في كتابه "مقدمات في مشاريع البعث الحضاري" الذي افتتحه بمقدمة عنوا ا " نفر الفقه الحضاري " حيث دعا فيها علماء هذه الأمة أن تنفر مجموعة منهم – يسميها بنفر الفقه الحضاري – ليتفرغوا لعملية الفقه الحضاري، حيث يجتمعون فيما بينهم للعمل الفكري و يتعاونون به، لينيروا للأمة در ا فلا يختلط عليها الوافد باسم المعاصرة .

كما اهتم عمر اء الدين الأميري بتسمية الفقه الحضاري، و تطرق لها في عدة كتب منها كتاب " في الفقه الحضاري " وكتاب" وسطية الإسلام في ضوء الفقه الحضاري " وكتاب " الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية في ضوء الفقه الحضاري"، و اعتبر أن هذه التسمية اصطلاح جديد لمنهج سديد في البحث و العلم والفهم و السلوك .

93 - زكي الميلاد ، المسألة الحضارية ، مصدر سابق ، ص .18 .

و توصل لهذا المفهوم - حسب قوله -بعد تدريسه لمادة الحضارة الإسلامية - في كلية الآداب و العلوم الإنسانية - بمدينة فاس المغربية في بداية ثمانينات القرن العشرين ، حيث كان ينهل مادة محاضراته من المعطيات القرآنية و المعارف الإسلامية .

وقد توقف باهتمام عند الآيات التي وردت فيها كلمة "يفقهون " كقوله تعالى:" قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون "(سورة الأنعام - الآية 98)، و قوله تعالى: " انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون "(سورة الأنعام - الآية 65)، و توصل إلى أن فقه الدين هو فقه الحياة، و هو عنده بالتالي الفقه الحضاري الذي حدد له أربعة عناصر و هي:

1-الاستيعاب الحضاري للقضايا والقيم والأفكار من جميع الجوانب، و من جهة أصلها وملابسا ا لتحقيق دقة البحث و رشد التخطيط و سلامة التصرف.

2- النظر الحضاري، و هو خصوص من عموم الاستيعاب لتعميقه و تنويره وترشيده، و الجمع فيه بين الشمولية و الدقة لإمداد البحث النظري و التطبيق العملي بضمانات الصحة و السداد .

3- الإدراك الحضاري، و هو حصيلة العنصرين السابقين، الاستيعاب و النظر لوضع القضية المدروسة في سلمها الصحيح و مرتبتها اللازمة.[94]

4- السلوك الحضاري، لإخراج الفقه الحضاري من حيز البحث النظري و تكوين الخبرة والملكة الشخصية إلى حيز الإفادة العملية فرديا وجماعيا، و بالتالي وضع المناهج الحضارية لسلوك الأفراد والجماعات و الأمم مستمدة من معطيات التجارب وعبر الماضي ومكابدة الحاضر و ذلك لتسديد المستقبل.

إلى جانب الاستعمالين السابقين لمفهوم الفقه الحضاري أشاد زكي الميلاد بالجهود التي قدمها الدكتور عبد ا يد النجار في كتابه "الشهود الحضاري للأمة الإسلامية " الصادر عام 1999، حيث حاول أن يقدم فيه تحديدات أكثر وضوحا و تماسكا لمفهوم " الفقه الحضاري " ليعطيه إمكانية التقبل العلمي و الموضوعي و ليبرر لنفسه استعماله بقناعة .

و في إطار صياغة الدكتور النجار لمفهوم الفقه الحضاري، انطلق من " أن كل حضارة تصطبغ في منهجها كله، و في إنتاجها جميعه بلون الفكرة التي منها نشوؤها و تطورها، حتى يتكون من ذلك في كل حضارة فقه خاص ا يتمثل في منطق داخلي تقام عليه بنيتها و تتحكم

[94] - زكي الميلاد ، المصدر السابق . ص . 19 .

به سيرورا، انفعالا بالفكرة التي نشأت منها، و المنطق الذي يحكم الحضارات يختلف من حضارة إلى أخرى تبعا لاختلاف الأفكار التي أنشأت كلا منها ومن ذلك كان تمايز الحضارات و تنوعها عبر التاريخ " .

معنى هذا أن الفقه الحضاري عند الدكتور النجار لا علاقة له بالفقه الذي هو العلم المعروف، و إنما يقصد به المبادئ و الأصول و القواعد التي تشكل نسقا يحكم الظاهرة المعينة أو العلم المعين أو الحضارة المعينة .

و بناءً على ذلك فإن أيه حضارة يكون تطورها في إطار نسقها على قدر وفائها لمنطقها الداخلي الذي يتكون به فقهها الخاص، كما أن فهم أية حضارة في مظاهرها المختلفة، أو محاولة السعي في توجيهها – لما فيه تقويم انحرافها – أو في بعثها من ركودها، كل ذلك يتوقف على فهم فقهها الخاص الذي عليه قامت و تطورت، و أن أي محاولة لإحياء حضارة ما و بعثها من ركودها تكون من خارج ذلك الفقه فإنها تبوء بالفشل في تحقيق هدفها .[95]

و مجمل القول إن زكي الميلاد رغم أنه لم يقدم تفسيرا صريحا يخول استعمال مصطلح الفقه الحضاري، إلا أنه يبدو أكثر اتفاقا و ترجيحا مع الاستعمال الذي قدمه الدكتور النجار، مع ذلك ما زال يعتقد أن مصطلح " الفقه الحضاري " رغم ما تضمنه من دلالات مهمة إلا أنه ما زال بحاجة إلى تحديدات معرفية وتعميقات في مكوناته المفهومية ليكتسب أكبر قدر ممكن من التماسك و الوضوح .

2 - المشروع الحضاري :

لقد شكلت تحولات حقبة ثمانينات القرن العشرين وبداية التسعينات منه و بوجه خاص منها وصول الإسلاميين إلى إدارة المجتمع و الحكم و الدولة في إيران في أول تجربة لهم خلال التاريخ الحديث، و مع انبعاث صحوة الشعوب العربية و الإسلامية و اتساع رقعة هذه الصحوة بدأ الحديث يتصاعد و بحماس كبير حول تطبيق الشريعة الإسلامية والدعوة إلى قيام الدولة الإسلامية.

في ظل هذه الأوضاع طرحت أسئلة جديدة،دقيقة وحرجة من داخل الخطاب الإسلامي نفسه و من خارجه أيضا، و من هذه الأسئلة :كيف سيدير الإسلاميون نظام الحكم و الدولة ؟

[95] - المصدر السابق . ص . 20 .

و ما هي برامجهم ومشاريعهم في ا الات المختلفة ، سياسيا، اقتصاديا ، اجتماعيا ودوليا ....؟ هذه التساؤلات الواقعية والمحرجة تعبر بحق عن مرحلة ما بعد فكرة الحل الإسلامي والانتقال إلى مكونات و تفاصيل هذا الحل، كما تعبر من جهة أخرى عن الحاجة إلى تطور فكري عميق داخل الفكر الإسلامي .

في هذا النطاق تبلورت فكرة المشروع الحضاري و حلت مكان فكرة الحل الإسلامي من جهة التداول والحضور في الخطابات الإسلامية المعاصرة، [96] و صدرت بخصوصه بحوث ودراسات و مقترحات في غاية القيمة، مع ذلك مازال المصطلح يعاني من الغموض، هذا ما جعلنا نتساءل: ماذا يقصد زكي الميلاد بالمشروع الحضاري الإسلامي المعاصر ؟و كيف السبيل إلى صياغة هذا المشروع ؟

2 – 1 – مفهوم المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر:

يرى زكي الميلاد أن مفهوم المشروع الحضاري بحاجة إلى ضبط معرفي حتى تتضح دلالته و مكوناته وأبعاده كي يتخلص من كونه مفهوما فضفاضا، ولهذا سعى لتحديد هذا المفهوم بطريقتين: تفكيكية ثم تركيبية.

2 – 1 – أ - الطريقة التفكيكية:

و فيها حلل زكي الميلاد مفهوم المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر إلى عناصر كالتالي:

- **المشروع** : يفرق الميلاد بين المشروع و النظرية، في أن كلمة المشروع توحي بالمخطط الذي يفترض فيه الاكتمال و يكون جاهزا للتطبيق بعد تحديد الأسس النظرية و آليات التطبيق المبنية على دراسة الواقع و شروطه ومكوناته ومقتضياته، بعكس مفهوم النظرية التي توحي بعدم توفر الجوانب التطبيقية بل تنصرف إلى جانب النظر و تدور في إطاره ، فالمشروع يفترض فيه الوضوح والواقعية ومواكبة حاجات الواقع، و يرى البعض أن كلمة المشروع كانت غائبة عن الخطاب الإسلامي حينما كان هذا الخطاب يـ ع نحو الجوانب النظرية ، و حينما اقترب من الواقع بدأ الحضور الواسع لهذه الكلمة . [97]

---

[96] - المصدر السابق ، ص – ص 112 – 113 .

[97] - المصدر نفسه ، ص . 115 .

- **الحضاري:** هي وصف للمشروع ومكون لإطاره وملامحه واتجاهاته، والمقصود بالحضاري هو القدرة على الحضور بالمعنيين الوجودي والمعنوي – كما سبقت الإشارة إلى ذلك في مفهوم الحضارة عند زكي الميلاد -.
- **الإسلامي**: يراد من الإسلامي الإشارة إلى القاعدة المرجعية المكونة فكريا و فلسفيا وأخلاقيا للمشروع الحضاري، فالمشروع الحضاري الذي نتطلع إليه هو الذي ينطلق في أسسه وركائزه في أصوله و فروعه، في ثوابته و متغيراته في مقاصده و غاياته في نظمه وقوانينه من الإسلام.

الإسلام كله ضة وإحياء وتجدد لأنه دعوة للعمل " وقل اعملوا "(سورة التوبة– الآية 105)، و دعوة للسعي:" و أن ليس للإنسان إلا ما سعى " (سورة النجم – الآية 39)، دعوة للعلم :"و قل ربي زدني علما " (سورة طه – الآية 114) و دعوة للكدح:"يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا "(الانشقاق – الآية 6)، [98]فالإسلامي هو المعيار الرئيسي و الثابت في تحديد واختيار المنهج لتجديد الفكر الإسلامي، كما أن الفكر المستهدف في عملية التجديد هو فكر يتصل بالمرجعية الإسلامية، و إذا لم يتصل ذه المرجعية أولم ينتم إليها فهو خارج عن مجال البحث ". [99]

و ما دام الإسلام هو المكون التاريخي والجوهري لروح الأمة، لذلك لا يمكن التفكير في ضة حضارية للأمة بعيدا عن الإسلام و قاعدته المرجعية .

- **المعاصر:** من شروط المشروع الحضاري الإسلامي أن يكون معاصرا، بمعنى أن يكون مستوعبا للعصر وحاجاته و متطلباته، و أن يكون منفتحا لا منغلقا اجتهاديا لا تقليديا، شوريا لا أحاديا، جامعا لا تجزيئيا، مستقبليا لا ماضويا.

و الخلاصة أن المشروع يرمز إلى الإطار، و الحضاري يرمز إلى صورة هذا الإطار، والإسلامي يرمز إلى جوهر هذا الإطار، و المعاصر يرمز إلى زمن هذا الإطار . [100]

---

[98] - المصدر السابق ، ص .117 .

[99] - زكي الميلاد ، الإسلام و التجديد ، كيف يتجدد الفكر الإسلامي ؟،
(بيروت : المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 2008) ، ص . 243 .

[100] - زكي الميلاد ، المسألة الحضارية ، مصدر سابق . ص. 118 .

2 – 1 – ب – الطريقة التركيبية :

إذا نظرنا إلى مفهوم المشروع الحضاري الإسلامي بطريقة تركيبية فهو في إحدى جوانبه " بلورة لتفصيلات مناهج الحل الإسلامي و تقديم الإسلام كمرجعية بديلة في بناء ا تمع والدولة عن المرجعيات الأخرى الليبرالية العلمانية و الاشتراكية الماركسية اللتين تبنتهما الدول العربية الحديثة، و ذا التطور طرح الإسلام في النطاق العالمي باعتباره أحد الخيارات الحضارية الذي بإمكانه أن يساهم بتصورات واجتهادات في مواجهة التحديات الحضارية والمشكلات الكبرى عالميا ". [101]

و في جانب آخر يتجلى في أنه المشروع الذي" تجتمع عليه الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغار ا، في آسيا و إفريقيا،و هو القادر على إنشاء الكتلة العالمية الثالثة التي تحفظ التوازن بين الروح والمادة بين الدين والدنيا، بين الفرد و ا تمع، بين الشرق و الغرب، ويبرز للبشرية أمة وسطا، إن الأخذ بالحلول الأخرى المستوردة سيمزق الأمة الإسلامية ويفرقها بدد " . [102]

كما أنه بمثابة التوجيه لعقل الأمة وأنظار صفو ا الفكرية نحو منابع المشروع الحضاري النهضوي الكفيل بإخراج هذه الأمة من متاهة فكريات ونظريات التغريب والاستلاب الحضاري و إخراجها أيضا من مستنقع التقليد و الجمود أي من شقى التقليد الأعمى ، و تقليد الغرب و تقليد عصر التراجع في تاريخنا الحضاري " . [103]

و من جوانبه أيضا أنه " ليس مجرد عقيدة و ليس مجرد ذيب للروح و تربية للفضائل، بل و إلى جانب ذلك، نظام اقتصادي عادل، و نظام اجتماعي متوازن، و تشريع مدني، وتشريع جنائي، و قانون دولي، و توجيه فكري " .

---

[101] - زكي الميلاد ، من التراث إلى الاجتهاد – الفكر الإسلامي و قضايا الإصلاح و التجديد –
(المغرب : المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2004) ، ص . 308 .

[102] - يوسف القرضاوي ، الحل الإسلامي فريضة و ضرورة ، حتمية الحل الإسلامي ،
(الجزائر : نشر و توزيع مكتبة رحاب ، ط13 ، 1988) ، ص . 159 .

[103] - محمد عمارة ، المشروع الحضاري الإسلامي ،
(القاهرة : دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع ، ط1 ، 2005) ، ص . 45 .

و مجمل القول: إن المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر هو برنامج لمواجهة التخلف بكافة أبعاده وأنماطه و صوره، و النهوض بالعالم الإسلامي نحو التحضر و المدنية " .[104]

2 – 2 – كيفية صياغة مشروع حضاري إسلامي:

يذهب زكي الميلاد إلى أن المشروع الحضاري الإسلامي ليس مشروعا جاهزا، و حتى نصل إلى صياغة مثل هذا المشروع نحتاج إلى إنجاز المهام الفكرية التالية:

- تحديد الموقف المعرفي من التراث، و هذا يقتضي منهجية علمية قوامها النقد والفحص في قراءة تراثنا لغربلة الجوانب الحية و المعقولة من الجوانب الميتة و اللا معقولة ، لأن كل نهضة حضارية إنما تنطلق من رؤية صحيحة لتراثها .
- تحديد الموقف المعرفي من التراث الإنساني بصورة عامة، و من الغرب بصورة خاصة – لما يمثله من حضارة متقدمة – و هذا يتطلب منهجية علمية نقدية واستكشافية في قراءة الغرب و تراثه الفكري و الفلسفي و تجربته الحضارية للتخلص من هيمنته.
- إبراز الدور العلمي والحضاري في المجال الإسلامي و دور الإسلام في بناء الحضارة الإنسانية ومساهمة العلماء المسلمين في اكتشاف المعارف و العلوم.
- التركيز على قيمة العقل والعلم في الإسلام فهو الدين الذي بدأ بآية " اقرأ " واعتبر طلب العلم فريضة و التفكير عبادة و جعل العقل حجة ورفع منزلة العلماء.
- الاهتمام بإصلاح و تطوير نظم ومناهج وأساليب وخطط وبرامج التربية والتعليم و التعليم العالي و مضاعفة الاهتمام بالبحث العلمي.
- التقدم باتجاه إسلامية المعرفة وإصلاح مناهج الفكر الإسلامي والتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية و الإنسانية.[105]

3- المسألة الحضارية:

في إطار السعي لاستعادة الحضارة، بالاستناد إلى الإسلام و قاعدته المرجعية تبلورت خيارات زكي الميلاد الثقافية، و أضحت المسألة الحضارية هاجسه. فهي تدخل في عمق وصميم اهتماماته الفكرية .

[104] - زكي الميلاد ، المسألة الحضارية ، مصدر سابق ، ص . 118 .
[105] - المصدر نفسه ، ص . 119 .

إن الناحية المنهجية تفرض علينا تحديد مفهوم المسألة الحضارية، لكن زكي الميلاد عندما حاول الإجابة عن السؤال: ما ماهية المسألة الحضارية ؟ فإنه أكد جازما بأن الإجابة عن هذا السؤال لن تكون إجابة ائية على الإطلاق، و أ ا سوف تفتقد إلى قوانين اليقين و الثبات وذلك راجع إلى الحقل الذي تنتمي إليه مثل هذه التسمية ألا و هو حقل الدراسات الثقافية والحضارية، و هو حقل لا يشترط درجة عالية من التشدد واليقين في التسميات والألفاظ والمصطلحات خلافا لحقل العلوم الطبيعية والتطبيقية التي تشترط الإتحاد والاتفاق والمعنى الواحد للتسميات والألفاظ كون حقائقه تتصف بالجزم و اليقين. رغم هذه الصعوبة إلا أن زكي الميلاد يرمي إلى تكوين رؤية راجحة تكون أقرب إلى الصواب قدر الإمكان .

3 – 1 – مفهوم المسألة الحضارية:

يقصد زكي الميلاد بالمسألة الحضارية:"النظر إلى القضايا والظواهر والمشكلات على أساس منهج التحليل الحضاري الذي يأخذ بعين الاعتبار مشكلات التخلف من جهة وضرورات التقدم من جهة أخرى " [106]

كما جاء في مقدمة الطبعة الأولى لكتاب "المسألة الحضارية " أ ا:" منظور الرؤية لمشكلاتنا الحضارية، وعلاقتنا بالعالم على ضوء هذه المشكلات، والتفكير في سبل النهوض والبناء الحضاري الجديد "،كما تعني أيضا :" التفكير على مستوى الحضارة، و إعادة صياغة أسئلة الحضارة بعد هذه التغيرات والتبدلات التي عصفت بالعالم من كل جهاته و أبعاده، وضرورة أن نفتح ملف حضارتنا، ندرسه و نقومه و نراجعه، ونراجع معه أنفسنا وواقعنا وتجاربنا ".

أما الهدف الذي يسعى إليه الميلاد من خلالها هو "أن ندرس علاقتنا بالعصر، و التواصل مع حركة الأفكار و المعارف التي يزخر ا العالم ". [107]

3 – 1 – أ – منهج التحليل الحضاري:

معنى هذا أن المسألة الحضارية هي محاولة لحل مشكلاتنا الحضارية، مع مواكبة التغيرات العالمية والانفتاح عليها دون الانقطاع عن الواقع و مراجعة و تقويم الماضي. و هذا بالاعتماد

---

[106] - المصدر السابق . ص . 154 .

[107] - المصدر نفسه ، ص . 8 .

على منهج التحليل الحضاري، والذي يتمحور عنده حول قطبين بارزين هما: مشكلة التخلف من ناحية و مطلب التقدم من ناحية أخرى.

- **أولا: مشكلة التخلف:** يمثل التخلف بكافة صوره و تكويناته أعظم مشكلة في الأمة، فهو يؤثر على جميع المشكلات في مختلف الأبعاد لأن التخلف لا يتحدد بمجال و لا يقف عند حد ، فهو شديد الفاعلية والتأثير و الفتك و سريع الانتشار و الامتداد والتجذر و هو الذي يقوي نفسه بنفسه ويحمي نفسه بنفسه، ويجمع حوله الآفات والأوبئة بكل أصنافها ودرجا ا، و يصيب النفس والعقل والروح والضمير والعاطفة والفكر و يمتد إلى كافة التكوينات الاجتماعية الصغيرة و الكبيرة من الفرد إلى الجماعة و ا تمع و الأمة .
- **ثانيا: مطلب التقدم:** يمثل التقدم عند زكي الميلاد مطلبا ملحا وإدراكا فاعلا وقضية حاضرة فهو: رؤية و منهج و نظام.

* فهو الرؤية التي تخترق الحجب و تتغلب على المعوقات و تواجه كل أشكال الاستسلام للعجز والإحباط و الفشل.

* و هو منهج يجعل من التقدم خطوات ممنهجة تكون متلاحقة و مترابطة ومتكاملة، المنهج الذي يرسم الطريق حتى لو كان طويلا و شاقا، لكن معالمه واضحة و مسالكه بينة .[108]

* و هو نظام يجعل من التقدم بناءا راسخا له قواعد وضوابط وتقاليد تكرس الفاعلية و الانجاز وتعزز أخلاقيات التعاون و التضامن و الإتقان .

فالرؤية هي الفكرة، والمنهج هو الطريق، و النظام هو البناء. الرؤية تتطور وتتحول إلى منهج، و المنهج يتطور ويتحول إلى نظام، و النظام يتطور و يتحول إلى بناء، وبشكل تخطيطي:

الرؤية (الفكرة) تتطور ← منهج (الطريق) يتطور ← نظام (بناء) .

1- ضرورات التقدم :

1 – أ – على مستوى المعرفة :

من منطلق أن الحضارة في عالم الإسلام بدأت بكلمة " اقرأ " التي مثلت قانون الحضارة، فقد

[108] - المصدر السابق ، ص . 154 .

كان من ضرورات التقدم إعطاء الأولوية لطلب العلم، وحب المعرفة، والتخلق بالثقافة، وتقدير العلماء، وتطوير مؤسسات وبنية التعليم، والنهوض بالبحث العلمي،و السير في الأرض والنظر في تاريخ الأمم والحضارات،واكتساب العلوم و المعارف على قاعدة الحكمة ضالة المؤمن، والقضاء على كافة أشكال الجهل و الأمية، معنى هذا أن عملية التقدم هي حصيلة تراكمات للأمم و الحضارات السابقة لمعرفة القوانين التي تحكمها عبر الزمن .[109]

لأن جوهر معركة الحضارة أ ا معركة في نطاق العلم، لأن من يمتلك العلم يمتلك القوة و القدرة على التقدم و التمدن، و من دون التقدم في العلم فلن نمتلك القدرة على المواجهة الحضارية.

1 – ب – على مستوى المنهج :

ينبغي علينا تعميق النظر والتحليل والعمل على ضبط الأولويات من خلال تراتب المشكلات و القضايا ونوعيتها،وتحديد من أين يفترض أن تبدأ نقطة الصفر؟وأين تكمن معركتنا الحقيقية ؟ هل تكمن في مواجهة الحضارة الغربية أم في مواجهة التخلف على صعيد الذات ؟ هل عملية النهوض و التغيير تبدأ من الداخل " الذات " أم من الخارج " الآخر " ؟

لم يكتف الميلاد بطرح هذه التساؤلات، بل قدم إجابة صريحة، حيث حدد أن التغيير يبدأ من الذات وتصنعه الأمة و هو تغيير في الجوهر و ليس شكلي، حيث يشتمل تغيير الثقافة والقيم و الأخلاق وكل ما يتصل بتكوين الذات و تجديدها و صياغتها .

هذا المنهج استوحاه الميلاد من عمق ثقافته الدينية، حيث استند إلى القرآن الكريم الذي حدد قانونا جوهريا للحركة التاريخية والتغيير الاجتماعي، في قوله تعالى: " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " (سورة الرعد – الآية 11) .[110]

والمسألة الحضارية ذا المعنى ترتبط بالشرط التاريخي الذي يحدد مفهوم و فاعلية الزمن وعلاقته بالتقدم، فما المقصود بالشرط التاريخي ؟

---

[109] - المصدر السابق ، ص . 155 .

[110] - المصدر نفسه ، ص . 18 .

2- الشرط التاريخي :

الشرط التاريخي عند زكي الميلاد من طبيعته التغير و التحول من زمن إلى آخر، و من مرحلة إلى أخرى بحسب اتجاهات التأثير وحركة قوى التغيير ومجموع العناصر والقوى المؤثرة والمحركة .

وبحسب هذه القاعدة فإن كل أمة بحاجة لأن تكتشف لنفسها رؤيتها للمسألة الحضارية بما يتوافق مع متطلبا ا الجوهرية و بالشكل الذي ينسجم و طبيعة مشكلات التخلف من جهة و ضرورات التقدم من جهة أخرى، و محاولة تشخيص هذه المشكلات و الضرورات و فحصها و معرفة قوانينها.

و ما دام أن طبيعة الشرط التاريخي التغير و التحول عبر الزمن فإنه من المؤكد أن تختلف و تتغير صورة الشرط التاريخي مع عصر العولمة و ثورة المعلومات بالإضافة إلى التطور السريع والمذهل في شبكات الإعلام و تكنولوجيا الاتصالات، التي جعلت العالم شديد الترابط والانكشاف، فهذه التحولات أصبحت تمثل تحديا في وجه المسألة الحضارية مما يفرض عليها أن تفهم علاقتنا بالعالم و تواصلنا مع العصر و التحكم في إرادة العولمة لوضع مستقبل واعد . [111]

نتائج الفصل الأول : من خلال التحليل السابق يمكن أن نحوصل نتائج الفصل الأول فيما يلي:

- تختلف الحضارة من خلال تحديدها من مفكر لآخر، و من فيلسوف لآخر، و هذا حسب المدرسة الفكرية التي ينتمي إليها أو إيديولوجيته، من هنا لا نجد تعريفا موحدا للحضارة، وهذا يعكس مدى تعقيد موضوعها و عمق أفكارها.

- يعتبر ابن خلدون أول من أعطى مفهوم الحضارة دلالات متكاملة، حيث جعل الحضارة مقابل للبداوة، بما يعنيه ذلك من أنماط حياتية و سلوكية و اقتصادية و اجتماعية و سياسية و نفسية.

- تعد أطروحة مالك بن نبي المفكر الجزائري منهجا فريدا في سبيل النهوض الحضاري ليس على المستوى الجزائري فحسب، بل على مستوى العالم الإسلامي والإنساني ، فقد طرح

[111] - المصدر السابق ، ص . 155 .

رؤية جديدة لأزمة المسلمين والطريق لتجاوزها ليتبوأ العالم الإسلامي مقعده اللائق في مصف الحضارة الإنسانية .

- طبيعة الحضارة عند اشفيتسر في جوهرها أخلاقية روحية و ليست مادية، و هو لا يفرق بين الحضارة و المدنية إلا على أساس وجود الأخلاق أو انعدامها، و المدنية هي مستوى العمران والاقتصاد الذي يمثل الحضارة أو البلد، أما عند هنتغتون فإن الثقافة جزء من الحضارة .

- الحضارة عند زكي الميلاد تتعدى المعنى اللغوي المتكرر في المعاجم و القواميس ليجعل من الحضور فعالا يواكب التطور و ينفتح على العصر و متغيراته.

- رغم ثراء المعاني و الدلالات اللغوية لكلمة الثقافة، لكنها ظلت جامدة و لم تتحول إلى مفهوم.

- الثقافة عند زكي الميلاد تمثل قوة روحية أخلاقية ضرورية للنهوض بالأمة و السير ا نحو التقدم.

- فلسفة الثقافة تختزل التعقيدات المتباينة في النظر إلى الثقافة، مما يغنينا عن الانشغال بتعريفات الثقافة المتكاثرة، وهي طريق للاستقلال الثقافي وسبيل نحو التمدن دون الانقطاع عن الثقافات الأخرى .

- إن كلمة الفقه هي التي احتلت مكان الثقافة في المنظومة الإسلامية و بإمكا ا أن تعادل كلمة الثقافة عند الأوروبيين، حيث يتفقان لغويا في معنى الفهم و الفطنة .

- و أخيرا، المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر هو برنامج لمواجهة التخلف والنهوض بالعالم الإسلامي نحو التحضر والمدنية بالاستناد على المرجعية الإسلامية حيث تجد فيه الأمم والحضارات خيارا و اتجاها فعالا مختلفا عن النموذج الغربي وهو ما تحاول أن تجسده المسألة الحضارية .

- المسألة الحضارية تهتم بالنظر إلى القضايا والظواهر والمشكلات على أساس منهج التحليل الحضاري الذي يأخذ بعين الاعتبار مشكلات التخلف من جهة و ضرورات التقدم من جهة أخرى من خلال تكوين وعي عالمي له خاصية التواصل مع العالم على كافة الأصعدة و المستويات، لمواجهة المخاطر و التحديات.

و إذا كان الأمر كذلك، فإن السؤال الذي يفرض نفسه: هل يمكن أن نراهن على مقدرة المسألة الحضارية على الرقي بمكتسبات الحضارة الإسلامية و تراثها القيمي بما يواكب تحولات العصر ؟ فيما تتجلى جملة التحولات و الرهانات التي شهدها الساحة العالمية ؟ و كيف شخص الميلاد مآخذها، و هل توجد إمكانية للتكيف معها ؟

الفصل الثاني:

الحضارات بين الصدام و الحوار

مدخل:

المبحث الأول: نظرية صدام الحضارات... الفكرة و النقد

1 – صدام أم صراع (Struggle – Conflict/Clash)

2 – عرض نظرية صدام الحضارات عند هنتغتون

3 – نقد زكي الميلاد لنظرية صدام الحضارات

المبحث الثاني: نظرية حوار الحضارات... الفكرة و النقد

1 – حوار الحضارات: السياق والدلالة

2 – دعاة الحوار

أ – روجيه غارودي

ب – محمد خاتمي

3 – نقد زكي الميلاد لنظرية حوار الحضارات

نتائج الفصل الثاني

مدخل:

أمام عالم متحول معالمه القديمة انتهت- بسقوط المرجعيات القديمة والمتمثلة في الشيوعية- ومعالمه الجديدة مازالت مفتوحة على كل الاحتمالات، فعلى إثر ا يار الاتحاد السوفيتي حدثت تغيرات بارزة على صعيد العلاقات الدولية لفترة ما بعد الحرب الباردة، فقد أدت هذه التغيرات إلى رواج الكثير من المفاهيم والأطروحات منها: أطروحة اية التاريخ، العولمة، صدام الحضارات، و حوار الحضارات سنكتفي نحن في هذا الفصل بالأطروحتين الأخيرتين ونؤجل الحديث عن الأولى والثانية إلى الفصل الثالث حسب مقتضيات البحث.

عندما صدرت أطروحة الصدام بين الحضارات، جندت الدول الغربية حملتها الدعائية ضد الإسلام متهمة إياه بكل مظاهر العنف والتعصب والإرهاب، بالمقابل هناك من رأى بأن العلاقات الدولية لما بعد الحرب الباردة بحاجة إلى حوار بناء و فعال بين الحضارات.

هذه المقولات والأطروحات المتضاربة تدفعنا إلى طرح جملة من التساؤلات: هل الحضارات فعلا في حالة صراع كما يدعي بعض فلاسفة الغرب ؟ أم نحن نعيش حالة حوار بين الحضارات كما يطالب بعض المفكرين العقلاء ؟ هل نحن طرف حقيقي وفاعل في هذا الصراع أم أقحمونا فيه بدعواهم أن الإسلام هو العدو الأول للغرب ؟ ما هو الموقف الذي يتوجب على العالم العربي و الإسلامي أن يتخذه إزاء ما يحاك حوله من دسائس و مؤامرات ؟

المبحث الأول : نظرية صدام الحضارات .... الفكرة و النقد .

1- صدام أم صراع (Struggle – Conflict/Clash)

إن الناحية المنهجية تقتضي أن نتفحص بعض المصطلحات والتي لها علاقة بمبحثنا هذا، والتي استعملها الكثير من مفكري ومنظري الدراسات الإستراتيجية في الدول النافذة ورددها الإعلام الغربي.

فلقد التبس لدى كثير من الكتاب لفظان اصطلاحيان هما: الصدام والصراع، تسبب عدم تحديدهما في كل دراسة على حدة في نشوء عدد كبير من الخلافات، يمكن نفي أغلبها بالعودة إلى التفريق بينهما على أساس التعريف، حيث تشهد المؤلفات السياسية القديمة على وجودهما في التداول التأليفي المروي والمكتوب من الراهن بين أيدينا، منذ القرن الخامس قبل بداية التأريخ الميلادي في الحضارة الغربية التي ل منها المفكرون المسلمون و الغربيون المحدثون – على حد سواء– أكثر من غيرها في معالجة قضايا ا تمع [1].

1 – 1 – تعريف الصدام:

أ-التعريف اللغوي: ورد في منجد اللغة العربية:صدم صدما: دفَع بعنفٍ و شِدة، دخل في الشيء وحطّمه، صِدام، تصادم، ارتطام شيء بآخر، خِلاف، نزاع، مشادة، مشاحنة. [2]

أما في قاموس أكسفورد الحديث فإن كلمة " clash " تحمل معنى ، يتنافر، يتضارب، يشتبك اشتباكا مسلحا. [3]

ب- التعريف الإجرائي:" الصدام يعني حالة التأثير الحاصل بين شيئين متجانسين أو غير متجانسين في مادة التكوين (الطبيعة) أو الفاعلية (السبب) أو الغائية (الغرض)،لدى التقائهما في

زمان ومكان معينين، إذا أعاق أحدهما انتشار الآخر أو منعه أو دعاه إلى التراجع.[4]

جـ - خصائص الصدام: تتمثل أهم خصائص الصدام فيما يلي:

---

[1] - محمد ياسر شرف، إعادة تنظيم العالم– دراسة تحليلية نقدية لأطروحة صامويل هنتغتون في صدام الحضارات، (دمشق : وزارة الثقافة 2004) ، ص . 375 .

[2] - المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، مرجع سابق ، ص – ص ، 825 – 826 .

[3] - Oxford Basic EnglishDictionary , New 3rd edition ,University Press ,2006, p 68

[4] - محمد ياسر شرف ، مرجع سابق ، ص – ص 375 – 376 .

- إن الصدام بعقلية الغرب: الأورو- أمريكي تعني الإجبار والقسر والقتل والتدمير، وهي مسالك يمكن للحضارة الغربية أن توظفها لخدمة أهدافها، حيث أجازت لنفسها في حالة صدامها وتنافرها مع الآخرين بسلوك ما تراه مفيدا و بما يمكنها من تحقيق النصر في تلك المواجهة، فالغرب لا توقفه موانع أو محظورات أو مقدسات بل تسيره عقلية براغماتية ذرائعية همّها الأول أن تكون الأولى دون البقية من الآخرين، حتى و إن كانوا قريبين منها في الفهم نحو الشراكة السياسية أو الاقتصادية.
- الصدام نفي واستئصال وتغريب وهجرة نحو التخوم العالية، فهو نفي لما يمكن أن نطلق عليه الأفكار المشتركة للسياق الحضاري الواحد لعالم القرن الواحد و العشرين، المتضرر الوحيد فيه هم الضعفاء أو عديمو التأثير، و لذلك فإن مستعملي ومرددي الألفاظ البراقة والخداعة في لغة السوق السياسية بمساعدة من وسائل الإعلام غير معنية بالحضارة على المستوى العالمي بقدر ما هم معنيون بترسيخ وتقدم و إثراء حضار م حتى و لو على حساب اندثار العالم الآخر.
- الصدام على الدوام يكون عنيفا و انتقاميا و أحيانا (منفلتا) فهو لم يكن في يوم هادئا أو دبلوماسيا أو حضاريا، لذلك فإن استعمال تعبير الصدام عن غيره من الاستعمالات – وهو الاستعمال الذي أشاعه هنتغتون في مؤلفه – مقصود و ليس مصادفة محضة، و هو في مضامينه البعيدة والمتكلسة في آخر الرأس دعوة إلى التحسب من الشرور التي تتعرض لها الحضارة الغربية من الآخرين، الأمر الذي يستوجب أن يتسلح مجتمع هذه الحضارة بما يمكنه من دخول الصدام معها والقضاء عليها وعلى شرورها . [5]

1 – 2 – تعريف الصراع:

أ – التعريف اللغوي:جاء في منجد اللغة العربية:صِراع، مصارعة، ِقتال، كِفاح، ِنضال، "صِراع سياسي – صِراع مسلح –الحياة صراع"،صراع: نزاع، خصومة، "صراع عقائدي – صراع الطبقات الاجتماعية " [6].

---

[5] - حميد حمد السعدون ، الغرب و الإسلام و الصراع الحضاري،
(الأردن : دار وائل للنشر ، 2004) ، ص – ص ، 26 – 27 .

[6] - المنجد في اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق ، ص 829 .

أما مصطلح الصراع" Struggle " فقد تحدد معناه في قاموس أكسفورد الحديث على شكل كفاح، صراع، نضال، يكافح ، يناضل، يصارع، يقاوم، يجاهد، يبذل جهده[7].

ب – التعريف الإجرائي: الصراع يعني حالة التأثير الفاعل المتبادل بين شيئين أو أمرين غير متجانسين في مادة التكوين (الطبيعة) أو الفاعلية (السبب) أو الغائية (الغرض) لدى التقائهما في زمان ومكان معينين حالما ينتشر أحدهما باتجاه الآخر، لأن اجتماعهما غير ممكن بسبب اللاتجانس في تلك الخاصات الثلاث التي تشكل الواحدة منها قوة طاردة لنقيضها (الخصم) .

و هذا يعني أن فكرة معينة (أطروحة – إثبات) لا يمكن أن تلتقي مع خصيمتها النقيض (طباق– نفي) إلا إذا أدخلت تعديلات جذرية عليهما معا، و ما ينتج عن هذا ليس اجتماع الفكرتين، بل فكرة ثالثة تنتفي منها التناقضات الضمنية (تركيب، نفي النفي) ولو كانت تشبه كلا من سابقتيها باعتبار ما [8].

ج – خصائص الصراع: من خصائص الصراع نجد:

- الصراع ليس عدوانيا، حيث تدخل تحت خيمته أشكال متعددة من الحوارات سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم علمية أم ثقافية أم عسكرية، وهو بالنتيجة ليس مفضيا للصدام والتطاحن بل إنه في أغلب الأحيان يكون جسرا لإيصال وجهات نظر المختلفين أو المتصارعين وصولا إلى التوائم والاتفاق، فالصراع حتى و أن دفعت الأقدار لاعبيه إلى الوصول لأية حالة عنيفة، فإن تلك الحالة تكون الاستثناء وليست القاعدة، و تكون نتائجه محكومة بخلق حالة من التآلف الحضاري التي أفرز ا أنشطة الصراع، ذات الشكل الحضاري، أي أن النتائج في شكل عمقها وتأثيرها في حالة الصراع الهادئ والمشحون بالحجة العقلية والفعل الميداني أكثر تأثيرا من النتائج المتحققة في حالة الصراع العنيف ولعل في مثال التلاقح الحضاري الذي جسدته الحضارة الإسلامية مع الحضارات الأخرى خير مثال.

-إذا الصراع يحتمل أن يكون عنيفا لكن هذا العنف حالة مؤقتة وشكل استثنائي، ولا يعني هذا العنف إلغاءا أو نفيا للمقابل بقدر ما يعني الضرورات التي استوجبتها الحالة وهو في كل الأحوال يكون صراعا تنافسيا يستقوي بجماهيره و حجته في دحض مشاريع المقابل.

---

[7] - Oxford basic dictionary , p 378

[8]- محمد ياسر شرف ، مرجع سابق ، ص – ص ، 376 – 377 .

- و لذلك بات الصراع أحد مستلزمات العصر، ابتداء من جهد الإنسان في كسب قوته وحتى تغيير قوانين الطبيعة، وعليه فالصراع حالة عالمية و ليست حكرا على حضارة دون أخرى، بل إن الحضارات في صراعها مع بعضها تكسب لنفسها وللحضارة الإنسانية الكثير من الإبداعات التي تخلقها حالة الصراع التنافسي .

-كما أن الصراع Struggle قد يكون شاملا وعلى صعد مختلفة وفي وقت واحد، بحيث تبدو أشكال الصراع وكأ ا فروع مشتعلة بالحماسة والقوة، مما يسترعي النظر ويوحي بالمواجهة لأن ساحة الصراع أصبحت أوسع من طاقات وحجم المتصارعين،و لعلّ في صراعات الأقدمين، حضارات آشور وبابل والإغريق و غيرها من الحضارات أبرز مثال على ذلك.

-الخصم في حالة الصراع هو خصم وقتي وقد ينتقل إلى حالة الحياد أو الصداقة مع من مارس معه شكلا من أشكال الصراعات المختلفة تبعا لسياقات القضية أو الوقت أو أشكال الحكم المتبدلة، لكن ذلك الخصم في حالة الصدام هو حالة من حالات الخط النهائي للأمور، أي أنه خصم يتعامل معه المقابل من دون تحفظ في ما يخص المحظورات أو الممنوعات أو حالات المرونة المطلوبة، إنه حالة يستوجب القضاء عليها لضرورات الأمر، و ـذا الشكل يصبح الخصم أقرب إلى أن يكون عدوا .[9]

- الصراع Struggle حتى و إن كان عنيفا في بعض صوره أو أوقاته فإنه في النتائج النهائية أكثر تقدمية وعلمية وحضارية عما سبقها من حالات حتى و إن كانت تلك الحالة الانتقالية عنيفة لأن الاضطرار الذي دفع بالصراع إلى حالة العنف هو حالة استثنائية تستوجبها ضرورات ما بعد انتهاء التصارع و شكل الطموح والرغبة اللتين تحقق أو حدث من أجلهما الصراع، أما حالة الانتقالة التي تتمخض عما بعد انتهاء الصدام Clash فهي حالة أقل ما فيها أ ا مليئة بالكراهية والأحقاد والثارات تتأسس على قاعدة نتائجها أيا كانت تلك النتائج أفعالا تكون أشد عنفا واستئصالا ونفيا عن ما سبقها من أفعال[10].

-أما الصراع عند بعض المفكرين المسلمين المعاصرين فإنه سنة فردية واجتماعية، فالصراع والتدافع هو سبيل الحيوية والنمو والازدياد علامة الحياة والاستمرار، ابتداء من الخلية وانتهاء

---

[9] - حميد حمد السعدون ، مرجع سابق ، ص – ص ، 28، 30 .

[10] - المرجع السابق ، ص – ص ، 31 – 32 .

بالحياة الحية، و هو أحد محركات الحياة الاجتماعية و امتداد التاريخ البشري، وله صوره المتعددة من الحوار والمفاكرة والمثاقفة، والمناظرة والقتال والمواجهة والمنافسة والسباق والمغالبة، كلها صور و معارك و الصراع بين الخير والشر والعدل والظلم، والحب والحقد، والعفو والثأر، والحق والباطل لا يتوقف إلا بتوقف الحياة[11].

نتيجة:

مما سبق نستنتج أن هناك بونا شاسعا بين مصطلحي الصدام و الصراع، فمصطلح الصراع الذي تجري استعمالاته مترادفة مع مفهوم الصدام بين منظري الاستراتيجيات الكونية هو أقل استفزازا و يجا، و هو حالة إنسانية أرقى من الصدام، و يحمل معاني أقل ضررا و عدوانية، ما يعني أن استعمال مصطلح الصدام مقصود،و ذا يتسنى لنا أن نمهد الطريق في استقراء العقل المهيمن عالميا.

2-عرض نظرية صدام الحضارات عند هنتغتون:

2 – 1 – دعاة الصدام: إن مفهوم صدام الحضارات ليس جديدا ولا هو ابتكار صمويل هنتغتون وإنما يعود إلى حوالي خمسين سنة خلت، و قد صاغه المفكر البريطاني برنارد لويس.*

2 – 1 – أ – برنارد لويس :

اتجه برنارد لويس إلى تبرير"جذور السخط الإسلامي" على أنه ليس شيئا أقل من صراع الحضارات، فهو ينظر إلى الإسلام على أنه واحد من أعظم ديانات العالم، كون الإسلام منح الراحة و الطمأنينة لملايين لا تحصى من الرجال و النساء، فقد أعطى كرامة و معنى للحياة التي كانت رتيبة تعيسة بائسة، كما أنه علّم شعوبا من عروق مختلفة أن يعيشوا حياة أخوية، كما أنه ألهم حضارة عظيمة عاش فيها المسلمون وغيرهم معا حياة خلاقة و مفيدة، و هذه الحضارة أغنت العالم بأسره بما حققته من إنجازات، و لكن وعلى شاكلة غيره من الأديان فقد عرف الإسلام فترات نفخ فيها روح **الكراهية و العنف** في أتباعه، ومن سوء حظنا أن غالبية –

---

11 - عبد ا يد عمراني، مستقبل حوار الحضارات في ظل العولمة ، تقديم : حسن حنفي،
(القاهرة : دار الوليد للتوثيق ، ط2 ، 2009)، ص 29 .

* برنارد لويسBernard Louis : مؤرخ بريطاني متخصص في قضايا الشرق الأوسط تاريخا و حضارة.

وليس كل – هذه الكراهية و العنف موجهة ضدنا في **الغرب،** هذه الكراهية تتجاوز أحيانا العداء الموجه ضد مصالح وأفعال و سياسات وحتى بلدان معينة و تصبح رفضا شاملا للحضارة الغربية برمتها .

كما أكّد برنارد لويس على أن القرآن بالطبع توحيدي بشكل راسخ، ويؤمن بإله واحد، و هناك صراع في قلوب البشر بين الخير و الشر أي بين أوامر الله والإغراءات، إلا أن ذلك يبدو وكأنه صراع مسير من قبل الله ومحسوم سلفا لصالحه، وظيفته اختبار الإنسان، وبخلاف الأديان الثنوية القديمة فليس للإنسان دور في هذا الصراع لتحقيق النصر للخير ضد الشر، رغم ذلك فإن الإسلام مثله مثل اليهودية والمسيحية تأثر بفكرة المثنوية حول صراع كوني بين الخير والشر، والنور والظلمات، النظام والفوضى، الحقيقة والزيف، الله وعدوه الذي عرف بالشيطان أو إبليس.

لكن صراع الخير والشر في الإسلام اكتسب بسرعة أبعادا سياسية وعسكرية، فمحمد – على سبيل التذكير–لم يكن فقط رسولا أو معلما على شاكلة غيره من مؤسسي الأديان فهو أيضا قائد الحكومة وا تمع حاكما **مقاتلا**،و من ثم فإن كفاحه استلزم دولة وقوات مقاتلة، إذا كان المقاتلون في سبيل الإسلام يقاتلون من أجل الله، فإن ذلك يستتبع القول إن خصومهم يقاتلون ضد الله، و بما أن الله هو المهيمن ومصدر السلطات من حيث المبدأ، وهو القائد العلوي للدولة الإسلامية، والنبي وخلفاؤه من بعده وكلاء مباشرون عنه فإن الله إذن هو راعي الجيش وقائده و الجيش هو جيش الله والأعداء هم أعداء الله .

فالرؤية الإسلامية تقسم العالم كله إلى فريقين: دار الإسلام، حيث تسود الشريعة والعقيدة الإسلامية، والباقي دار الكفر أو دار الحرب التي من واجب المسلمين أن يضموها إلى الإسلام. [12]

العالم الإسلامي في ذروة تألقه رأى نفسه كمركز الحقيقة والتنوير محاطا مجيين كفرة ينبغي عليه في الوقت الملائم أن يحضرهم و ينورهم، و لكن بسبب اختلاف مجموعات هؤلاء الأغراب الكفرة فقد ترتب على ذلك اختلاف آخر حاسم، فالأغراب في الشرق والجنوب

[12] - برنارد لويس - إدوارد سعيد ، الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية ، (بيروت : دار الجيل ، ط1 ، 1994) ، ص – ص ،10 - 13.

كانوا مشركين ووثنيين، و من ثم فلم يكونوا يشكلون أي ـديد خطير، ولم يعتبروا منافسين جديين للإسلام على الإطلاق، أما في الشمال والغرب فقد أدرك المسلمون منذ البدايات الأولى أن هناك خصما حقيقيا، دينا عالميا منافسا وحضارة متميزة بنيت بإلهام من ذلك الدين، هذا الكيان المنافس عرف من قبل أتباعه و غيرهم بالنصرانية و ما تمثله من عالم مسيحي.

استمر الصراع بين هذين النظامين المتنافسين لمدة أربعة عشر قرنا، لقد بدأ مع الأيام الأولى للإسلام في القرن السابع، واستمر عمليا حتى يومنا الراهن، و قد اشتمل سلسلة طويلة من الهجومات والهجومات المضادة، و طوال السنين الألف الأولى كان الإسلام متقدما، و كانت النصرانية في حالة تراجع و تقهقر مما عرضها للخطر، ولكن طوال الثلاثمائة عام الأخيرة، منذ اندحار الحصار التركي الثاني لفيينا عام 1683 وبروز الإمبراطوريات الأوروبية الاستعمارية في أوروبا وإفريقيا، تراجع الإسلام إلى وضع الدفاع [13] ونجحت المسيحية وحضار ا، و ما أعقبها في أوروبا و بنا ا، في جعل العالم كله بما في ذلك الإسلام يدور في فلكها.

و حسب برنارد لويس أن الشيء السيئ فعلا وغير المقبول هو هيمنة الكفرة على المؤمنين "الحقيقيين"، فبالنسبة للمتدينين يبدو أنه من المناسب والطبيعي أن يحكموا هم الكفرة لأن ذلك يوفر فرصة حماية الشريعة الإلهية، أما أن يحكمهم " الكفرة "فإن في ذلك إفساد للدين والأخلاق في ا تمع واستهتار بالشريعة الإلهية وتعطيلها، و هذا يساعدنا على تفهم الاضطرابات الراهنة في بقاع متعددة حيث يخضع المسلمون لحكومات غير مسلمة[14].

في البداية كانت استجابة المسلمين للحضارة الغربية نوعا من الإعجاب والمحاكاة واحترام كبير لانجازات الغرب ورغبة في تقليدها وتبنيها، هذه الرغبة نبعت من الإدراك الحاد والمتنامي بضعف و فقر و تخلف العالم الإسلامي مقارنة بالغرب المتقدم، و ربما على أمل إحياء تفوقهم المفقود.

أما في الوقت الراهن فقد تحولت حالة الإعجاب والمحاكاة إلى نوع من الرفض والعدائية، يمكن التأكيد إلى حد ما أن هذه الحالة العدائية نتجت عن شعور بالإذلال والإدراك المتنامي بين

---

[13] - المرجع السابق ، ص – ص ، 14 – 15 .

[14] - المرجع نفسه ، ص . 23 .

وراثي حضارة عريقة وفخورة طالما كانت مهيمنة،بأ م سبقوا– بل وسحقوا– من قبل أولئك الذين طالما اعتبروهم مرؤوسيهم.

وأصبحت الولايات المتحدة هي القبلة التي توجه ضدها تلك الكراهية والعداء وذلك الامتعاض والمكبوتات باعتبارها الوريث الشرعي للحضارة الغربية والقائد الأوحد والمميز للغرب.

بالاستناد على ما سبق أقر برنارد لويس بأنه: " يجب أن يكون واضحا الآن أننا نواجه تيارا و حركة تتجاوزان بكثير مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تلاحقهما، إن هذا ليس شيئا أقل من **صراع الحضارات**، إنه رد فعل– ربما غير عقلاني– لكنه تاريخي لمنافس قديم موجه ضد ميراثنا اليهودي – المسيحي– و ضد حاضرنا الراهن، و ضد امتدادهما العالمي، و إنه من الأهمية بمكان ألا نسمح من جانبنا بجرنا و استفزازنا للقيام برد فعل تاريخي مواز .... ضد ذلك المنافس"، و يضيف:"من جانبنا ينبغي علينا أن نتخذ كل الاحتياطات لنتجنب خطر عهد جديد من الحروب الدينية، مترفعين عن إثارة الخلافات أو الأحقاد القديمة " . [15]

نقد برنارد لويس :

لقد استخدم برنارد لويس لأول مرة مفهوم "صدام الحضارات "سنة 1964 حيث اعتبر أن أزمة الشرق الأوسط،لا تنبع من مجرد خصومة بين الدول بل من صدام بين حضارتين، أما آلان غراش الكاتب بصحيفة لوموند الدبلوماسية فيعتقد أن برنارد لويس صاغ هذا المفهوم سنة 1957، و سواء تمت صياغة هذا المفهوم سنة 1957 أو سنة 1964 فهو مفهوم قديم عمره يقارب الخمسين سنة و ليس مرتبطا بالأوضاع الجديدة التي برزت بعد الحرب الباردة و سقوط حائط برلين.

إن برنارد لويس في أي مرحلة من مراحل حياته لم يكن متعاطفا لا من قريب ولا من بعيد مع العالم الإسلامي والعربي على وجه التحديد، خلافا للعديد من المستشرقين الذين تدفعهم ال اهة العلمية في أحيان كثيرة إلى تقديم صورة موضوعية عن هذه المنطقة من العالم، عن خيرها وشرها، عن ايجابيا ا وسلبيا ا، فهناك تحيز واضح ضد العرب والمسلمين عموما حتى يبدو و كأن برنارد لويس قد قام بما قام من دراسات لا بدافع الفضول العلمي والاطلاع

---

[15] - المرجع السابق، ص. ص 27 – 31 .

على حضارات أخرى يثري من خلالها آفاقه العلمية بل لتجميع أوفر ما أمكن من المعلومات عن خصم أو عدو تاريخي لما يسميه بالحضارة اليهودية المسيحية[16].

ولهذا لقّب إدوارد سعيد *برنارد لويس بإمام المستشرقين المعاصرين [17] حيث تحول برنارد لويس إلى سلطة مسخرة لصالح الحملات الصليبية المناهضة للإسلام والعرب، و تلك الصهيونية وخادمة الحرب الباردة، و التي تنفّذ بحمية متلفعة بمسحة تمدن ذات صلة واهية للغاية بذلك " العلم"، و التعلم الذي يزعم لويس أنه حامل لوائه [18].

و لذلك فإن المكانة التي يحتلها برنارد لويس إلى جانب غيره من المستشرقين في ا تمعات الغربية باعتبارهم أعلم الناس با تمعات الشرقية العربية والإسلامية، ونزعتهم الشديدة في محاربة المسلمين والإسلام، سمح لهم بتغذية عقول الحكومات والشعوب الغربية بأفكار مغالطة عن المسلمين وسلوكهم، وأنتجوا صورة سلبية عن الإسلام تلقتها الشعوب الغربية وأصبحت تتقيد بتعاليمها في التعامل مع الآخر العربي المسلم [19].

إن محققا وباحثا مثل برنارد لويس الذي يجوب بمصباحه ومجهره مختلف المتون والمصادر الإسلامية كي يختار منها بعناية ما يتوافق مع آراءه ونظرياته، نجده في مواضع الضرورة يبادر بالإشادة بمنجزات حضارة المسلمين وثقافتهم،وما ذلك إلا دف إضفاء طابع الإنصاف والمنطقية على كلامه وآرائه في موضع آخر[20].

كما تتميز تحليلات برنارد لويس وأحكامه ونظرياته بشأن الإسلام والمسلمين بخلطه للأوراق البحثية المختلفة بعضها ببعض وكذلك استنتاجه لأسس نظرية من الأحداث والوقائع التاريخية، فمن بين الأساليب التي انتهجها في كتاباته ودراساته، القيام بوضع عدد من الأحداث

---

[16] - محمد العربي بن عزوز ، مرجع سابق ، ص – ص 15 – 16 .

* إدوارد وديع سعيد (1935 2003) أستاذ الأدب المقارن في جامعة كولومبيا، كاتب وناقد وأكاديمي فلسطيني .

[17] - ادوارد سعيد ، تعقيبات على الاستشراق، ترجمة و تحرير:صبحي حديدي ،
(عمان: دار فارس للنشر و التوزيع، ط1 ، 1996) ، ص . 7 .

[18] - المرجع نفسه ، ص . 43 .

[19] - مرسي مشري" جدلية العلاقة بين الإسلامفوبيا وحوار الحضارات"،
(مجلة دراسات شرق أوسطية ،العدد 55 ، السنة 15، ربيع 2011)
(الأردن :مركز دراسات الشرق الأوسط)، ص. ص ، 19 – 20 .

[20] - السيد عطاء الله مهاجراني، الإسلام و الغرب ، ترجمة : عادل عبد المنعم سويلم ، مراجعة و تقديم : محمد السعيد جمال الدين ،
(القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1 ، 2006) ، ص . 17 .

والوقائع التاريخية بعضها إلى جانب بعض بشكل انتقائي، وتحميل أحكامه المسبقة عليها والخروج بنتيجة فقهية أو فكرية من واقعة تاريخية وتعميم تصرفات جماعة من المسلمين وسلوكهم و أفعالهم على جميع المسلمين في العالم، وتسجيل هذا السلوك في النهاية على الإسلام، والخلط في موضوع واحد بين الموضوعات التاريخية والاجتماعية والسياسية من جانب، والموضوعات الفكرية الفقهية والتفسيرية من جانب آخر، للوصول في النهاية إلى النتيجة المسبقة التي تلقى قبولا في نفسه [21].

لكن هناك أحد المستشرقين الفرنسيين الذي كان منصفا و موضوعيا إلى حد ما حيث أقر بأن القسوة والبربرية تحكمان في الشرق، لكن هل الغرب بلا مآخذ ؟[22]

2 – 1 – ب – المهدي المنجرة*:

قبل صدور مقال صامويل هنتغتون حول صدام الحضارات بسنتين أعلن المهدي المنجرة في حديث نشرته له ا لة الألمانية "دير شبيجل" " Der Spiegel" تاريخ 11 فيفري1991 أن حرب الخليج التي اندلعت سنة 1991 هي"الحرب الحضارية الأولى".

و في نفس السنة أصدر كتابه الذي يحمل نفس العنوان باللغة العربية في الدار البيضاء والجزائر والقاهرة ثم ترجمه إلى الفرنسية في السنة الموالية ثم إلى الانجليزية و اليابانية. [23]

وتقوم نظرية المهدي المنجرة على تقسيم التاريخ المعاصر إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:المرحلة الاستعمارية:و التي عشناها في حدود الخمسينيات أوالستينيات، وهي مرحلة واضحة في طبيعتها إذ يكفي أن تخرج للشارع لتعرف أعدائك.

المرحلة الثانية:و يسميها مرحلة الاستعمار الجديد، وهي مرحلة شبه استعمارية، تمتد من بدايات الستينات إلى 2 أغسطس 1990، لأنه بعد رحيل الاستعمار ترك لنا قبل ذهابه هياكل غير

---

[21] - المرجع السابق ، ص – ص 19 – 20 .

[22] - مكسيم رودنسون، جاذبية الإسلام، ترجمة : إلياس مرقص، (بيروت : دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ، ط2 ، 2005)، ص 46 .

* المهدي المنجرة مفكر عربي ذو خلفية ثقافية أنجلوسكسونية ، ولد في المغرب سنة 1933 م بالرباط ، تلقى تعليمه الجامعي في الو.م.أ و أتمها في بريطانيا و تحصل على إجازة في البيولوجيا و العلوم السياسية و دكتوراه في الاقتصاد ، كما درس في جامعة محمد الخامس منذ سنة 1958 و من بين مؤلفاته الكثيرة باللغة العربية : " الحرب الحضارية الأولى "، " مستقبل الماضي و ماضي المستقبل "، و باللغة الفرنسية " الإهانة في عصر الامبريالية الضخمة " و " قيمة القيم ".

[23] - محمد العربي بن عزوز ، مرجع سابق ، ص . 25 .

قادرة على مسايرة التطورات المتسارعة مما أثر على تعطيل نمو مجتمعاتنا، صرنا نطبق برامج مفكرة و معدة بالخارج، خاصة تلك التي تسمى" المساعدة الفنية "التي تأتينا من "منظمات دولية " أو من البنك الدولي وغيره من المؤسسات الامبريالية التي عمقت هوة الفوارق الحاصلة داخل ا تمع، كما ركزت مصالح وتحالفات مشتركة بينها وبين فئات قليلة معادية لمصالح الشعوب ولطموحا ا.

المرحلة الثالثة:مرحلة ما بعد الاستعمار:و تبدأ من 2 أغسطس 1990 وسمى هذه المرحلة بما بعد الاستعمار لأ ا حرب انطلقت ولن تنتهي بغض النظر عن كل النتائج المادية، فالحرب القادمة هي حرب ثقافات وحضارات بين الشمال والجنوب، وهي حرب بين فكرة التسلط والاستبداد الحضاري، و بين فكرة الاختلاف و التعدد، فالحرب على الخليج لا تزيد عن كو ا حلقة في الصراع بين الشمال والجنوب الذي ستطغى عليه مستقبلا اعتبارات حضارية بالأساس.[24]

كما يعتبر المنجرة نفسه المنظّر الأول لـ" حرب الحضارات " أو " صدام الحضارات "لأنه سبق هنتغتون بسنتين في طرحها و هو ما صرح به على موقعه الالكتروني .[25]

و تكمن أسباب الصراع – حسب المنجرة – في التنوع الثقاف، ففي علم البيولوجيا، وعلم النبات أو علم الكون أو أي علم نرى أن أساس البقاء هو التعددية، و بدون التعددية يكون الفناء وخاصة في مجال الحضارة فمسألة البقاء دائما مرتبطة ومبنية على التعددية[26].

و يرى المنجرة "أن الغرب رفض أن يتفاهم باللغات الأخرى، و أعني باللغة الأخرى القيم، فبرهن أن ليست له أية روح للمسامحة والتعاون والتفاهم ... لأن أملهم في أن الآخر هو الذي سيكون جزءا منهم، فلا فائدة في مفاهمة مع الآخر "[27].

الغرب خائف و يعيش رعبا عميقا بسبب أخطار يترقبها من الجنوب خلال السنوات المقبلة وذلك للأسباب التالية :

---

[24] - المهدي المنجرة ، الحرب الحضارية الأولى ،

(قصر النيل : مكتبة الشروق ، ط1 ، 1995) ، ص – ص ، 13 – 14 .

[25] - انظر موقع مهدي المنجرة على الانترنت :

http://www.elmandjara.org/premierguerre

[26] - المهدي المنجرة ، مرجع سابق ، ص . 50 .

[27] - المرجع نفسه ، ص ، 54 .

- خطر الانفجار الديمغرافي الناتج عن تزايد وتيرة النمو السكاني داخل الجنوب، مقابل تراجع مهول في الهرم السكاني لدول الشمال .
- خطر التغيير الديمقراطي والذي من شأنه تحديد كل مواقع الهيمنة والاستغلال الغربي لدول الجنوب.
- خطر حضاري من شأنه الحد من هيمنة الحضارة الغربية،خاصة الإسلام، فمنذ 1985/ 1986 بدأت الحملة ضد الإسلام بعد أن كشف معهد الفاتيكان المتخصص في دراسة الإسلام أن عدد الكاثوليك انخفض لأول مرة في التاريخ عن عدد المسلمين(850 مليون مسيحي مقابل 865 مليون مسلم) مع احتمال اتساع الهوة بانخفاض نسبة المسيحيين وارتفاع نسبة المسلمين.[28]

نقد المهدي المنجرة:

لم يحظ كتاب المهدي المنجرة رغم ترجمته للفرنسية والانجليزية بذات الحظوة التي حظي ا كتاب صامويل هنتغتون لأسباب منطقية وهي أن المهدي المنجرة مثقف من العالم الثالث وبالتحديد من العالم العربي المهمش في الإعلام العالمي، في حين ينتمي صامويل هنتغتون إلى صفوة الصفوة في النظام الرأسمالي العالمي الذي يسيطر سيطرة مطلقة على وسائل الإعلام .

بالإضافة إلى أن المهدي المنجرة مفكر عربي تقدمي يدافع عن حقوق " بلدان الجنوب " في التنمية والاستقلال و يناهض الهيمنة بأشكالها، فما الذي أقحمه في سجال فكري مصطنع ليست له أية قاعدة فكرية صلبة ولا مشروعية تاريخية، وما الذي يجعله يفاخر بأنه أول من أنتج مفهوم "صدام الحضارات" ؟ فما هو وجه الفخر في ذلك ؟كما أن المنجرة ذا الثقافة الأنجلوسكسونية لا يمكن أن يجهل من سبقه وسبق صامويل هنتغتون إلى إنتاج و تسويق هذا المفهوم منذ حوالي خمسين سنة، وهو المؤرخ البريطاني - الأمريكي– الإسرائيلي برنارد لويس، وكان على المهدي المنجرة أن يشير إلى ذلك من باب الأمانة العلمية، وكان عليه أن يحترز من تناول الموضوع بتلك الطريقة حتى لا يبدو وكأنه يشرع مفهوم "حرب الحضارات "ويضفي عليه مصداقية، وهو المفكر الذي ينتمي إلى الشعوب المستهدفة من تلك الحرب [29].

[28] - المرجع السابق ، ص ، 15 .

[29] - محمد العربي بن عزوز ، مرجع سابق ، ص – ص ، 25 – 26 .

2 – 1 – جـ - عند صامويل هنتغتون:

لقد أشار هنتغتون في مقدمة كتابه (صدام الحضارات) إلى أنه في صيف 1993 نشرت صحيفة الشؤون الخارجية (Affairs Foreign)مقالا له بعنوان "صدام الحضارات؟ "، وقد أثار هذا المقال نقاشا حادا وردود فعل متباينة بين مندهشين ومعجبين وهائجين وخائفين وحائرين من الطرح الذي وضعه من أن البعد المركزي للسياسات العالمية البارزة ستكون صراعا بين جماعات تنتمي إلى حضارات مختلفة، هذا ما أدى به إلى أن يطور المقال إلى كتاب حتى يتسنى له تغطية كثيرا من الموضوعات التي لم يتم مناقشتها أو التطرق إليها إلا بشكل يسير في المقالة.

و قد صرح بأن النية من هذا الكتاب ليست عملا من العلوم الاجتماعية، إنه بدلا من ذلك يعني تفسيرا لتطور السياسة العالمية بعد الحرب الباردة، إنه من المأمول أن يقدم إطارا تفسيريا أو نظرية في النظرة السياسية العالمية تكون ذات معنى بالنسبة للباحثين ومفيدة لصانعي السياسة.[30]

منطلقات صدام الحضارات عند صامويل هنتغتون:

إن الافتراض الرئيسي في خطاب صدام الحضارات هو:"أن الثقافة أو الهوية الثقافية والتي هي في أوسع معانيها الهوية الحضارية،التي تشكل نماذج التماسك،والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة " [31]، ويضيف:" في عالم ما بعد الحرب الباردة، فإن أكثر الاختلافات أهمية بين الشعوب ليست إيديولوجية ولا سياسية أو اقتصادية، إنما ثقافية أو تراثية ".

إن مجموعة الدول الأكثر أهمية لم تعد مكونة من ثلاث معسكرات كما في الحرب الباردة، و لكن من سبع أو ثمان حضارات رئيسية... إن الصراع بين القوى العظمى قد حلّ محله صدام الحضارات.

---

30 - صامويل هنتغتون ، صدام الحضارات و إعادة بناء النظام العالمي ، مرجع سابق ، ص – ص ، 63 – 64 .

31 - المرجع نفسه ، ص . 71 .

حيث يؤكد أن في هذا العالم الجديد، فإن أكثر الصراعات انتشارا وخطورة لن تكون بين طبقات اجتماعية، غنية و فقيرة أو جماعات أخرى محددة على أسس اقتصادية،و لكن بين شعوب تنتمي إلى هويات ثقافية مختلفة، الحروب القبائلية والصراعات العرقية سوف تقوم داخل حضارات[32].

في عالم ما بعد الحرب الباردة، تحدد الدول بشكل متزايد مصالحها في شكل حضاري أو أشكال حضارية، فهي تتعاون وتوحد نفسها مع الدول التي تشاطرها ثقافة متشا ة أو مشتركة وهي في أغلب الأحيان تدخل في صراع أكثر مع الدول التي تختلف عنها في الثقافة، والدول تحدد التهديدات في شكل نوايا الدول الأخرى، و تلك النوايا والكيفية التي تدركها ا تتشكل بشكل قوي باعتبارات ثقافية [33].

و فيما يلي سنقف عند أهم النقاط التي أثارها هنتغتون والمتمثلة في:

1 – طبيعة الحضارة :

لقد أجاب هنتغتون عن السؤال: ماذا نعني عندما نتحدث عن حضارة ؟ بأن الحضارة هي أرفع تجمع ثقافي للبشر وهي أشمل مستوى للهوية الثقافية لا يفوقه من حيث ديده للهوية الثقافية إلا الذي يميز الإنسان عن غيره من الأنواع الأخرى، و يمكن تحديدها أو تعريفها بكل من العناصر الموضوعية مثل اللغة والتاريخ و الدين والعادات والمؤسسات وبالتمايز الذاتي للبشر، و لدى البشر عدة مستويات للهوية فمواطن روما ربما يعرف نفسه بدرجات متباينة الشدة كروماني و إيطالي و كاثوليكي و غربي، والحضارة التي ينتمي إليها هي المستوى الأشمل للتمايز والذي يعرف به بشدة.[34]

2 – تقسيم الحضارات:

تنقسم الحضارات المعاصرة عند هنتغتون إلى سبع أو ثمان حضارات وهي:الحضارة الصينية، الحضارة اليابانية،الحضارة الهندوكيـ ـة أو الهنـ ـدوسية،الحضارة الإسلامية،الحضـ ـارة

---

[32] - المرجع السابق، ص – ص . 73 - 75 .

[33] - المرجع نفسه ، ص 90 .

[34] - صامويل هنتغتون ، الإسلام و الغرب آفاق الصدام ، ترجمة : مجدي شرشر ، (القاهرة : مكتبة مدبولي ، ط1 ، 1995)، ص – ص ، 8 – 9 .

الأرثوذكسية، الحضارة الغربية، الحضارة الأمريكية اللاتينية والحضارة الإفريقية (محتملة). [35]

3 – رفض الحضارة الواحدة العالمية:

إن انبثاق مصطلح "حضارة عالمية " أو"حضارة كونية "يتضمن عموما الالتقاء الثقافي للبشرية والقبول المتزايد للقيم والعقائد والاتجاهات والممارسات والمؤسسات المشتركة للشعوب في جميع أنحاء العالم. [36]

لكن هنتغتون يرفض فكرة الحضارة الغربية العالمية،حيث أكد أن استعمال الأدوات الغربية من لباس "ارتداء الجيز "وشراب "الكوكا كولا "وموسيقى" الراب" لا يعني بأي حال من الأحوال اندماج الحضارات الأخرى في الحضارة الغربية، الغرور الساذج فقط يمكن أن يقود الغربيين إلى الاعتقاد بأن غير الغربيين سيصيرون "متمدنين على النمط الغربي "باكتساب السلع الغربية، ويتساءل:ما الذي حقا يعني قوله للعالم عن الغرب عندما يعرف الغربيون أنفسهم وحضارتهم بالسوائل الغازية والبنطلونات ذات الموضة و الأطعمة الدسمة ؟ [37]

4 – خصائص الحضارة الغربية:

لذلك انصرف هنتغتون إلى تحديد جملة من الخصائص التي تشكل ملامح الحضارة الغربية و بها تفوقت على غيرها و تمثلت في: الميراث الكلاسيكي و المتمثل في الفلسفة اليونانية والعقلانية،والقانون الروماني واللاتينية والمسيحية والكاثوليكية والبروتستانتية(المسيحية الغربية)، واللغات الأوروبية بصورها المتباينة والفصل بين الكنيسة وسلطة الدولة وسيادة القانون والتعددية الاجتماعية والهيئات العامة النيابية والنزعة الفردية. [38]

5 – الخوف من انبعاث الحضارات:

توجد صورتان عن قوة الغرب بالنظر إلى العلاقة مع الحضارات الأخرى:

الصورة الأولى:الهيمنة المتفوقة والمنتصرة والشاملة غالبا للغرب، لأن بتفكك الاتحاد السوفيتي زال التحدي الخطير الوحيد للغرب وكنتيجة فالعالم هو هو وسيظل يتشكل بأهداف وأولويات و مصالح الدول الغربية.

[35] - صامويل هنتغتون ، صدام الحضارات و إعادة بناء النظام العالمي، مرجع سابق ، ص – ص 109 – 114 .

[36] - المرجع نفسه، ص . 127 .

[37] - المرجع نفسه ، ص – ص ، 131 .

[38] - المرجع نفسه ، ص – ص ، 149 - 152 .

الصورة الثانية: إ ا حضارة في حالة اضمحلال نصيبها من القوة العالمية السياسية و الاقتصادية و العسكرية آخذ في الهبوط بالقياس إلى قوة الحضارات الأخرى، فالانتصار في الحرب الباردة لم ينتج فوزا بل إ اكا – بخلاف ما تصوره تلميذه فوكوياما كما سنرى لاحقا – إن الغرب بدا مهتما بشكل متزايد بمشاكله واحتياجاته الداخلية، فيما هو يواجه نموا اقتصاديا بطيئا وركودا في عدد سكانه، البطالة، تفاقمات هائلة في العجز الحكومي، اضمحلال أخلاقيات العمل، معدلات ادخار بطيئة،وفي عدد من الدول بما في ذلك الولايات المتحدة، التفكك الاجتماعي، المخدرات، الجريمة، القوة الاقتصادية آخذة بشكل سريع في التغير إلى شرق آسيا، كما أن القوة العسكرية والنفوذ السياسي بدأ يتبعان نفس الاتجاه، و العالم الإسلامي صار بشكل متزايد عدوانيا نحو الغرب، وكذلك الحال بالنسبة لثقة الغرب في نفسه و إرادته في الهيمنة، إن أكبر أهم زيادة في القوة ستكون للحضارات الآسيوية مع بزوغ الصين التدريجي كمجتمع هو الذي يتحدى على الأرجح الغرب من أجل النفوذ العالمي، هذه التحولات في القوة بين الحضارات تؤدي الآن وسوف تؤدي إلى إحياء و تأكيد الذات الثقافي المتزايد للمجتمعات غير الغربية ورفضهم المتزايد للثقافة الغربية.[39]

يضيف قائلا: " فبينما كان وض شرق آسيا قد غذته معدلات النمو الاقتصادي المذهلة، فإن الانبعاث الإسلامي قد غذته بشكل متساو معدلات نمو سكاني مذهلة " [40] .

كما أرجع هنتغتون الأسباب التي تجعل العلاقة بين الحضارتين الإسلامية والصينية تتوسع وتتعمق وتستمر وتتحدى الحضارة الغربية و تعارضها حول منع انتشار الأسلحة النووية وحقوق الإنسان وقضايا أخرى.

و لذلك يلح هنتغتون على أن يتخذ الغرب جميع التدابير على المستوى القريب كما على المستوى البعيد للدفاع عن مركزه و مصالحه.

و أ ى هنتغتون كتابه بأن مستقبل كل من السلام و الحضارة يعتمد على الفهم والتعاون بين القيادات السياسية و الروحية والفكرية للحضارات الكبرى للعالم [41].

---

[39] - المرجع السابق ، ص .ص 168.170.

[40] - المرجع نفسه ، ص 227 .

[41] -المرجع نفسه ،ص533.

3 – نقد زكي الميلاد لنظرية صدام الحضارات :

هذه أهم الآراء والأفكار التي طرحها هنتغتون حول صدام الحضارات، ولقد خضعت آراءه إلى النقد والمناقشة من زوايا مختلفة وظهرت مساهمات فكرية قيمة في الرد على تلك النظرية سواء من جانب الباحثين و المفكرين الغربيين أو المسلمين، وقبل أن نتطرق إلى النقد الذي وجهه زكي الميلاد نشير بداية إلى بعض الانتقادات العامة لدى مفكرين آخرين، ثم نخصص الحديث عند الميلاد.

3– أ – انتقادات عامة :

إن فرضية هنتغتون لها طابعان تحليلي ومعياري، فهي ذات طابع تحليلي عندما أكد أن مصدر الصراعات كان إيديولوجيا أو اقتصاديا في السابق، و أنه يميل الآن إلى أن يصبح ثقافيا، و هي ذات طابع معياري عندما تحثّ على النظر بمنظار الصراع بين الحضارات إلى ما كان قد صيغ فيما سبق بمنطق إيديولوجي أو اقتصادي[42].

و هناك من اعتبر أن تمايز الحضارات الديني واللغوي والتاريخي والثقافي لا يؤدي إلى الصدام والصراع وإنما الذي يؤدي إلى الصدام والصراع هو المصالح السياسية والاقتصادية والإستراتيجية العليا التي تقوم بتوظيف هذه التمايزات في اتجاهين أساسيين :

- اتجاه لتبرير الصدام والصراع الذي ستقوم به تلك النخب صاحبة المصلحة السياسية والاقتصادية اتجاه ا تمعات والشعوب الأخرى من أجل أن تضمن هذه النخبة تعبئة نشيطة وفعالة، و تحت عناوين ومسميات تؤثر في المخيال الغربي.

- اتجاه تغطية الأطماع التوسعية والاستعمارية، برداء التمايز الحضاري، الذي يدفع إلى ضرورة الغلبة الحضارية لأحد الأطراف، و بما أن الحضارة الغربية اليوم هي التي تمتلك أسباب القوة والمنعة، فتكون هذه المقولة بمثابة المبرر النظري – التاريخي لنمط الهيمنة و الغطرسة التي تباشره قوى الحضارة الغربية اليوم اتجاه الشعوب و الأمم الأخرى . [43]

---

[42]إسماعيل سليم خازندار و فتيحة تلاحيت، " ما الغرب ؟ فرضية متشائمة " سلسلة ندوات: مراجعات في نظرية صراع الحضارات ، ترجمة : محمد معتصم ، إشراف : المصطفى الشاذلي و ليزة غارون ،
(الدار البيضاء : مطبعة النجاح الجديدة ، ط1 ، 2005) ، ص – 292 .

[43] - محمد محفوظ،الإسلام والغرب وحوار المستقبل،
(الدار البيضاء:المركز الثقافي العربي ،ط1،1998)،ص 135.

لذلك فإن آراء هنتغتون تنطلق من المركزية الغربية، و تأتي أساسا لتحذير الغرب على الصعيدين السياسي والاقتصادي بالدرجة الأولى والصعيدين الديني والثقافي، إلا أن هذه الآراء هي أيضا بمثابة تحذير للحضارات غير الغربية، إذا لم تعمق بعدها الحضاري الخاص، ولم تقم بتحديثه ورفده بالقوة الاقتصادية و العسكرية و المعرفية [44].

أما الجابري * فيرى أن أطروحة صدام الحضارات تتحدث عن المستقبل وتنذر بخطر المواجهة و الحرب وتدعو صراحة إلى أخذ الحيطة و الاستعداد للدفاع عن النموذج الحضاري الأمريكي وعن المصالح التي يقوم عليها. و قد تساءل الجابري: لماذا كل هذا الانشغال بأطروحة صدام الحضارات ؟ لأنه كان من المفروض أن يكون سقوط الشيوعية و معها اية الماركسية هو الموضوع الذي يستقطب الاهتمام و يشغل الناس في هذا العقد الأخير من القرن العشرين، و ذلك بحثا عن الأسباب و العوامل التي أدت إلى ذلك الا يار الذي جعل حدا لأحلام الطبقة الكادحة وللمخاوف التي أثار ا لدى خصومها، فقد استغرب تجاهل هذا الحدث التاريخي المهم.[45]

كما يعتقد أنه من الناحية العلمية "صدام الحضارات "مجرد وهم و فكرة غير معقولة، إذ يجب أن تكون الحضارات عبارة عن صحون أوسيارات أو ما أشبه هذا و ذاك حتى يمكن تصورها تتصادم، ولكن هذه الفكرة من ناحية الإستراتيجية السياسية والعسكرية والثقافية تنطوي فعلا على قضية، وبما أننا نحن العرب والمسلمين على رأس المستهدفين فيها فمن الواجب المساهمة في فضحها، فضلا عن وجوب تعميم الوعي بمضمو ا و أهدافها. [46]

إذا نحن استعرنا من البنيوية(Structural) بعض مفاهيمها أمكن القول إن هناك ثابتا واحدا أساسيا في موقف الغرب، والباقي متغيرات، و الموقف من العرب أو من الإسلام أومن

---

[44] جودت سعيد و عبد الواحد علواني ، الإسلام و الغرب و الديمقراطية،
(بيروت : دار الفكر المعاصر ، ط1 ، 1996) ، ص . 14 .

* محمد عابد الجابري : مفكر تجديدي من المغرب ولد سنة 1936 بالرباط ، نال الإجازة في الفلسفة عام 1964 و نال ديبلوم الدراسات العليا عام 1967 و دكتوراه الدولة عام 1970 من كلية الآداب بالرباط كما شغل منصب أستاذ الفلسفة و الفكر العربي الإسلامي بنفس الكلية .

[45] محمد عابد الجابري ، قضايا في الفكر المعاصر،
(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، 1997) ، ص-ص ، 84-85

[46] - المرجع نفسه ، ص . 86 .

الصين أو من اليابان أو أية دولة أخرى في العالم يتغير دائما، و قد يقفز إلى النقيض إذا اقتضى ذلك منطق " الثابت "، و ليس" الثابت " في تحركات الغرب شيئا آخر غير " المصالح " فعندما تمس مصالح الغرب أو يكون هناك ما يتهددها تغير الموقف.

هنا يؤكد الجابري أن الغرب مصالح و لا شيء غير المصالح، وكل حوار معه أو تفكير ضده لا ينطلق من المعادلة التالية(الغرب= المصالح) إنما هو إنزلاق وسقوط في شباك الخطاب المغالطي التمويهي السائد في الغرب والهادف إلى صرف الأنظار عن " المصالح " و توجيهها إلى الانشغال بما يخيفها، و يقوم مقامها في تعبئة الرأي العام مثل"الحضارة " و " الثقافة " و" الدين " و " الأصولية " .[47]

و هناك من أشار إلى ملاحظة متعلقة بالعقل الغربي، وهي التوجس الشديد من خطر التقهقر و الأفول، و ربما يكون المثال الواضح على ذلك كتاب شبنجلر عن " أفول الغرب " في العشرينات من هذا القرن، كان مبعثه التساؤل عما إذا كانت حضارة الغرب محكوم عليها شأ ا في ذلك شأن ما سبقها من حضارات بالزوال والأفول، وقد يرجع هذا الإحساس بالتوجس والخطر من الغرب إلى التاريخ الأوروبي، حيث كانت أوروبا ممرا لغزوات مستمرة منذ أكثر من ألف عام،و هكذا غلب على الأوروبيين الإحساس بتعرضهم المستمر للخطر من الغير و من ثم الحاجة إلى تميزهم واختلافهم عن الآخرين، و أخيرا نجحوا في فرض سيطر م على حضارات كانت دد وجودهم في الماضي،و من هنا كانت ظاهرة القلق والتوجس من زوال هذه الذاتية والتميز، وبطبيعة الحال الخوف من فقد هذه السيطرة أيضا، فكذلك لا يخفى على الذهن أن اختيار تعبير "الغرب"كتعريف لهذه الكتلة الحضارية إنما يمكن أن يشير– في العقل الباطن – إلى الاعتقاد بأن الخطر سوف يأتي من "الشرق" فالشرق شرق، و الغرب غرب، ومن المستحيل أن يلتقيا [48].

في المقابل هناك من بحث في البنى الفكرية للحضارة الغربية التي ساعدت على تزكية هذه ال عة الصدامية وأرجعها إلى:

---

[47] - المرجع السابق، ص – ص ، 127 – 128 .

[48] - حازم الببلاوي، نحن و الغرب عصر المواجهة أم التلاقي ؟

(القاهرة: دار الشروق ، ط1 ، 1999) ، ص – ص 36 – 37 .

1 – الهيجلية:نسبة إلى هيجل Hegel (1770–1831) في فلسفة التاريخ و هي التي قامت على نسخ العصر الجديد للعصر القديم، عبر الصراع مع مكوناته، و الحلول معها .

2 – الداروينية: نسبة إلى داروين Darwin (1809- 1882) في فلسفة النشوء والارتقاء، وهي التي قامت على صراع الأحياء ونسخ الأقوى للأضعف والضعيف، لأن الأقوى هو الأصلح.

3 – و الصراع الطبقي سواء في ماركسية ماركس Marx (1817– 1883) أو في الليبرالية الرأسمالية والذي يعتمد " ال عة والفلسفة الصراعية "في علاقات الطبقات الاجتماعية، فالطبقة الوليدة والجديدة تصارع الطبقة القديمة لتقهقرها،وتزيحها وترثها،وتنفرد بكل الثمرات والامتيازات والسلطات البورجوازية في الليبرالية و البروليتارية عند الماركسيين .

فهذه النظريات الثلاث هي التي صبغت هوية الحضارة الغربية بصبغة الفلسفة الصراعية، على"إماتة" الضمير الغربي، إبان "صراعه"مع الحضارات الغربية، فبما أنه هو الأقوى فهو إذن الأصلح، ولذلك فإن صراعه ضد الحضارات الضعيفة و البنى الموروثة للأمم المستضعفة، هو "قانون علمي" و"رسالة نبيلة" يقوم ا هذا الرجل الأبيض لإزالة"الماضي"والمواريث والمؤسسات " الضعيفة" وإحلال النموذج الحضاري الغربي في العالم كله عبر التطبيقات المتنوعة "لفلسفة الصراع". [49]

والبعض انتقد تقسيم هنتغتون لحضارات العالم إلى ثمانية اعتمادا على الدين بشكل أساسي، و اعتبر هذا التقسيم غير دقيق ويتلاءم بدرجة رئيسية مع ديانته اليهودية إذ دمج بين الديانتين اليهودية و المسيحية التي ستقف في مواجهة (الحضارة) الإسلامية والكونفوشيوسية وهو في نفس الوقت يفصل الديانة المسيحية حسب المذاهب أو الطرائق إذ يعزل الأرثوذكسية عن الحضارة الغربية المسيحية الأخرى .

[49] - محمد عمارة ، في فقه المواجهة بين الغرب و الإسلام،

(القاهرة : مكتبة الشروق الدولية ، ط2 ، 2008) ، ص . ص 62 - 63 .

كما يدعي هنتغتون أنه على الرغم من أن الغرب يواجه الآن بضع حضارات فإن التحدي الأكبر للمصالح و القيم الغربية يأتي من الارتباط الإسلامي الكونفوشيوسي الذي في نظره مؤامرة بين ثقافتين ساخطتين لتقويض قوة الغرب عن طريق تدفق للأسلحة و لتكنولوجيا الأسلحة من الصين الكونفشيوسية على دول إسلامية، إن من الصحيح القول أن الصين باعت أسلحة لدول إسلامية ولكن من الحقائق أيضا أن دولا إسلامية تقع في جنوب غرب آسيا تلقت خلال العقود الأخيرة أسلحة بلغ ثمنها عشرات إن لم نقل مئات المليارات من الدولارات ولم يسم أحد ذلك ارتباطا أو مؤامرة مسيحية إسلامية .

و هناك من يوجه نقده لفرضية هنتغتون من خلال عدم التوافق في نظام التسمية الاصطلاحية، ليس الإسلام والمسيحية أو الغرب و الشرق، هما اللذان يتناقضان، فهناك عدم تناظر بين الإسلام و الغرب، لأن الإسلام دين و الغرب منطقة جغرافية .

والبعض الآخر قيم الدوافع الحقيقية الكافية لفرضية العدو الضروري المتمثل في الإسلام، إلى زوال الاتحاد السوفييتي أوالشيوعية حتى يجد الجهاز العسكري تبريرا لميزانية التسلح والسياسات العسكرية الهجومية.

أما مجموعة العالم الثالث فقد أرجعت السبب الحقيقي للصراع بين الغرب والإسلام إلى ماضي الغرب الاستعماري و الامبريالي و لا يعود إلى عدم التوافق الحضاري.ويدعي هنتغتون أن العالم الإسلامي يهدد الغرب ديمغرافيا من خلال ثقله السكاني المستقبلي والهجرة إلى عدد من الدول الغربية، و الحق أن مثل هذا التهديد قد أرغم الغرب على أن يعيد دراسة قيمه الأساسية الخاصة مثل التسامح الديني وحرية التعبير وحقوق الإنسان بل وحتى الديمقراطية والتعددية .[50]

وحتى من الغرب تعالت دعوات تناهض الصدام، و تؤمن بأن تعايش الحضارات ممكن جدا ومرغوب فيه، فكلنا نبحث عن طرق و وسائل اكتشاف الطريقة الصحيحة للعيش على هذا الكوكب المزدحم و جميعنا يريد السلام و ذلك لتعزيز الفرص من أجل الاستمتاع بحيواتنا ومن أجل العيش بحرية والعبادة والاهتمام بوجودنا المحبب، و نحن جميعا نتقاسم المصلحة في

---

[50] - عباس الحديثي ، نظريات السيطرة الإستراتيجية و صراع الحضارات،
(عمان : دار أسامة للنشر و التوزيع ، ط1 ، 2004) ، ص – ص ، 90 –92 .

ازدهار اقتصادي عالمي بحسب قوانين قابلة للتطبيق تحكم علاقاتنا،و هذا هو الأساس الصلب للتعاون و هو ليس سببا للمواجهة .[51]

3 – ب - نقد زكي الميلاد للصدام:

اعتبر زكي الميلاد نظرية صدام الحضارات من أنشط الأفكار تداولا في النطاق العالمي الواسع، مع العلم أ ا مقولة ليست جديدة، لكن الجديد فيها هو بنيتها الفكرية الجديدة التي صاغها هنتغتون وحساسية الوقت الذي جاءت فيه بالإضافة إلى نوعية المصدر والجهة التي عبرت عن هذه الفكرة.

في الحقيقة أن مقولة صدام الحضارات كوصف للواقع الموضوعي القائم في عالم اليوم قد تكون صحيحة نسبيا،و هذا لا يعني بالتأكيد الاتفاق مع هذه المقولة أو التبرير لها، و إنما ما نشاهده اليوم في العالم من نزاعات وحروب وانقسامات عرقية وثقافية ودينية يكشف في وجه منه عن صدام بين حضارات، وهذا الصدام ليس الواقع الطبيعي أو المفترض في العلاقات بين ا موعات البشرية على اختلاف ثقافا ا وحضارا ا.

لكن الاختلاف الأشد مع هنتغتون هو التبشير ذه المقولة كسيناريو للمستقبل أو كما يقول هنتغتون نحن مع اية القرن العشرين على أبواب مواجهة بين الحضارات، هذا الكلام على بساطته هو الأكثر خطورة على العالم، كون النظرة الإسلامية لا تتفق مع أي دعوة للا اع أو الصراع أو الصدام بين الأمم والشعوب والحضارات [52].

و عليه، في هذا المنحى النقدي لنظرية صدام الحضارات سجل زكي الميلاد جملة من الملاحظات على مستوى المنهج نوردها كما يلي:

أولا: يبدو أن هنتغتون كان محكوما بفرضية الصدام بين الحضارات، و هي الفرضية التي وظف لها ما عنده من خبرة معرفية ومنهجية متصلة بمجال تخصصه الأكاديمي والمهني لكي يبرهن على صدقية هذه الفرضية، ولعل مبعث هذه الفرضية أ م في الغرب بصورة عامة يقرؤون التاريخ

---

[51] - هارلد موللر، تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتغتون، ترجمة:إبراهيم هشهش، (بيروت:دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط1 ، 2005)، ص 7.

[52] - زكي الميلاد ، الإسلام و المدنية ، مصدر سابق ، ص – ص ، 42 – 43 .

الإنساني ويفسرونه من زاوية الصراع و الن اع و الصدام على مستوى الطبقات أو الأجناس أو الثقافات أو الدول أو الحضارات .

كما أن طبيعة العلاقات التي حكمت الغرب في تاريخه الحديث والمعاصر مع الأمم والشعوب و الحضارات الأخرى غير الغربية ساهمت في تكريس مثل هذه الفرضية، فقد تعامل الغرب مع الحضارات الأخرى بمنطق الاستعمار و الامبريالية، وبذهنية التدمير و السيطرة .

و لهذا يمكن القول إن ما قدمه هنتغتون هو عبارة عن قراءة سياسية للحضارات وبمنهجيات و أدوات في النظر والتحليل تنتسب إلى العلوم السياسية ونظرية الصراع هي واحدة من النظريات الرئيسية في هذه العلوم .

كما لا يمكن النظر للعلاقات بين الحضارات لا في الماضي، و لا حتى في المستقبل من خلال فرضية واحدة، و بالذات نظرية الصدام بين الحضارات، و الذي نعرفه ويوثقه التاريخ الإنساني أن العلاقات بين الأديان في دولة المسلمين بالأندلس كانت على درجة عالية من التسامح والتعايش بين المسلمين والمسيحيين و اليهود، بحيث حينما خرج المسلمون من الأندلس بعد سقوط دولتهم هناك سنة1492 م، خرج معهم اليهود إلى تركيا خوفا على أنفسهم من الذين حكموا الأندلس بعد ذلك إلى جانب أمثلة أخرى.

ثانيا:لم يعط هنتغتون أي مجال للنظر والتفكير في فرضية الحوار بين الحضارات، وتركز الطرح عنده بصورة أساسية على فرضية الصدام بين الحضارات، لكنه أشار في خاتمة المقالة و بشكل عابر إلى الدعوة للتعايش، وحسب قوله: وبالنسبة إلى المستقبل لن تكون هناك حضارة عالمية، بل عالم يضم حضارات مختلفة يجب أن يتعلم كل منها التعايش مع غيره ".

لكن الذي لم يتحدث عنه هنتغتون هو كيف تتعلم هذه الحضارات التعايش، هل على قاعدة الصدام أم على قاعدة الحوار والتفاهم ؟ كما أنه لم يشرح كيف تنتقل هذه الحضارات من حالة الصدام إلى حالة التعايش و الحوار.[53]

ثالثا: مع كل ما أخذه الغرب من معارف وعلوم من الثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية، وما اكتشفه من قدرة حضارية خلاقة في الإسلام، و ما عرفه عن الدور الكبير الذي لعبه في نهضة العقل والعلم والآداب، ومشاركته في بناء الحضارة الإنسانية، و مع ما يمكن أن يقدمه هذا

---

[53] زكي الميلاد ، المسألة الحضارية ،مصدر سابق ، ص –ص، 62 – 63

الدين لمستقبل الإنسان، والارتقاء بالحضارة البشرية، مع كل هذا و غيره، لا يريد الغرب أن يصحح علاقته بالإسلام، و هذا أمر محير حقا، و ذا فإن هنتغتون بنظريته صدام الحضارات يساهم في دفع الغرب نحو الاصطدام مستقبلا بالإسلام .

رابعا: إن المكون الحقيقي لنظرية هنتغتون هو أنه ينطلق من خلفية الحفاظ على مصالح الغرب، و ضبط هيمنته على العالم،و استمرارية تفوقه و فرادته على بقية الحضارات، و لا شك أن هذه خلفيات شديدة التحيز إلى الغرب، و لا تساهم إلا في تكريس الانقسامات في العالم، و ترسيخ الفروقات بين الحضارات، وهنتغتون ذه الخلفيات إنما يغلب السياسة على الثقافة والحضارة يجعل من السياسة الحقل الذي يشكل له الدوافع و التصورات، ويحدد منهجيات النظر والتحليل التي يتعامل ا مع الثقافة و الحضارة، و لهذا يمكن القول أن نظرية هنتغتون هي نظرية سياسية في الأساس حتى و لو كان مجالها هو الثقافة والحضارة[54] .

لهذا فإن صدام الحضارات نظرية تفسيرية أو هكذا أراد أن يصورها هنتغتون لكي يدافع عنها و يقنع ا، ويقطع على الآخرين شكوكهم وهواجسهم واحتجاجا م، فقد أراد هنتغتون – كما يدعي – أن يقدم نظرية كلية يربط من خلالها ويفسر بواسطتها الأحداث والوقائع وال اعات والصدامات و الحروب المشتعلة والمتفجرة منذ زمن طويل، و ترجع لأسباب وخلفيات دينية و عقائدية و ثقافية.

لكن المشكلة في هذه النظرية أ ا لم تقف عند حدود الأبعاد التفسيرية كما أراد أن يصور ذلك هنتغتون، وإنما تجاوزت ذلك إلى أبعاد **إنشائية و تحريضية**، حيث كانت تبدو دائما و كأ ا تحذر الغرب من احتمال صدام مع بقية الحضارات غير الأوروبية، و تحرضه بالتالي على ضرورة أن يحافظ على تفوقه ويكون في مستوى مواجهة مثل هذا الاحتمال، لكي لا يفقد حضارته أو تفوقه على مستوى العالم و هذه الخلفيات هي التي أثارت حفيظة العالم و مخاوف ا موعات البشرية وحرضت على سجال هو الأوسع من نوعه في تاريخ العالم المعاصر [55].

هنا يكمن الفرق بينه وبين المهدي المنجرة فهذا الأخير يعتبر الدراسات المستقبلية إيجابية و وقائية لأنه حين كتب كتابه عن الحرب الحضارية الأولى قال للنخب السياسية والفكرية

---

[54] - المصدر السابق ، ص-ص، 64 – 65 .

[55] - زكي الميلاد ،الإسلام و المدينة،مصدر سابق ، ص – ص ، 116 – 117 .

في العالم: " إنه في حالة عدم احترام القيم الإنسانية والثقافية، فإن الحروب القادمة ستكون حروب قيم و ثقافة، و الآن فإن لغة الرئيس الأمريكي بوش كلها، بقطع النظر عن ميزانية الدفاع الأمريكية البالغة 340 مليار دولار هي دفاع عن قيم يهودية مسيحية معينة "، فكلامه كان إيجابيا في الحديث عن المستقبل أما هنتغتون فقال لأصحاب القرار: خذوا حذركم إن الخطر سيأتي من العالم غير اليهودي المسيحي " [56].

هناك بعد آخر تحدث عنه هنتغتون بعناية ويتعلق هذا البعد بفكرة اضمحلال الغرب مقارنة بصعود وتقدم بعض الحضارات الأخرى، و بالذات الآسيوية منها، و هي في نظره فكرة جادة .[57]

لهذا يدعو هنتغتون الغرب لأن يقاوم صعود و تقدم الحضارات الأخرى، و هنا يكمن وجه الخطورة في نظرية صدام الحضارات حسب زكي الميلاد [58].

والمعادلة السليمة في تقدير الميلاد هي أن الدعوة إلى تعدد الحضارات ينبغي أن ترافقها دعوة للحوار والتعارف بين الحضارات لا إلى صدامها و صراعها[59].

المبحث الثاني : نظرية حوار الحضارات .... الفكرة و النقد .

لقد أضحى مطلب "حوار الحضارات " ضرورة حياتية تمليها طبيعة العصر، و تؤكدها متغيراته، لتفادي الصدام و منع نشوب الحروب بين الدول .

1 – حوار الحضارات: السياق و الدلالة :

يعتبر مفهوم الحوار في الفكر السياسي والثقافي المعاصر،من المفاهيم الجديدة حديثة العهد بالتداول، و لعل ما يدل على ذلك أن جميع المواثيق والعهود الدولية التي صدرت في الخمسين سنة الأخيرة بعد إنشاء منظمة الأمم المتحدة تخلو من الإشارة إلى لفظ الحوار ، بينما تعتمد على معاني إنسانية أخرى مثل التسامح والتعاون والتعايش و إنماء العلاقات الودية بين الأمم، وتحقيق

---

[56] - المهدي المنجرة ، " الإهانة في عصر الميغا إمبريالية " ، العولمة و حوار الحضارات و الثقافات،
مجلة عالم التربية ، العدد 17 ، 2007 ،
(الجديدة : منشورات عالم التربية) ، ص 72 .

[57] - زكي الميلاد ، نحن و العالم ،سلسلة كتاب الرياض 138 ،
(الرياض :مؤسسة اليمامة الصحفية ، ط1 ، 2005) ، ص – 48 .

[58] - المصدر نفسه ، ص . 50 .

[59] - المصدر نفسه ، ص . 67 .

التعاون الدولي، و الدفع بالرقي الاجتماعي قدما، و الرفع من مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح ، تعزيز العمل الجماعي المشترك لما فيه الخير للإنسانية جمعاء .

فليس الحوار من ألفاظ القانون الدولي، فهو لا يوجد له ذكر أصلا في ميثاق الأمم المتحدة، و لا في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، و لا في العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية و السياسية، و لا في إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي، و على هذا الأساس فإن الحوار ذا المعنى هو مفهوم سياسي إيديولوجي ثقافي حضاري، وليس مفهوما قانونيا .

لقد اقترن ظهور مصطلح الحوار في دلالته الجديدة بتزايد حدة ما كان يعرف بالحرب الباردة بين المعسكرين السابقين الغربي بزعامة الولايات المتحدة، و الشرقي (الشيوعي) بزعامة الاتحاد السوفيتي ، فقد تزامن ظهور لفظ الحوار مع تصاعد ضراوة الصراع الإيديولوجي بين هاتين القوتين العظيمتين، فكان الحوار الذي طرح الغرب فكرته مقابل التعايش الذي رفع المعسكر الشيوعي شعاره وتبنى فلسفته .

فالغرب ينادي بالحوار بين الأديان ثم الحوار بين الثقافات والحضارات والشرق –الاتحاد السوفيتي سابقا – يدعو إلى التعايش السلمي والتعايش بين الأمم و الشعوب، و لكل دعوة غايتها في كلتا الحالتين .[60]

لقد كان الغرب هو السابق إلى الدعوة إلى الحوار ذا المفهوم، و استند في أول الأمر على الهدف الديني ، حيث وقع التركيز على الحوار الإسلامي – المسيحي، وكانت الكنيسة الغربية هي التي وجهت الدعوة إلى هذا الحوار وذلك في أعقاب نشوء أزمة حضارية جديدة في العالم العربي والإسلامي نتيجة تصادم بين الإرادتين : العربية الإسلامية و الغربية ، و بلوغ حدة الصراع بين الجانبين مبلغا قدر الجانب الغربي أنه بات يهدد مصالحه فكانت الدعوة إلى الحوار في ا ال الديني في صيغة " الحوار الإسلامي المسيحي "، ثم في ا ال السياسي في صيغة " الحوار الأوروبي– العربي " في مرحلة أولى أعقبتها مرحلة ثانية نشطت فيها الدعوة إلى" حوار الشمال و الجنوب " .

[60] - عبد العزيز بن عثمان التويجري ، الحوار من أجل التعايش ،
(القاهرة : دار الشروق ، ط1 ، 1998) ، ص . 11 .

لقد كان الغرب في كل الأحوال، و في جميع الظروف هو صاحب المبادرة إلى هذا الحوار في أشكاله المتعددة وبصيغه المتنوعة، سعيا منه إلى أهداف رسمها و إلى غايات حددها، يكتنفها جميعا قدر من الغموض.

إننا بحق إزاء دعوة صادرة من جهة تملك شروط القوة الاقتصادية والنفوذ السياسي والقدرة على صنع الحدث والتحكم في مساره، و من هنا وجب التعامل مع الحوار في هذا الإطار بقدر كبير من الحيطة والحذر.[61]

و لعل ما يؤكد ذلك ما جاء في الموسوعة العالمية:لقد شغل الحوار علماء السياسة وهذا انطلاقا من الانشغال التالي: ما هو السبيل الأمثل لتمرير المعلومة بالشكل الذي نحول فيه الا اعات إلى وفاق ؟ و يكون ذلك من خلال تحرير الكلمة بمعنى أن لا تكون هذه الأخيرة محتكرة من طرف شخص أو جهاز، بل يفترض توسيعها إلى الأفراد أو الأجهزة الأخرى، وهذا معنى الحوار، أي التخلي من الأطراف المتحدثة عن كل محاولة ترمي إلى فرض الرأي أو الموقف الخاص، و هذا للوصول إلى اتفاق حول جملة من المفاهيم القاعدية لتنظيم أي نشاط أو بلوغ غاية ما[62].

من هنا فرضت مقولة الحوار نفسها على إثر الظروف التي أعقبت اية الحرب الباردة وصدور أطروحة " الصدام ".

من هذا المنطلق فإن مبحثنا هذا سيتمحور حول دعاة الحوار، و قبل ذلك نعرج على مفهوم الحوار.

1 – أ - الحوار لغة:

جاء في المعجم الوسيط (حاوره) محاورةً، و حوارا: جاوبه و جادله.

تحاوروا : تراجعوا الكلام بينهم، و تجادلوا . استحاره :استلطفَه، الحوار : حديث يجري بين شخصين أو أكثر في العمل القصصي أو بين ممثلين أو أكثر على المسرح . [63]

إن كلمة Dialogues في اللاتينية مأخوذة عن الكلمة الإغريقية Dialogos،و تعني

[61] - المرجع السابق، ص12 .

[62] - Encyclopedia Universalis , groupe 7 . paris .1996 , pp . 365 – 366 .

[63] - المعجم الوسيط ، مرجع سابق ، ص . 205 .

موضوعا مكتوبا، يقوم فيه شخصان أو أكثر بالحوار أو المناقشة لموضوع ما [64].

وقد ورد في القاموس الموسوعي لاروس: أن لفظة الحوار مشتقة من الكلمة اللاتينية Dialogues والتي تعني محادثة،كما يعني مداولة كلامية، نقاش، تبادل لوجهات النظر بين شخصين أو أكثر بهدف إيجاد أرضية للوفاق و التفاهم [65].

إذن فالحوار في معناه اللغوي يفيد المحادثة والمناقشة التي تدور بين طرفين أو أكثر.

1 – ب – الحوار اصطلاحا:لقد هيمنت كلمة الحوار – وما يدخل في إطارها – على جزء كبير من الأبحاث والندوات والمؤتمرات في عالمنا المعاصر، بل إنها أصبحت تستخدم في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع والايدولوجيا، وهذه الكلمة تدل بداية على محاولة لحل مشكلة أومعضلة شائكة وعالقة، فهي قائمة دوما بين طرفين أو أكثر يفتقدان التواصل المطلوب وعندما يرغب كل منهما في الاتصال مع الآخر فإن هذه الكلمة السحرية تصبح عنوانا لتواصلهما[66].

الحوار بمعناه التواصلي والمعرفي مقدمة أساسية للتعاون وتعاضد الجهود ومواجهة التحديات الداخلية والخارجية، فالحوار وسيلة تعارف ولقاء و تأصيل للرؤى و واقعية الحلول والاتفاق على الأهداف الكبرى، من خلاله تتقارب الاتجاهات ويعاد ترتيب الأولويات و تعمق الأفكار و تغتني بعضها ببعض . [67]

إن المقصود بالحوار هنا،ليس مجرد التحاور بين بعض الأفراد من أصحاب النيات الطيبة من الجانبين، وإنما المقصود هو التعاون بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى وبخاصة على المستوى العلمي من أجل خير هذا العالم واستقراره، ومن الواضح أن وحدة هذا العالم وفرصته

[64] - منى إبراهيم اللبودي ، الحوار فنياته و استراتيجياته و أساليب تعليمه ، (القاهرة: مكتبة وهبة ، ط1 ، 2003) ، ص 19 .

[65] - La Rousse Dictionnaire Encyclopédique .paris . tome 1 , 1999 , p 338 .

[66] - رضوان السيد - أحمد برقاوي، المسألة الثقافية في العالم العربي - الإسلامي، (دمشق : دار الفكر ، ط 2 ، 2001)، ص .ص . 7 - 8 .

[67] - المرجع نفسه ، ص ، 10 .

في الحياة ومدى قوة ترابطه تتأثر سلبا وإيجابا بمقدار قوة أو ضعف أي حلقة من حلقات السلسلة التي تجمع أمم العالم المختلفة [68].

فالحوار حالة أخلاقية تعكس الطريقة التي تتوزع بمقتضاها القوة بين البشر والحضارات و الشعوب أي أنه صورة من صور القوة اللطيفة (اللينة) أو الأقل سفورا و التي تسعى لتحقيق غايا ا باللجوء إلى أقل استعمال للقوة السافرة[69].

و هناك من عرف الحوار على أنه محادثة بين شخصين أو فريقين حول موضوع محدد لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر بعيدا عن الخصومة و التعصب، بطريق يعتمد على العلم و العقل مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة و لو ظهرت على يد الطرف الآخر .[70]

و الحوار ذا حق مشاع للجميع وليس منة يمنن ا غالب على مغلوب، أو قاهر على مقهور، فيصبح الحوار عنصرا حيويا لحياة الأشخاص فضلا عن الأفكار، إنه التحرر من شراك السلطة بجميع مفاهيمها ودلالتها الفكرية و المعرفية و السياسية و الاجتماعية، و الحوار أيضا: اكتشاف للآخر داخل الذات و يعني أيضا و بنفس المرتبة اكتشاف الذات في نظر الآخرين، أي التعرف على الأنا الموضوعية التي يراها الآخرون مقابل الأنا الذاتية التي نراها نحن، و من ثم يكون الآخر امتدادا للذات و مجالا خصبا للتعرف على عوالم مختلفة .[71]

و تجدر الإشارة إلى أن الحوار يتخذ عدة أشكال منها:

- المحادثة الحرة: حوار مرتجل تلقائي يشارك فيها طرفان أو أكثر دون التزام بموضوع.
- المناقشة: أحد الأساليب المستخدمة في العلم و هي نشاط منظم يتحدث المشاركون فيه حول موضوع أو إشكالية معينة بحثا عن إجابات أو حلول.

---

[68] - محمود حمدي زقزوق ، الإسلام و الغرب،
(القاهرة: مكتبة الشروق الدولية ، ط1 ، 2005) ، ص . 49 .

[69] - غسان علاء الدين ، " وهم الحوار "، ندوة فكرية دولية، حوار الحضارات، إعداد و تقديم : عطية مسوح ،
(دمشق : دار الينابيع ، ط1 ، 2009) ، ص . 222 .

[70] - بسام عجك ، الحوار الإسلامي المسيحي،
(دمشق : دار قتيبة ، 1997) ، ص . 20 .

[71] - عمار جيدل ، حوار الحضارات و مؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل النساني،
عمان : دار الحامد للطباعة و النشر و التوزيع ، ط1، 2003) ، ص . 37 .

- المناظرة : هي حوار يتبادل فيه الطرفان المتناظران الحجج و الأدلة حول مسألة ما بشكل رسمي أمام جمهور، ووفق إجراءات متعارف عليها بلوغا إلى الحق أو جلاء للصواب وتشترط التزام طرفيها بشروط محددة .
- السؤال و الجواب: و هو من صور الحوار الأكثر شيوعا في مواقف الحياة اليومية، رسمية أو غير رسمية، و هو وسيلة فعالة للتواصل الإنساني . [72]
- الجدل:وردت كلمتا "الحوار" و"الجدل" في القرآن الكريم في أكثر من موضع، و لكن الكلمة الأولى أقل استعمالا من الثانية، فنحن لا نجد لها ذكرا إلا في آيات ثلاث: جاءت اثنتان منها في سورة الكهف والثالثة في سورة ا ادلة، أما الكلمة الثانية "الجدل" فقد جاءت الإشارة إليها في سبعة وعشرين موضوعا في القضايا العامة والخاصة من دينية متعلقة بقضايا العقيدة والحياة أو اجتماعية تدخل في إطار ا تمع، ولعل السر في هذه المساحة التي أخذ ا الكلمة في القرآن الكريم فيما واجه الإسلام من قضايا أو عاش فيه الإنسان من مواقف.

لكن تمّ تفضيل واختيار كلمة الحوار على الجدل لأن كلمة الجدل أخذت مدلولا جديدا يقترب إلى الترف الذهني، كما تحول إلى صناعة قد يقصدها الكثيرون لذا ا من أجل التدرب على الأخذ والرد و الهجوم والدفاع في مجالات الصراع الفكري ليعطل خصمه لا ليوصله إلى الحقيقة أو ليصل معه إلى قناعة.

أما كلمة الحوار فهي أوسع مدلولا من كلمة الجدل باعتبار أن الجدل يتضمن الصراع، بينما الحوار يتسع له و لغيره مما يراد منه إيضاح الفكرة بطريقة السؤال و الجواب، الأمر الذي يجعله أكثر إفادة [73].

- التفاوض: هو عملية البحث عن الأرضية المشتركة بين الأطراف المشاركة فيه، و فيها يحاول كل طرف تحقيق أكبر قدر من المكاسب لصالحه،وذلك من خلال الحوار،

[72] - منى إبراهيم اللبودي ، مرجع سابق ، ص – ص ، 41 – 43 .

[73] - محمد حسين فضل الله ، الحوار في القرآن (قواعده ، أساليبه ، معطياته)، (الجزائر : دار المنصوري للنشر ، ج 1) ، ص . ص – 16 – 18.

فالتفاوض هو فن التعامل مع الاختلاف من أجل الحفاظ على كفاءة العلاقات بين أطراف اختلفت مصالحها أو تعارضت[74].

1- جـ - الحوار في القرآن الكريم:

أ – حوار الله سبحانه و تعالى مع الملائكة:

يكفي لعظمة الحوار في القرآن من أن الحوار بدأ قبل الإنسان خلقا ووجودا و بدأ عنه وحوله وبسببه، في حوار جرى بين الله جلت قدرته مع ملائكته المقربين، نقله لنا القرآن الكريم في قوله تعالى: "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون * وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم "(البقرة 30 -31)،فهذه الآيات تبرهن على صدق المقولة التي تتردد في الكتابات الإسلامية و هي مقولة :"في البدء كان الحوار "[75].

و المقصود ا أن الحوار بدأ منذ وجود الإنسان على الأرض، و على الإنسان أن يتخذ الحوار منطلقا في علاقته بالإنسان الآخر الذي هو إما أخ له في الدين أو نظير له في الخلق، فهو أمر له صفة الثبات والرسوخ، كما أكدت على أن الحوار ينبغي أن يبدأ من العلم وينتهي إليه وهذا هو الحوار الايجابي الفعال حوار العقلاء و الحكماء [76].

ب – حوار الله مع إبليس :

ضرب الله لنا مثالا بليغا للغاية فوق ما يتخيل الإنسان حين تحاور مع إبليس - لكن بعد خلقه ووجوده- الذي عصى أمره، و خرج عن طاعته، واستكبر و تعالى، و قد ورد هذا الحوار في أربع سور مكية هي الأعراف (11– 18)– الحجر (31– 43)– الإسراء (61– 65) – ص(71 - 88) ونموذجا لها قال تعالى: "و لقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين * قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين * قال فاهبطا منها فما يكون لك أن تتكبر فيها

[74] - منى إبراهيم اللبودي ، مرجع سابق، ص 47 .

[75] - زكي الميلاد ، الحوار في القرآن ... نماذج و مبادئ،

(الرياض : مركز الملك عبد العزيز للحوار الوافي ، 2010) ، ص 17 .

[76] - المصدر نفسه ، ص 18 .

فاخرج إنك من الصاغرين* قال أنظرني إلى يوم يبعثون* قال إنك من المنظرين* قال فبما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم " (الأعراف 11– 16).

فهذا الحوار يدل دلالة صريحة على أن العصيان لا يمنع من الحوار واستنطاق وجهة النظر المغايرة والبوح ا كما أن العصيان لا يمنع من الحوار حتى لو كان الطرف الآخر هو إبليس الشيطان الرجيم الذي عليه اللعنة إلى يوم الدين، كما أن الله الذي له ملك السماوات والأرض ويسبح له من فيهن تحاور مع إبليس الذي هو رمز ومصدر الشر في هذا الوجود.

من هنا نستنتج أن الحوار ممكن إذا اقتضت الضرورة مع أي إنسان في هذا العالم مهما كانت صفة وضعيته لأنه ليس بين بني البشر من هو في م لة إبليس الذي هو شر كله، في حين أن الناس كلهم عيال الله فطرهم على فطرته [77].

جـ - حوار الله مع آدم :

حيث نقل لنا القرآن الكريم هذا الحوار في سورتين مكيتين هما:الأعراف(19- 24) وطه(117 – 123)، و الغرض منه: أن الله اتخذ من الحوار سبيلا في تذكير آدم و زوجته وتنبيههما،و إخراجهما من غفلتهما، و ذا يكون الحوار وسيلة للتربية والتهذيب و التعلم . [78]

د – حوار الأنبياء مع أقوامهم :

لقد كان الحوار ج الأنبياء مع أقوامهم في مختلف أزمنتهم وأمكنتهم، من نبي الله نوح إلى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، و مع مختلف الأقوام بغض النظر عن طبيعة هذه الأقوام و نوعية قضاياها ومشكلا ا.

فالأنبياء لم يسلكوا ج القوة و عرفوا بالحوار، الأمر الذي يقتضي من الدعاة إلى الله والعاملين في سبيله أن يكونوا أكثر الناس تمسكا بنهج الحوار في مجتمعا م، لأ م أقرب الناس اقتداء بنهج الأنبياء، و هذا يعني أن الحوار هو الأصل و الأساس و ليس القوة [79].

نتيجة: إذن الحوار أسلوب من أساليب التفاهم بين الأفراد و الجماعات والدول، بغرض تحقيق التعاون والتعارف والوصول إلى الحقيقة بعيدا عن التعصب و التطرف مع احترام الطرف

---

[77] - المصدر السابق ، ص 20 .

[78] - المصدر نفسه ، ص 22 .

[79] - المصدر نفسه ، ص – ص، 27 - 28 .

الآخر، وهو مبدأ إسلام أصيل بدأ من القرآن الكريم ثم اتسع ليشمل الشعوب والأمم و حتى الأديان و الحضارات .

1- د- معنى حوار الحضارات:

هذا عن مفهوم الحوار إجمالا ، أما مصطلح "حوار الحضارات" فهو مفهوم مركب، فإذا كان مصطلح "الحضارة "يعني في مفهومه المعاصر مجموع عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع ما، و إذا كان " الحوار "هو ا اوبة أو ا ادلة و المخاصمة أو المحاجة و المناظرة فإن "حوار الحضارات " يعني:

أولا: ذلك التفاعل الفكري الناشئ عن احتكاك المبادئ والنظريات في ثوب من المطارحات والمناقشات والمناظرات الفكرية، و ما يستتبع ذلك من قبول أحد الأطراف المحاورة نظريات الآخر أو رفضها أو طرحها للأخذ و الرد.

ثانيا: "حوار الحضارات"يعني أيضا:ذلك التأثير العملي الحادث من هيمنة حضارة على حضارة، و ما يستتبع ذلك من تغيير في مظاهر الحياة العملية وأشكالها و أنماطها و عناصرها كلها.[80]

2 – دعاة الحوار :

2 – 1 - روجيه غارودي : *

لقد خلص غارودي إلى الدعوة لحوار الحضارات والتحرر من عقدة (مارثون) التي فصلت الغرب عن الشرق و وضعت العالمين وجها لوجه في علاقة معركة وحرب وصدام، من خلال تجربة حياته الحافلة بالغنى الإنساني الذي حمله إلى ثقافات لا غربية و إلى أناس من آسيا ومن الأصقاع الإسلامية ومن إفريقيا إلى أمريكا اللاتينية، وقد تطلع إلى نماذج أخرى من علاقة الإنسان بالإنسان وعلاقة كل امرئ بالجماعة لمكافحة عزلة الأنا الأوروبية المتبجحة و واجب الإقلاع عن تصور المستقبل في شكل إيمان ساذج بالتقدم أو في صورة فيض من إنجاز

---

[80] - أحمد محمد العسال ، حوار الحضارات " مدخل لرؤية إسلامية "
(القاهرة : مكتبة وهبة ، ط1 ، 1996) ، ص 12 .

* - روجيه غارودي (Roger Garaudy) فيلسوف وكاتب فرنسي، كان شيوعيا في ما مضى، لكنه طرد من الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1970 م وذلك لانتقاداته المستمرة للاتحاد السوفياتي، وبما أنه كان عضواً في الحوار المسيحي الشيوعي في الستينيات، فقد وجد نفسه منجذباً للدين وحاول أن يجمع الكاثوليكية مع الشيوعية خلال عقد السبعينيات، ثم ما لبث أن اعتنق الإسلام عام 1982 م متخذا الاسم رجاء .

مشروعات تقنية، بل في هيأة طفولة جديدة لحياة حضارية إنسانية متعاونة، تؤدي إلى المدنية في آخر المطاف[81].

ولهذا قام غارودي في سنة 1976 بتأسيس المعهد الدولي لحوار الحضارات في جنيف بالتعاون مع منظمة اليونسكو:" دف إبراز دور البلاد غير الغربية وإسهامها في الثقافة العالمية حتى يتوقف الحوار ذو البعد الواحد من جانب الغرب، أو (المونولوج) الذي يقوم على وهم وعقدة التفوق عند الإنسان الغربي [82].

تقوم الفكرة الأساسية في حوار الحضارات عند غارودي:"الغرب عارض طارئ، تلكم هي المصادرة الأولى في كل اختراع يتناول المستقبل، وهذا الطراز الذي أَلِفه "الغربيون "في اعتبارهم أن الفرد مركز الأشياء كلها ومقياسها وفي إرجاعهم الواقع إلى المفهوم، أي في الرقي بالعلم والتقنيات من حيث هي وسائل مداولة الأشياء والناس إلى مصاف القيم العليا، إنه طراز استثناء ضئيل في الملحمة الإنسانية التي دامت ثلاث ملايين سنة.

ويعتقد غارودي أنه:"إذا تجردنا من الحكم العرقي المسبق القائل بتميز الإنسان الأبيض وجدنا منابع الغرب (الإغريقية والرومانية و المسيحية) إنما ولدت في آسيا وفي إفريقيا".

كما يذهب غارودي إلى:"إن عصر النهضة وهو ليس حركة ثقافية وحسب،بل ولادة مواكبة أنجبت الرأسمالية والاستعمار، قد هدم حضارات أسمى من حضارات الغرب، باعتبار علاقات الإنسان فيها بالطبيعة وبا تمع و بالإلهي بدل أن يكون ذروة "ال عة الإنسانية ".

لهذا أطلق غارودي عبارة "الشر الأبيض"على هذا الجانب من الدور المشؤوم الذي ض به الإنسان الأبيض في التاريخ . [83]

كما يذهب غارودي إلى أن الحضارة الغربية في نموها من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين اتبعت ثلاث موضوعات:

1-موضوعة رجحان الفعل والعمل باعتبار ذلك قيمة أساسية.

---

[81] - عادل العوا ، آفاق الحضارة دراسة فكرية،
(دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 2001)، ص – ص، 187 – 188 .

[82] - أبو ا د أحمد، رجاء غارودي رحلة فكر و حياة،
(قسنطينة: دار البعث للطباعة و النشر ، ط1، 1983) ، ص 91 .

[83] - روجيه غارودي، في سبيل حوار الحضارات، تعريب: عادل العوا،
(بيروت: دار عويدات للطباعة و النشر ، ط6، 2007)، ص 9 .

2-موضوعة رجحان العقل ومن الجائز أن نصوغها على النحو الآتي:
إن العقل قادر على حل جميع المشكلات ولا توجد مشكلات حقيقية إلا تلك التي يستطيع العلم أن يحلها، و في مثل هذا التصور الوحيد البعد ينحل الفكر إلى الذكاء وحده، ولا يجد فيه الحب، و لا الإيمان و لا الشعر مجالا.
3-الموضوعة الثالثة رجحان اللا ائي السيئ،أعني اللا ائي الكمي وحسب، وباسم هذه الموضوعة أمكننا الاعتقاد بإمكان لا ائي في النمو وأن نعرف النمو باعتباره نموا كميا صرفا في الإنتاج و الاستهلاك .

و قد خلص غارودي إلى النتيجة التالية: أن حضارة تقوم على هذه الموضوعات الثلاث: تحيل الإنسان إلى العمل والاستهلاك، تحيل الفكر إلى الذكاء، وتحيل اللا ائي إلى الحكم، إ ا حضارة مؤهلة للانتحار[84] .

لهذا آمن بأن حوار الحضارات وحده يمكن أن يولد مشروع كوني يتسق مع اختراع المستقبل،و ذلك ابتغاء أن يخترع الجميع مستقبل الجميع، لأن ابتكار مستقبل حقيقي يقتضي العثور مجددا على جميع أبعاد الإنسان التي نمت في الحضارات والثقافات اللاغربية [85].

كما أقر بأننا مازلنا في مجال الخطوات المتعثرة التمهيدية لهذا الحوار الحقيقي الذي سيتيح وعي نسبية مفهومنا الغربي عن العالم و سيتيح أخيرا تحقيق التركيب الكبير الذي يستطيع وحده إنجاب نزعة إنسانية كلية حقا [86].

2 – 1 – أ – شروط و أهداف حوار الحضارات عند غارودي:

لعلّ من أبرز شروط حوار الحضارات عند غارودي أن الحوار الحقيقي يوجد عندما يكون كل محاور مقتنعا منذ البدء أن ثمة شيئا يتعلمه من الطرف الآخر [87].

[84] - المرجع السابق ، ص – ص . 35 – 38 .
[85] - المرجع نفسه ، ص . 10 .
[86] - المرجع نفسه ، ص . 129 .
[87] - روجيه غارودي ، الإسلام ، ترجمة وجيه أسعد ، (بيروت : دار الفارابي ، ط1 ، 1996) ، ص . 97 .

كما أن فهم ثقافة أخرى يستلزم تحولا كبيرا في عقليتنا الغربية وجهدا كبيرا في التواضع الفكري و في القبول لنرفض التشويهات المتبادلة والتنازلات والمصالحات، فالحوار لا يقوم على هذا النحو بل نطلب من كل أن يصبح ما هو .[88]

إن حوار الحضارات حقيقيا ليس بجائز إلا إذا اعتبرت الإنسان الآخر والثقافة الأخرى جزءا من ذاتي يعمر كياني ويكشف لي عما يعوزني، ونحن لا نحل المشكلات التي نضطلع بمسؤوليتها إلا بلقاء جديد، وبحوار مع ضروب الحكمة والتمرد القائمة في آسيا وإفريقيا والبلدان الإسلامية وأمريكا اللاتينية، وعلى هذا المنوال وحده يمكننا التوصل إلى أن نتصور ونحيا علاقات جديدة أغنى بين البشر والطبيعة وهي علاقات تباين علاقات التقنية و الغزو.[89]

يهدف مطلب "حوار الحضارات" عند غارودي إلى الإسهام على الصعيد الثقافي في بناء نظام عالمي جديد،[90] إن الأمر ليس أمر اصطناع طوباوية لا أساس لها من الواقع، بل أمر وعي ما تصبوا إليه آلاف ا تمعات المتشاركة والطوائف على اختلاف أنماطها المتنوعة وهي تسعى كل منهما لمصلحتها إلى أن تغير الحياة، إن الأمر أن نعرف القاسم المشترك بين تطلعا ا وأن نفتح آفاق إمكانات جديدة، إن ما نراه الآن يولد وينمو ويمنحنا سلفا الثقة والجرأة على تصور وعلى تحقيق عالم آخر، نموا إنساني الوجه [91].

ولا يقتصر وعي حوار الحضارات وخصبه في عصرنا على فائدته التاريخية وحسب،بل إنه ينهض بدور أمامي لأجل اختراع المستقبل، إن حوار الحضارات الحقيقي لم يزل في طور بدء المغامرة الإنسانية، إنه أكثر الأمور إلحافا من أجل إقامة علاقات جديدة مع العالم مع سائر البشر و مع مستقبلنا المشترك[92].

2 – محمد خاتمي :*

لقد طرح محمد خاتمي دعوته إلى "حوار الحضارات " ردا على نظرية الصدام، لهذا اقترح باسم

---

[88] - روجيه غارودي ، في سبيل حوار الحضارات ، مرجع سابق ، ص . 107 .

[89] - المرجع نفسه ، ص . 158 .

[90] - المرجع نفسه ، ص . 77 .

[91] - المرجع نفسه ، ص . 10 .

[92] - المرجع نفسه ، ص-ص، 115 – 116 .

* محمد خاتمي : مناضل و مفكر إسلامي ، وزير للثقافة بين عامي 1985 و 1995 ، أنتخب رئيسا للجمهورية الإسلامية الإيرانية عام 1997 .

الجمهورية الإسلامية أن تبادر الأمم المتحدة بخطوة أولى إلى تسمية عام 2001 عام حوار الحضارات، على أمل أن يحقق الحوار هذا الخطوات الضرورية الأولى في سبيل العدل والحرية العالمية، فمن أهم مكاسب القرن العشرين الاقتناع بضرورة الحوار والحؤول دون اللجوء إلى القوة و تعزيز عملية التنسيق والتفاعل في ا الات الثقافية والاقتصادية والسياسية إلى جانب تعزيز أسس الحرية والعدل وحقوق الإنسان[93].

لاقى هذا المقترح ترحيبا واسعا في الأمم المتحدة و بين النخب الثقافية والسياسية، وهو يعكس رغبة تتملك العالم في مطلع الألفية الثالثة، بالتخلي عن نموذج الصراع وإعادة بناء الحياة في ظل نموذج آخر [94].

يمثل حوار الحضارات عند خاتمي بديلا مرجعيا لأساس تقليدي قامت عليه العلاقات الدولية خلال القرن الحادي والعشرين، و هو أساس القوة و الهيمنة [95].

لذا فإن الحوار لا يعني استخدام نمط جديد من لغة الدبلوماسية لتحقيق مصالح تتعلق بالاقتصاد والسياسة والتفوق على الأعداء ومواصلة الحرب والصراع، بل إن حوار الحضارات والثقافات لا يمكن أن يتحقق بمعزل عن التوافق والمحبة والسعي الصادق من أجل فهم الآخر، واستيعابه لا خوض صراع معه لهزيمته [96].

يهدف الحوار والتواصل عند خاتمي إلى ما هو أبعد من العلاقات الاقتصادية والتجارية التي تتكون نتيجة لضرورات الحياة و الاحتياجات المادية.كما لا يمكن للحوار أن يقف عند حدود العلاقات العلمية والثقافية التي تظل محدودة بالرغبة في معرفة الآخر، إذ إن نماذج العلاقة والتواصل هذه متحققة اليوم، غير أ ا حين تتجرد عن علاقات منبثقة من الصفاء ووحدة القلوب فإ ا قد تفضي إلى نتائج و تبعات كالهيمنة والاستعمار ويدلل على ذلك تاريخ العلاقة بين الشرق والغرب خلال القرون الأخيرة [97].

---

[93] - محمد خاتمي، حوار الحضارات، ترجمة: سرمد الطائي،
(دمشق : دار الفكر ، ط1 ، 2002) ، ص . 28 .

[94] - المرجع نفسه ، ص . 18 .

[95] - المرجع نفسه ، ص . 12 .

[96] - المرجع نفسه ، ص . 50 .

[97] - المرجع نفسه ، ص . 66 .

لهذا سيتوحد مصير العالم في مطلع الألفية الثالثة، وطوال الأعوام القادمة، ومن أجل أن يكون ذلك مصيرا عادلا يعود علينا بالسعادة والفلاح فليس أمامنا من خيار سوى حوار الحضارات والثقافات.

فقد كان القرن العشرون يتحرك في مدار السيف،وفي حركته تلك خرج بعض الخاسرين، في حين حقق آخرون النصر، غير أن القرن الجديد لابد أن يتحرك في مدار الحوار وإلا فسيتحول ذلك السيف إلى حسام قاطع لا يعرف الرحمة أبدا، وكثيرا ما كان الطغاة الذين يشعلون نار الحروب في طليعة ضحاياها،إن هذه الحقيقة هي إحدى تبعات العولمة وإفرازا ا [98].

فعالمنا المعاصر أصبح بمثابة قرية كونية، و من هنا تواجهه مهمة صنع السلام عن طريق التضامن العالمي، ولعلّ الوصف الأكثر ملائمة للإنسانية اليوم هو أ ا تمثل جماعة استقرت على ظهر سفينة كونية تبحر عبر الفضاء الكوني، و يتحتم عليها أن تتجنب حدوث أي خلل فيها بأي ثمن [99].

2 – 2 – أ – شروط الحوار عند خاتمي :

من بين ما يتطلبه حوار الحضارات عند خاتمي أن ننصت للآخر،كما نتحدث إليه بالضبط، فالإنصات فضيلة علينا أن نتحلى ا، و في سبيل ذلك لابد أن يبادر الإنسان إلى امتلاك لون خاص من الأخلاق و ذيب النفس والرياضة العقلية [100].

كما يتطلب حوار الحضارات إحداث تحول جذري في الأخلاق السياسية، فالتواضع والالتزام بالعهود والمساهمة الفاعلة هي من أهم المتطلبات الأخلاقية لتحقيق الحوار في مجال السياسة والعلاقات الدولية.

فضلا عن أن الحوار لا يتحقق إلا في ظل ظروف تتدخل في تكوينها عناصر نفسية وفلسفية وأخلاقية خاصة، من هنا نحتاج إلى أحكام وقناعات عامة مسبقة لا يمكن تحقيق الحوار في مضمونه الدقيق دو ا أبدا.

[98] - المرجع السابق ، ص . 51 .

[99] - محمود حمدي زقزوق ، الإسلام و الغرب ، مرجع سابق ، ص – ص . 84 – 85 .

[100] - محمد خاتمي ، حوار الحضارات ، مرجع سابق ، ص . 42 .

و يمثل التكافؤ في الاستحقاق شرطا آخر في حوار الحضارات رغم أن التسامح مفهوم ضروري لتحقيق المراحل الأولية للحوار إلا أن علينا إدراك أن ثمة بونا شاسعا بين ما دعت إليه مرحلة الحداثة* (Modarnity-Modernism) من صبر وتحمل سلبيين، والتكافل أو التعاون الإيجابي الذي تدعو إليه ديانات الشرق و فلسفاته.[101]

هناك شرط آخر يتعلق بالسلام الناتج عن الحوار، فالإنسانية ظلت تسعى على مر التاريخ إلى تحقيق السلام، فالإنسان يتجنب في حد ذاته مستويات الصراع والصدام، ويميل نحو السلام القائم على العدل وتوفير الاحترام المتبادل الذي يبديه كل طرف حيال الآخر هو أساس الحوار الذي يبدأ حين يتم إلغاء ممارسة الهيمنة.

بالإضافة إلى سلام آخر مع الطبيعة فهي مهد الإنسان و من المؤسف أن جشع الإنسان و أنانيته دفعاه إلى الصراع مع الطبيعة بدلا من العيش في أحضا ا و الحياة معها، فراح يرى في الطبيعة كائنا جمادا بلا روح، فعبث ا و قد أصبحت هذه الطبيعة ذا ا بلاء عليه نتيجة لعبثه وجشعه ، حيث يعد تلوث البيئة وما تشهده خصوصا من فوضى التهديد الأكبر الذي تواجهه حياة الإنسان[102] .

2 – 2 – ب - عوائق حوار الحضارات عند خاتمي :

لكن ليس في وسع العالم اليوم أن يدعو إلى السلام والحوار والتفاهم بشكل ساذج ومتفائل، بل لابد من إدراك أن ذلك سيكون صعبا جدا [103]، لأن ثمة معوقين يحولان دون تحقيق هذا الحوار:

الأول تاريخي: إذ أن بيننا و بين العالم المسيحي ذهنية تاريخية مروعة، لاسيما أعقاب الحروب الصليبية، و قد تشكلت حالة من عدم الثقة والتشكيك بين المسيحيين والمسلمين تحولت مع مرور الزمن إلى مجموعة ترسبات سادت الأذهان في العالمين [104].

---

[101] - المرجع السابق ، ص – ص . 44 – 45 – 46 .

[102] - المرجع نفسه ، ص – ص . 150 – 151 .

[103] - المرجع نفسه ، ص . 50 .

[104] - محمد خاتمي، الإسلام والعالم،

(القاهرة : مكتبة الشروق ، ط9 ، 2002) ، ص . 124 .

*هي ظاهرة غربية انطلقت من أوروبا مع الثورة الفرنسية 1789م وتعني التغير في النظام السياسي من النظام الملكي إلى الديمقراطي،أما اقتصاديا فتتبنى النظام الليبرالي، أما اجتماعيا فتعتمد على المساواة بين الجنسين.

بالإضافة إلى مشكلة ذهنية أخرى بين المسلمين أنفسهم إذ تجلت الخلافات الكلامية بين الطوائف والمذاهب الإسلامية على مر التاريخ على شكل صراعات دامية ميزة للأحقاد السياسية، وبالتالي ازدياد الأحقاد، والتشكيك العاطفي إلى درجة أ ا حالت دون التعامل المنطقي مع القضايا المستعصية.

الثاني عصري:ويتمثل في الاستعمار، فبعد استقرار الحضارة الغربية كان ظهورها على العالم وللأسف على شكل الاستعمار، إذ أن أصحاب المصالح الاقتصادية والسياسية وحتى العسكرية تجاوزوا حدودهم الوطنية بقصد السيطرة على العالم، ولتحقيق هذا الهدف أباحوا لأنفسهم استخدام كل الوسائل والأدوات، ومنها إثارة مساوئ التاريخ في الأذهان ليس فقط للإبقاء على الخلافات بين المسيحيين والمسلمين وكذلك بين المذاهب الإسلامية نفسها، بل أيضا لإثارة هذه الخلافات من زوايا عديدة وعلى نطاق واسع، ليتمكن المستعمرون في ظل هذه الخلافات والا اعات من الوصول إلى مصالحهم غير المشروعة.

ويعتقد خاتمي بإمكانية فتح جسور الحوار بين العالمين الإسلامي والمسيحي، من خلال إزاحة الحجب وحوافز التعصب عن الأذهان، وباعتماد الفكر والمنطق لتحقيق عالم يعمه السلم، تحترم فيه حقوق الإنسان،وكذلك قيمه المعنوية وبالحيلولة دون إهدار حقوق الإنسان تحت أقدام أصحاب المصالح الاقتصادية والسياسية.

كما ينبغي على مفكري العالمين الإسلامي والمسيحي الذين يؤمنون بالحوار أن يحذروا من تحول الدين والمسائل العقائدية والفكرية إلى أدوات بيد الساسة وأصحاب المصالح الاقتصادية والسياسية، و إن كان هذا العمل عسيرا إلا أنه قابل للتحقق [105].

3 – نقد زكي الميلاد لنظرية حوار الحضارات:

3 – أ – نقد نظرية حوار الحضارات عند غارودي :

لقد اعتبر الميلاد أن ما قدمه غارودي أنضج طرح اتصف بالانفتاح على الحضارات، حيث وجه غارودي نقدا قاسيا لسلوك الغرب في تاريخ علاقته بالأمم والحضارات غير الغربية،

---

[105] - المرجع السابق ، ص - ص ، 125 – 126 .

و يدعو الغرب لأن يعيد النظر إلى ذاته، و إلى الآخر الحضاري من خارج محيطه الغربي، والانفتاح عليه، والتعلم منه [106].

كما تمثل دعوة غارودي للحوار بين الحضارات قراءة للمستقبل، فقد انشغل بمعالجة أزمة الحضارة الغربية وبتصحيح موقفها من الحضارات الأخرى، بعد إدراكه بأن نمط التطور الذي تمارسه الحضارة الغربية وخاصة في مجال التقدم التكنولوجي والصناعي إنما من شأنه القضاء عليها [107].

لهذا اعتقد الميلاد أن غارودي قد بلور دعوته لحوار الحضارات، بعد تحليله لأزمة الثقافة والحضارة الغربية، أراد من هذه الدعوة أن تكون خطابا نقديا للغرب، متوجها منه وإليه قاصدا به ضرورة أن يلتفت الغرب لبعض مشكلاته و إشكالياته الناشئة في منظومته الفكرية والفلسفية والاجتماعية، وطريقته في التطور الحضاري، و في نمط رؤيته لعلاقاته بالعالم لإنقاذه وتصحيح مساراته.

وعليه فإن نظرية غارودي-حسب الميلاد- تنتمي وتصنف على النظريات الغربية، لكن هذا لا يعني ذلك بالضرورة نقدا لها أو رفضا أو إسقاطا، و إنما القصد هو تحديد طبيعة الفضاء المعرفي والمرجعي لهذه النظرية ، و فهم غايا ا ومقاصدها و كيفية التعامل معها .

بالتالي لا يمكن الرجوع إلى هذه النظرية إلا في إطار التثاقف والتواصل الفكري والمعرفي،و ليس الاعتماد عليها بوصفها نظرية كونية عامة، أو باعتبارها قابلة للتعميم على المستوى الإنساني، مع أ ا – كما سبق الذكر – قد تعد من أنضج النظريات في مجالها وأكثرها دعوة للانفتاح و التواصل مع الثقافات والحضارات الأخرى غير الأوروبية . [108]

كما تعد مقولة حوار الحضارات مقولة اعتراضية ونقدية، و هي أصلح وأسبق من مقولة صدام الحضارات من حيث التداول العام ، لكن الوصول إليها وتحويلها إلى واقع وممارسة مازالت تقف دونه مسافات طويلة تمنع من أن يتقدم العالم خطوات كبيرة نحوها. ولعل ما يدعو إلى التوقف عنده هل أن البيئة العالمية - بالمعنى الثقافي و الاجتماعي - وصلت إلى مرحلة

---

[106] - زكي الميلاد، المسألة الحضارية، مصدر سابق ، ص . 91 .

[107] - مصطفى النشار ، ما بعد العولمة قراءة في مستقبل التفاعل الحضاري و موقعنا منه،
(القاهرة : دار قباء الحديثة للطباعة و النشر والتوزيع، 2007) ، ص . 99 .

[108] - زكي الميلاد ، المسألة الحضارية ، مصدر سابق ، ص – ص، 71 – 72 .

من النضج بحيث تتقبل فيه فكرة حوار الحضارات ؟ و هل الغرب يسمح لنفسه أن يدخل في حوار مع حضارات لا يوجد فيها التكافؤ معه، و هو المحكوم بعقلية التوازنات المادية ؟ و هل أن الحضارات الأخرى كالحضارة الإسلامية والهندية والسلافية والإفريقية ، وحضارات العالم الثالث أخذت تستعيد توازنها الطبيعي بما يؤهلها إلى حوار مع الحضارات الكبرى والمتقدمة في العالم بصورة متكافئة ؟ [109]

يذهب أحد المفكرين إلى أن غارودي قدم في كتابه "حوار الحضارات" حقائق شديدة الوضوح تكشف كيف تعامل الغربيون مع شعوب العالم الأخرى من منطلق القوة وفرض الرأي، رغم ذلك لا يوافقه في طرحه من ضرورة "الحوار الحضاري "، فقد تصور غارودي أنه يمكن للغربيين اليوم إذا ما وعوا تلك الحقائق المرة من تاريخهم البعيد والقريب أن يتواضعوا وأن يعترفوا بأهمية الثقافات الأخرى،وبإمكانية الاستفادة من المنجزات الحضارية للشعوب الأخرى، و من ثم أن يقبلوا الحوار مع أبناء هذه الحضارات في عالم يستفيد فيه الجميع من الجميع ويتبادلون الخيرات المعنوية والمادية[110].

لهذا فإن التصور الذي قدمه غارودي مستحيل لأن الحوار لا يكون إلا بين أناس يؤمنون بالحوار ويقبلون الرأي الآخر بأريحية و بحب، كما أن الحوار لا يقوم إلا بين متكافئين [111].

و خير دليل أن الناظر إلى تاريخ الحضارة الغربية في عصر من عصورها يتأكد من أنها كانت دائما ولا زالت تنظر إلى أبناء الحضارات الأخرى نظرة استعلاء واحتقار، فمنذ الحضارة اليونانية ونظرة الإنسان الغربي لإنسان الشرق هي هي لم تتغير: إنه ذلك "البربري الذي لا يصلح إلا للرق والعبودية " و أنه " غير قادر على التحدي الحضاري "و أنه " لا يقدر على إنتاج الفكر الفلسفي أو الإبداع العلمي وأنه بشكل عام لا يصلح إلا أداة تسيرها إرادة الغرب لتحقيق مصالحه التي كانت ولا زالت – في نظر الغربيين – هي دائما المصلحة العليا للإنسانية،

---

[109] - المصدر السابق ، ص 92 .

[110] - مصطفى النشار ، ضد العولمة،
(القاهرة : دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، ط2 ، 2001) ، ص . 76 .

[111] - مصطفى النشار ، ضد العولمة ، مرجع سابق ، ص 77 .

فالإنسان الغربي هو الوحيد الذي يعرف أين المصلحة العليا للإنسانية،و هو الوحيد القادر على القيادة و الريادة و الإبداع .[112]

أما البعض فقد اعتبر أن حوار الحضارات دعوة استجدائية عاطفية لا دعوة موضوعية واقعية،بل هي انسياق وراء شعار لا يملك من أدوات التنفيذ بقدر ما يملك من أدوات الإلهاء[113]، ومن هنا يطرح السؤال التالي: ماذا ينفعنا في هذا العالم المسكون بالقوة والبغض والقسوة أن نرفع شعار الحوار في وقت لا يعيرنا الآخر حتى التفاتة ؟ [114]

3 – ب - نقد فكرة حوار الحضارات عند خاتمي:

مع دعوة خاتمي إلى فكرة حوار الحضارات تتأكد حاجة الفكر الإسلامي إلى تطوير معارفه و تصوراته ومنهجياته حول العصر، والعالم والحضارات، ليكون أكثر قدرة على الانخراط والتواصل والانفتاح.

وتتضاعف هذه الحاجة مع انفتاح العالم على الإسلام، وحضور الإسلام بين الحضارات، والإقبال على اعتناقه والتدين به، فهو من أكثر الديانات السماوية انتشارا في العالم وتأثيرا في قضايا العصر، واقتحاما لعالم الحداثة، بالشكل الذي يثير الاندهاش والإعجاب في قدرته على التجدد والانبعاث والإحياء والتواصل مع مختلف الثقافات واللغات والقوميات.

هذا ما ينبغي أن ندركه جيدا حتى نرتقي إلى مستوى هذا التقدم الذي وصل إليه الإسلام في العالم بمزيد من البناء و التجديد و التطوير[115].

لهذا استنكر الميلاد الموقف السلبي لنخبنا الفكرية لأنه حينما طرحت فكرة حوار الحضارات والتي دعا إليها على المستوى العالمي محمد خاتمي في خطابه سنة 1998لم يظهر من المثقفين و المفكرين والباحثين العرب والمسلمين اهتماما كبيرا بتطوير هذه الفكرة و العمل على تعميقها فكريا ومعرفيا، و الاندفاع نحو طرحها في النطاق الإنساني والدفاع عنها والتأكيد عليها، - بخلاف طرح كل من فوكوياما وهنتغتون اللذين اندفعا إلى تطوير المقال إلى كتاب بسبب ما أحدثه المقال من سجال فكري - كما أننا لم نبتكر لأنفسنا فهما خاصا اتجاه هذه

---

[112] - المرجع السابق ، ص - ص 213 – 214 .

[113] - غسان علاء الدين ، مرجع سابق ، ص 233 .

[114] - المرجع نفسه ، ص 228 .

[115] - زكي الميلاد ، الإسلام و المدنية (حوار الحضارات حول الفكر الإسلامي و قضاياه و مسائله و إشكالياته)، مصدر سابق ، ص . 94

القضية الفهم الذي يستند إلى حقائقنا التاريخية ويرتكز على معاييرنا الفكرية وينطلق من شروطنا الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، و من دون تكوين هذا القدر من الفهم المستقل، فإن من الصعب علينا التواصل مع العالم في هذا ا ال لأن التواصل في جوهره هو عملية معرفية والذي لا يستطيع إنجاز معرفة، فإنه لا يمكن أن يقنع العالم بالتواصل لأن المعرفة من أكثر البواعث تحريضا وإقناعا و قيمة.

لهذا شخص الميلاد ضعفنا الحقيقي في كوننا غير مساهمين في رفد المعرفة الإنسانية وإنمائها وتراكمها على المستوى الإنساني، و العالم من جهته لا يعترف لنا ـذا الدور، و هو الدور الذي يفترض أن يقوم على أساسه أي حوار بين الحضارات، لذلك من الصعب علينا أن نمتلك القدرة على مواصلة حوار الحضارات، إذا لم نكتشف أو نطور إمكانيات التواصل مع العالم، و طرائقه ومنهجياته في مجالات المعرفة الإنسانية، وهذا هو التحدي الحضاري الذي ينتظرنا، فنحن لا نعتمد على أنفسنا في تكوين المعرفة بحضارتنا، و نفتقد من جهة أخرى إلى تكوين المعرفة بالحضارات في هذا العالم.

لهذا يرى الميلاد ضرورة وجود نظرية نرتكز عليها في مشروع حوار الحضارات، وتحويل هذا المشروع إلى فلسفة في التمدن و التحضر وتحويل هذه الفلسفة إلى برنامج حضاري ينهض بالعالم الإسلامي[116].

و عليه فإن فلسفة حوار الحضارات عند الميلاد ـدف إلى تكوين المنظور الكلي والتعرف على ماهية الحضارات والرؤية الكونية للوجود الإنساني، و عن مستقبلنا المشترك في هذا العالم كما تسعى هذه الفلسفة إلى البحث عن المشتركات العامة والجوهرية والحية بين الحضارات في الحقول وا ـالات المختلفة و المتعددة،المشتركات في حقول الثقافة والفلسفة والقانون والفنون والآداب، وفي السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية إلى غير ذلك من حقول، و هكذا في مجال القيم والمبادئ كالعدالة والحرية والمساواة والحقوق، إلى قضايا البيئة والسكان والصحة و غيرها، فكل حضارة لها عبقريتها وإبداعا ا واكتشافا ا وفتوحا ا بقصد تجاوز أحادية الرؤية أو التسلط الثقافي، وإظهار عظمة التنوع البشري الخلاق، في التفوق

[116] - زكي الميلاد ، المسألة الحضارية ، مصدر سابق ، ص - ص ، 77 – 78 .

والإبداع، فنظرية حوار الحضارات هي لتأكيد الاعتراف بالحضارات ورفض سيطرة الغرب الأحادية [117].

إن حوار الحضارات عند زكي الميلاد لا ينبغي أن يفهم أو يتحدد و يتأطر بين عالم الإسلام و عالم الغرب، بل هو أوسع و أشمل من ذلك بحيث يضم مختلف الثقافات والحضارات الإنسانية، و الغاية من هذا الحوار هو ابتكار خطاب تواصلي وفلسفة تواصلية في العلاقة بين الحضارات وهو الخطاب الذي يستدعي ويستحضر تصورات ومقولات مختلف الحضارات لتجاوز أشكال القطيعة والانغلاق والتصادم و الـ اع و التبعية و الهيمنة بين الحضارات .

كما حاول الميلاد أن يحدد منطلق هذا الحوار من خلال أن كل من هذه الحضارات لها عبقريتها وإبداعا ا و فتوحا ا و ابتكارا ا التي لابد من الانفتاح عليها والتفاعل معها، لكن مشكلتنا في هذا ا ال أننا في العالم العربي والإسلامي نفتقر إلى بناء نظرية لنا حول حوار الحضارات، نظرية ترتكز على بناء فكري و أساس منهجي وتراكم تاريخي، تعبر عن فهمنا المستقل لهذه القضية، لأنه لا يمكن الانخراط الحقيقي والفاعل في حوار الحضارات إلا بعد بناء هذه النظرية[118].

4 - أزمة الحوار الحضاري بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 :

في يوم 11 سبتمبر 2001 قامت ثلاث طائرات في عملية انتحارية بتدمير برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك وجزء من وزارة الدفاع الأمريكية في واشنطن، المتهمون فيه ينتمون إلى العالم الإسلامي[119].

وقد اختلفت الاتجاهات في التحليل الحدثي لزلزال 11 سبتمبر فالبعض اتجه إلى اللجوء إلى باراديغم" الصراع الحضاري" الذي كثر الحديث حوله بعد الأحداث، [120] مباشرة بعد الحدث أصبحت مفاهيم: صراع الحضارات،وصراع الإسلام و الغرب، و الإرهاب الإسلامي،

---

117 - زكي الميلاد ، نحن و العالم ، مصدر سابق ، ص-ص، 29 - 31 .

118 - زكي الميلاد ، الإسلام و المدنية ، مصدر سابق ، ص –ص،98 – 99 .

119 - جلال أمين ، عولمة القهر،
(القاهرة : دار الشروق ، ط1 ، 2002) ، ص . 83 .

120 - السيد ولد أباه ، عالم ما بعد 11 سبتمبر الإشكاليات الفكرية و الإستراتيجية،
(بيروت : الدار العربية للعلوم ، ط1 ، 2004) ، ص . 13 .

و حرب الأديان وعقلانية الغرب و "بربرية " الإسلام، و تفوق الحضارة الغربية، و غطرسة الغرب، ومعركة العالم الحر ضد الإرهاب وحوار الحضارات مواضيع أساسية في أعمدة الصحف والقنوات الإعلامية ومحل تفكير المراكز والدراسات الأكاديمية ، وانشغال المسؤولين السياسيين في مختلف الدول و المؤسسات الدولية، و في ضوء هذه المتغيرات المهمة التي أحدثتها انفجارات نيويورك، قام المحللون والباحثون في السياسات والعلاقات الدولية،بإعادة النظر في مجموعة من الثوابت والمرتكزات التحليلية و النظرية المتحكمة في العلاقات الدولية واستقطب مفهوم صدام الحضارات اهتماما شاسعا و مثيرا في كل أرجاء العالم [121].

أما البعض فقد اعتبر جريمة 11 سبتمبر شيئا جديدا تمام الجدة في السياسة العالمية ليس بسبب شموليتها بل بسبب ما استهدفته ، فتلك كانت المرة الأولى بالنسبة للولايات المتحدة منذ حرب 1812 التي ىاجم فيها البلاد أو ىدد في الداخل، [122] و قد كان رد الفعل الأمريكي المباشر هو الصدمة، الجنون، الحنق، الرعب، الرغبة في الانتقام [123].

من هنا اعتبر هذا الحدث تاريخيا، أن شيئا ما قد تغير، فالذي تغير هو اتجاه فوهة البندقية، وهذا شيء جديد في تاريخ الولايات المتحدة، فالمرة الأخيرة التي جرت فيها مهاجمة البلاد، أو حتى ىديد ما، كانت حين أحرق البريطانيون واشنطن منذ عهد بعيد جدا، و غالبا ما يضرب مثال بيرل هاربر، لكنه يعتقد أ ا مقارنة سيئة، فاليابانيون بغض النظر عن شعورنا اتجاه ذلك، قصفوا قواعد عسكرية في مستعمرتين أمريكيتين لا تقعان داخل حدود البلاد تم احتلالهما عنوة من سكا ما الأصليين، هذه المرة جرت مهاجمة البلاد بشكل واسع، وقد توجد أمثلة هامشية بسيطة، لكن المثال فريد من نوعه. [124]

من هنا فقد شكل الحدث منعطفا خطيرا أتى على مكتسبات نضالية في مجالات حقوق الإنسان والديمقراطية، والسلم العالمي والحريات المدنية، فكان حقا عاما أليما على العالمين العربي والإسلامي، لقد بدأ عام حوار الحضارات بدعوة حضارية من داخل العالم الإسلامي، لكن ما

---

[121] - محمد سعدي ، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة و ثقافة السلام،
(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، 2006) ، ص – ص ، 317 – 318 .

[122] - نعوم تشومسكي ، الصدمة الحادي عشر من أيلول ، تعريب:سعيد الجعفر،
(دمشق : دار الكتاب العربي ، ط1 ، 2002)، ص 9 .

[123] - المرجع نفسه ، ص . 17 .

[124] - المرجع نفسه ، ص . 117 .

إن أطبق العالم حتى نفاجأ بإعلان لا مسؤول بأن العالم العربي و الإسلامي مفرخة للإرهاب الدولي، وبين مطلب الحوار و ـمة الإرهاب، بدأ مستقبل العلاقة بين الإسلام و الغرب غامضا إلى الحد الأقصى، من هنا يبدو السؤال أوضح: كيف نواصل حوار الحضارات بعد أن حصل هذا الإجهاض المفاجئ ؟ [125]

لهذا اختلفت الخطابات المتعلقة بأحداث 11 سبتمبر، و في هذا الإطار هناك رأيان: الرأي الأول:يرى أن ما بعد 11 سبتمبر هو امتداد للحقبة السابقة، و أن ما حدث أثناء و بعد 11 سبتمبر ما هو إلا تثبيت للهيمنة الأمريكية، بينما يرى الرأي الآخر أن هناك مرحلة مختلفة نوعيا بعد 11 سبتمبر، و هناك من وصف هذا الحال بالتحول من "الفوضى الطليقة إلى الهيمنة المقننة "، و هذا ينطبق على الفترة الممتدة منذ عام 1990 حتى عام 2001 ، و قد وصف هذه المرحلة بمرحلة الفوضى الطليقة و كأن الو.م.أ كانت تتمنى حدوث الانفجار، حيث أنه بعد ا يار الاتحاد السوفياتي بدأت الأمم تعبر عن خصوصيا ا الثقافية وبدأت مرحلة الانفصال بالقوة وبالتراضي وحدثت حروب أهلية في منطقة البلقان و ما إلى ذلك، و في هذه المرحلة من الفوضى الطليقة ظهرت الو.م.أ باعتبارها القوة الوحيدة في العالم بتفوقها العسكري والتكنولوجي وما إلى ذلك، وعليه فإن أحداث 11 سبتمبر نقلت الو.م .أ من مرحلة الفوضى إلى مرحلة الهيمنة المقننة، و يقصد بذلك أن الو.م.أ أعلنت نفسها القوة العظمى الوحيدة التي تفرض قانو ا على الآخرين سواء على الحلفاء أو على الأعداء، و لا فرق في ذلك وبالتالي دخلنا مرحلة جديدة لابد وأن تؤثر على حوار الحضارات لأن الو.م.أ تريد أن تتحرك من منطلق الهيمنة [126].

أما زكي الميلاد فقد اعتبر أحداث 11 سبتمبر، الحدث الذي تؤرخ به الألفية الثالثة الجديدة، فقد دفعت هذه الأحداث العالم ليعيش في أشد حالاته انفعالا وتوترا هيمنت عليه

---

[125] - هاني إدريس ، حوار الحضارات بين أنشودة المثاقفة و صرخة الهامش،
(الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 2002) ، ص . 110 .

[126] - السيد يسن و آخرون ، خطابات عربية و غربية في حوار الحضارات ، سلسلة محاضرات حوار الحضارات 2 ،تحرير : نادية محمود مصطفى و علاء أبو زيد ،
(مصر : دار السلام للطباعة و النشر ، ط2 ، 2008) ، ص . 29 .

مفاهيم العنف و القوة والإرهاب وأصبح ا تمع الإنساني لأول مرة وكأنه يعيش صدام حضارات، وكأن هنتغتون صدق في نبوءته.

لكن في المقابل اعتبر الميلاد أن هذه الأحداث لفتت انتباه العالم مجددا وبالذات في العالم العربي والإسلامي إلى مفهوم حوار الحضارات المفهوم الذي أصبح له وقع فعلي، ولم يعد كما كان قبل هذه الأحداث مجرد مفهوم يعبر عن فهم أخلاقي نبيل وعن طموحات ورغبات مثالية لا واقع لها و لا مصير .[127]

نتائج الفصل الثاني: بناء على ما سبق يمكن أن نستنتج ما يلي:

- هناك فرق شاسع بين مصطلحي الصراع والصدام، فالصراع يحمل معاني إنسانية راقية، بينما منطق الصدام تحكمه عقلية براغماتية تجيز استعمال القتل والتدمير لتحقيق الأهداف المسطرة.
- مفهوم الصدام ليس جديدا ولا هو من ابتكار هنتغتون بل استخدمه من قبل برنارد لويس والمهدي المنجرة.
- تتلخص مقولة هنتغتون في أن الصراع المستقبلي لعالم ما بعد الحرب الباردة سيكون ثقافيا وليس اقتصاديا أو إيديولوجيا، وستشكل الحضارة الإسلامية أحد التحديات في وجه الغرب.
- ينطلق هنتغتون من خلفية الحفاظ على مصالح الغرب وضبط هيمنته على العالم واستمرارية تفوقه وفرادته على بقية الحضارات وهي خلفية تعكس مدى التحيز إلى الغرب.
- اعتبر الميلاد أطروحة الصدام تحريضية لأ ا تحذر الغرب دوما من احتمال صدام مع بقية الحضارات غير الأوروبية، و تحرضه على ضرورة المحافظة على تفوقه.
- الحوار عند الميلاد طرح إسلامي أصيل بدأ من القرآن انطلاقا من حوار الله مع آدم رمز الإنسان وهو في الجنة إلى محاورة الله إبليس رمز الشر، إلى حوار الأنبياء مع أقوامهم وبالقياس على ذلك تحاور المسلم مع غيره من الشعوب و الأمم والحضارات و الأديان.

[127] - زكي الميلاد ، المسألة الحضارية ، مصدر سابق ، ص . 75 .

- يعتبر حوار الحضارات ضرورة حتمية وليس ترفا فكريا، وواجب أخلاقي لتحقيق التعاون الايجابي المثمر والتعايش السلمي بين البشر، و رد فعل على الطرح القائل بالصدام بين الحضارات.
- يمثل حوار الحضارات عند غارودي محاولة لدفع الغرب لرؤية مختلفة للمستقبل وهي رؤية قائمة على أساس شراكة الغرب للأمم غير الغربية على قاعدة أن يخترع الجميع مستقبل الجميع وقد أسماه بمشروع الأمل.
- على الرغم من أن طرح غارودي وصف بأنه أنضج طرح اتصف بالانفتاح على الحضارات الأخرى إلا أن البعض يعتبره مستحيلا كون الغرب لن يتواضع و لن يعير الآخر اهتماما.
- بالنسبة لخاتمي يمثل حوار الحضارات أحد أهم مكاسب القرن العشرين، وهو يمثل بديلا مرجعيا للأساس التقليدي القوة والهيمنة في العلاقات الدولية، و يعتقد بإمكانية مد جسور الحوار بين العالمين الإسلامي والمسيحي إذا تجاوزنا العائق التاريخي والعصري.
- نظرية حوار الحضارات عند الميلاد هي لتأكيد الاعتراف بالحضارات ورفض سيطرة الغرب الأحادية على العالم .
- عندما بدأ عام حوار الحضارات بدعوة من داخل العالم الإسلامي، جاءت أحداث 11 سبتمبر 2001 ليستغل الغرب الحدث للترويج لمفهوم الإرهاب والتبشير بصدق مقولة هنتغتون،بالمقابل هناك من رأي أن الحدث حافز وباعث على ضرورة الحوار بين الحضارات.
- لكن هناك حلقة تبقى مفقودة في حوار الحضارات،ما دام أن الحوار يفترض التكافؤ والندية، و إلا كان حوارا فارغا ، فهذا ما يجعلنا نتساءل كيف السبيل إلى تفعيل الحوار؟

ما هو موقف العالم الإسلامي من هذه التحديات وما هي إستراتيجيته في مجا تها؟و بالتالي: ألا توجد إمكانية لتحقيق التواصل الثقافي و التعارف الحضاري لتجاوز منطق الصدام ؟

الفصل الثالث: من العولمة إلى تعارف الحضارات

مدخل:

المبحث الأول : من العولمة إلى العالمية

1- قراءة في مقولة اية التاريخ

2- نقد فوكوياما

3- الفرق بين العولمة و العالمية

المبحث الثاني: في مفهوم تعارف الحضارات

1- تعريف فكرة تعارف الحضارات

2- أسس مفهوم تعارف الحضارات عند زكي الميلاد

3- مفهوم تعارف الحضارات والأنساق المعرفية

المبحث الثالث: نظرية تعارف الحضارات

1- المميزات والمرتكزات

2- بواعث و أهداف تعارف الحضارات

3- نظرية تعارف الحضارات: الصعوبات والتحديات

4- نقد وتقييم لنظرية تعارف الحضارات

نتائج الفصل الثالث

مدخل :

إذا كان انتهاء الحرب الباردة قد أطلق الدعوة إلى مقولة صدام الحضارات فإنه في الوقت ذاته رافقته مقولة العولمة التي ت ع إلى ربط العالم سياسيا، اقتصاديا وثقافيا، و هو ترابط يهدد الشعوب بالذوبان في النموذج الغربي المسيطر، و هكذا يبدو وكأن أحدهما يكمل الآخر، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى اتسعت دائرة السجال بين مقولتي الصدام والحوار في ظل عالم يحكمه منطق غربي معولم، برزت نظرية أخرى اصطلح عليها "تعارف الحضارات" أطلقها المفكر العربي زكي الميلاد على خلفية: هل نعيش حقا عصر العولمة" الأمركة " ؟ ألا توجد إمكانية للاستفادة من العولمة وجعلها مكسبا لنا ؟ وأين موقعنا في موكبها؟ وهل بالإمكان أن يكون لنا تأثير فيها انطلاقا من منظومتنا الفكرية الإسلامية ؟هل بالإمكان إقامة عولمة بديلة ؟ ومن هنا فالأسئلة الجديرة بالطرح هي:ما مفهوم التعارف ؟ وكيف نشأت الفكرة ؟ وفيما تتمثل مرتكزات النظرية وأهدافها ؟بماذا تتميز هذه النظرية عن النظريات والمقولات الأخرى ؟ و ما هي رهانا ا في هذا العصر ؟

المبحث الأول : من العولمة إلى العالمية

1- قراءة في مقولة اية التاريخ :

من الناحية التاريخية تعتبر مقولة " اية التاريخ "لصاحبها فرانسيس فوكوياما *أسبق من مقولة صدام الحضارات لأستاذ ههنتغتون، لكننا أخرنا الحديث عنها لأسباب منهجية متعلقة بمبحثنا هذا.

1-أ – فرانسيس فوكوياما و اية التاريخ :

لقد أرجع فوكوياما الأصول البعيدة لأطروحة" اية التاريخ " إلى مقال له بعنوان " هل هي اية التاريخ ؟ " كتبه   لة The National Interest عام 1989، حيث ذهب في ذلك المقال إلى أن إجماعا ملحوظا قد ظهر في السنوات القليلة الماضية في جميع أنحاء العالم حول شرعية الديمقراطية الليبرالية كنظام للحكم بعد أن لحقت الهزيمة بالإيديولوجيات المنافسة مثل الملكية الوراثية والفاشية والشيوعية في الفترة الأخيرة،غير أنه أضاف إلى ذلك أن الديمقراطية الليبرالية قد تشكل"نقطة النهاية في التطور الإيديولوجي للإنسانية "،و" الصورة النهائية لنظام الحكم البشري"، و بالتالي فهي تمثل " اية التاريخ "لأنه من غير المستطاع أن نجد ما هو أفضل من الديمقراطية الليبرالية مثلا أعلى.

تلقى هذا المقال صورا متنوعة من النقد، و قد برر فوكوياما ذلك إلى أن الأمر اختلط على الكثيرين للوهلة الأولى بسبب استخدامه لكلمة"التاريخ" فهم إذ يفهمون التاريخ بمعناه التقليدي باعتباره سلسلة من الأحداث، وهذا الفهم فيه إثبات خطئه على نحو قاطع، [1] بل يقصد بالتاريخ من حيث هو عملية مفردة متلاحمة و تطورية متى أخذنا بعين الاعتبار تجارب كافة الشعوب في جميع العصور، و قد ارتبط هذا الفهم للتاريخ أوثق ارتباط بالفيلسوف الألماني هيجل، ثم أضحى جزءا من مناخنا الثقافي اليومي بفضل كارل ماركس الذي استعار هذا المفهوم عن التاريخ من هيجل.

---

* فرانسيس فوكوياما : مؤرخ و فليسوف و باحث في الشؤون السياسية أمريكي من أصل ياباني ، ولد سنة 1952 في شيكاغو و درس العلوم السياسية في جامعة هارفارد ، ثم عمل في وزارة الخارجية و عين أستاذا في جامعة جون هوبكز إحدى أكبر الجامعات الأمريكية ، و قد ألف العديد من الكتب منها " اية التاريخ و الرجل الأخير ".

[1] - فرانسيس فوكوياما، اية التاريخ و خاتم البشر ، ترجمة :حسين أحمد أمين ،
(القاهرة: مركز الأهرام للترجمة و النشر ، ط1 ، 1993) ، ص 8 .

حيث كان في اعتقاد كل من هيجل وماركس أن تطور ا تمعات البشرية ليس إلى ما لا اية، بل إنه سيتوقف حين تصل البشرية إلى شكل من أشكال ا تمع يشبع احتياجا ا الأساسية،و هكذا افترض الاثنان أن "للتاريخ اية" هي عند هيجل الدولة الليبرالية، وعند ماركس ا تمع الشيوعي.وليس معنى هذا أن تنتهي الدورة الطبيعية من الولادة والحياة والموت، وأن الأحداث الهامة سيتوقف وقوعها، وإنما يعني هذا أنه لن يكون ثمة مجال لمزيد من التقدم في تطور المبادئ و الأنظمة الأساسية، ذلك لأن كافة المسائل الكبيرة حقا ستكون قد حلّت.

لهذا جاء كتابه " اية التاريخ وخاتم البشر"ليتحدث عن تاريخ للبشرية واضح المعالم والأهداف يتجه بالشطر الأعظم من البشرية صوب الديمقراطية الليبرالية،وذلك لسببين مستقلين:الأول يتصل بالاقتصاد والثاني يتصل بما يسمى"الصراع من أجل نيل التقدير والاحترام " [2].

وفي اعتقاده لن تكون البشرية عندئذ ألف زهرة تتفتح في صور وأشكال متباينة، و إنما ستكون بمثابة قافلة طويلة من عربات متشا ة، قد تتجه بعض هذه العربات صوب المدينة في حركة حادة مفاجئة، و قد يعود بعضها إلى الصحراء، و قد تتعطل عجلات بعضها أثناء صعود الجبل.

وقد يهاجم الهنود الحمر عدة عربات فيشعلون فيها النار و يهجرها ركا ا في الطريق، وقد تذهل المعركة عددا من الركاب، فيفقدوا كل إحساس بوجهتهم، ويتجهوا – مؤقتا – في الطريق الخطأ، و قد تتعب عربة أو عربتان من الرحلة، فيقرر ركا ا الإقامة الدائمة في معسكرات في نقط معينة من الطريق، و قد يجد آخرون طرقا بديلة إلى الطريق الرئيسي، رغم أ م سيكتشفون أ م من أجل اجتياز السلسلة الأخيرة من الجبال عليهم أن يستخدموا نفس النفق الذي سيستخدمه غيرهم، غير أن الغالبية العظمى من العربات ستمضي في رحلتها البطيئة إلى المدينة، سيصل معظمها إليها، والعربات متشا ة حتى مع اختلاف ألوا ا والمواد المصنوعة منها، غير أن لكل منها عجلات أربع، وتجرها جميعا الخيول، و بداخل كل منها عائلة يساورها الأمل، و تدعو أن تكون الرحلة آمنة، و لن تؤخذ الاختلافات الظاهرة بين حالة العربات على أ ا تعكس اختلافات دائمة وحتمية بين ركا ا، و إنما سينظر إليها باعتبارها نتيجة لاختلاف مواقعها على طول الطريق .... إن دخول عدد كبير من العربات إلى المدينة سيكون كفيلا

[2] - المرجع السابق ، ص . 8 – 9 .

بإقناع أي شخص منطقي التفكير يتأمل الموقف بأنه لم يكن ثمة غير رحلة واحدة، و هدف واحد للرحلة [3].

2- نقد فوكوياما:

يمكن اعتبار مساهمة فوكوياما في كتابه " اية التاريخ"أكثر" الوثائق" كشفا للأهداف التي يفضي إليها منهج الوحدة والاستمرارية، ذلك أن فوكوياما استثمر جملة من التغيرات السياسية والاقتصادية والثقافية التي وقعت في العقد الأخير من القرن العشرين ليدلي بوجهة نظره القائلة بأن الإنسان الغربي حقق غاية الحياة، وانتزع اعتراف الآخرين، و بذلك فقد انتهى التاريخ، وحقق غايته و هي" الليبرالية" أو "الديمقراطية الرأسمالية الحرة".

كما حاول فوكوياما عبثا أن يصطف إلى جوار هيجل وماركس وكونت،وإذا كانت إمكاناته لا تسعفه فإنّ غاياته ربطته معهم برباط وثيق، ففكرة " اية التاريخ " موصولة بـ **النهايات** التي قال ا أولئك، وتبدو المماثلة بينه وبين هيجل من ناحية الأهداف كبيرة، وبدرجة أقل مع ماركس الذي طالما حلم بـ" اية " مختلفة تماما للنهاية التي وصفها فوكوياما، فهذا الأخير قرر أن النفس الباحثة عن اعتراف الآخرين ا هي المحرك للتاريخ، و أن غايتها انتزاع الاعتراف الذي سيؤدي إلى نوع من السيادة التي تتحقق في فضاء حر ديمقراطي .[4]

أول ما يلاحظ على فكرة فوكوياما الإطار ا ازي التشبيهي المستعار من الصور التقليدية لرعاة البقر في أمريكا، هذا الإطار الذي يرتب مجموعة من العناصر بعضها جوار بعض، لوتمّ تصنيفها وتحليلها واستنطاقها، لتبين أن تصور فوكوياما غير متسق،ولا يخلو من التناقضات و يمكن أن يكشف تحليل المضمون أبعاد الفكرة بالصورة الآتية: أن الجنس البشري قافلة من العربات محكوم عليها (بحثا عن انتزاع الاعتراف والاستئثار بالاهتمام) أن تتجه إلى مدينة بعينها (الغرب حيث الديمقراطية الليبرالية)، ولا خيار أمامها إلا المرور بطريق يخترق قلب الصحراء (ا تمعات المتخلفة والبدائية)، أما و قد انطلقت القافلة منذ القدم (منذ بدء الخليقة) فقد وضعت في اعتبارها أن تصل إلى غاية معينة (الحرية والمساواة)، إلا أن التمايز والتراتب سرعان ما ظهر في تلك القافلة بسبب عدم التماثل في إدراك الأهداف، و عدم القدرة على

---

[3] - المرجع السابق ، ص – ص ، 293 – 294 .

[4] - عبد الله إبراهيم ، المركزية الغربية - إشكالية التكون و التمركز حول الذات- ،
(بيروت : المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط2 ، 2003) ، ص . 54 .

مواصلة الرحلة الطويلة، فضلا عن مخاطر الطريق، الأمر الذي أدى إلى انقسام القافلة إلى ثلاث مجموعات:

الأولى:التي حددت أهدافها ووجهتها بدقة، و وصلت إلى المدينة بأسرع وقت ممكن، وبالنسبة إلى هذه ا موعة فقد بلغت غايا ا، وتحققت مقاصدها بنيل الاعتراف،و من ثم فالتاريخ انتهى بالنسبة لها، لأن الذات قد حققت لها بواسطة الديمقراطية الليبرالية الغاية المطلوبة، و من الواضح أن فوكوياما يقصد ذه ا موعة ا تمع الغربي، و بخاصة الأمريكي.

الثانية:تعرضت لهجمات الآباش فضلّت الطريق (ما زال فوكوياما يختار للآخر تشبيها خاصا استنادا إلى مبدأ التفاوت، فالآباش لا وظيفة لهم في تصوره إلا الهجوم على القافلة، أي محاولة إعاقة التقدم البشري) ، أي أ ا وقعت تحت ظرف طارئ و مفاجئ،كأن يكون سياسيا أو دينيا أوعرقيا، يحول دون وصولها في الوقت المناسب فيتأخر وصولها، و يرجح أ ا ا تمعات التي خضعت لنظم شمولية في الغرب نفسه، فهذا ما يوحي به خطاب فوكوياما، لأ ا سرعان ما تعثر على طرق بديلة.

الثالثة:و هي التي تفتقر إلى القدرة على المضي في الرحلة إلى ايتها المرسومة، ولهذا تقرر التنازل عن فكرة الوصول إلى المدينة، وتختار الإقامة في الصحراء، وستظل تعيش أوضاعا تاريخية، أي ستكون ضحية التناقضات والتشنجات العرقية والدينية والسياسية،ومن الواضح أنه يقصد ا ا تمعات غير الغربية[5].

وما يثير الغرابة أن هذه ا موعة لها قدرة اتخاذ قرار وحيد وهو البقاء في الصحراء، وذلك يناقض فكرته الغائية، لأنه كان قد أكد أن القافلة متجهة إلى هدف محدد مسوقة بـ "التيموس" لتحقيق ذلك .

فوكوياما يتجاوز هذا التناقض بسهولة ويعود للتأكيد بأن الجميع لابد أن يصلوا إلى غايا م والاختلاف يكمن فقط في توقيت الوصول وليس في المعنى الذي ينطوي عليه، إن الوصول هو نوع من تحقيق الذات لذا ا وبذا ا وبذلك ينتهي مسعاها و تبلغ غايتها المرجوة.

[5] - المرجع السابق ، ص . 55 .

ولعلّ أبرز ما يمكن الوقوف عليه تأكيد فوكوياما المبالغ فيه على نزعة الذات الراغبة في الاعتراف، وبالمقابل تجاهل رغبة المساواة مع الآخرين [6].

إن مفهوم فوكوياما يريد أن يكرس الفصل النهائي بين إنسانيتين، فصل يتضمن يأسا وتيئيسا من معظم الإنسانية، من كل" بقية العالم" التي خسرت اية اكتمال التاريخ، ولم يبق لها سوى الركون إلى مكان النفايات فقط، و يتضمن بالمقابل عزل النخبة في عرض خارج العالم، و العلاقة الوحيدة بينهما هي مبدأ الإخضاع بالقوة فالموعودون بجنة " اية التاريخ" هم " القبيلة البيضاء-الشقراء "أما الآخرون وهم معظم الإنسانية، فلم يعد تصنيفهم في خانة المتخلفين يكفي للتعبير عن رحلة التصفية الأخيرة، والمطلوب هو القطيعة المطلقة بين سكان الجحيم التاريخي"والنخبة الفائزة بالنعمة الخلاصية وحدها دون العالمين[7].

و عليه فإن الحداثة عند فوكوياما تعني انتشار الرأسمالية والتبادل الحر والديمقراطية الليبرالية، وهي الأفق الوحيد المطروح أمام البشرية جمعاء لأن السياسة العالمية يمن عليها قيم الغرب الديمقراطي الليبرالي[8].

لكي نتعرف إلى هذه القضية في بعدها الذي يتعلق بفلسفة الحضارة، فإنه يمكن الإشارة إلى نظرية "التحدي والاستجابة" التي طرحها توينبي،[9] و التي حاول من خلالها أن يفسر مسألة نشوء الحضارات ونموها ثم تدهورها وتحللها، فذكر أن استجابة أفراد ا تمع (المبدعون) للتحديات التي فرضتها البيئة الجغرافية على أبناء بعض ا تمعات البدائية قد أدت إلى ولادة الحضارات (الأصلية) الأولى .

و قد أوضح أن من الشروط الواجب توافرها في التحدي كي يولد استجابة ناجحة هو أن لا يكون ذلك التحدي مفرطا في صعوبته بحيث يولد اليأس والقنوط، ولا بالغا في سهولته بحيث تنشأ عنه الاستهانة والتفريط، إن التحدي المثالي لابد أن يكون (متوسطا) بين الصعوبة السهولة كي تتولد عنه أفضل استجابة ممكنة، وقد دعا هذا الحد الوسط (الوسط الذهبي)[10] .

---

[6] - المرجع السابق ، ص . 55 .

[7] - المرجع نفسه ، ص . 57 .

[8] - محمد العربي بن عزوز ، مرجع سابق ، ص . 58 .

[9] - إبراهيم محمد تركي ، مرجع سابق ، ص . 178 .

[10] - هاشم يحيا الملاح ، المفصل في فلسفة التاريخ دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأملية و النقدية ، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ط1، 2007) ، ص – ص ، 389 – 390 .

بناءً على ذلك يدعي فوكوياما بما يتفق مع التصور الغربي، انه كانت هناك حضارتان: الشيوعية والليبرالية، خلافا لوجهة النظر الإسلامية التي تعتبر أن الحضارة الشيوعية – إن صح أن نطلق عليها حضارة – هي واللبرالية كلاهما وجهان لعملة واحدة هي حضارة الغرب، لأن الماركسية في الحقيقة في بعدها النهائي هي من نتاج حضارة الغرب، و عندما زعم فوكوياما أن التحدي قد زال عن الغرب بسبب ا يار الشيوعية فلم يبق للغرب تحد يذكر و إن كانت هناك تحديات فهي بسيطة والغرب قادر على استيعا ا وتجاوزها و ذا قلل من خطورة الإسلام، ومن هنا وصل إلى ايته المزعومة [11].

لذلك اعتقد الميلاد أن الضعف الحقيقي في المقولة،أنه أخرج المنظور الحضاري الإسلامي من دائرة التفكير والتحليل والاستنتاج في تكوين نظريته[12].

من ثم حكم الميلاد على هذه المقولة بأ ا كانت متسرعة في أحكامها وتحليلها مما أفقدها النضج والعمق و التماسك العلمي والمنهجي، فليس ذه السهولة يختزل التاريخ، ويعلن عن ايته،و في حقل الأفكار والفلسفات بالذات، خصوصا و أ ا جاءت في وقت كان التاريخ فيها يتحرك بسرعة شديدة .

كما اعتبر بعض المفكرين تصريح فوكوياما عاملا فعالا في تكريس الصراع المتعدد الأطراف والمتنوع الاهتمامات، ذلك أن عد حقوق الإنسان والديمقراطية الليبرالية منتهى ما يبلغه الفكر البشري في الحاضر والمستقبل، تأسيس للصراع بمفهومه الواسع، صراع يهدف إلى تكريس الهيمنة الأمريكية على العالم، و تثبيت هذا الموقف يقتضى تبني العولمة بوصفها تعبيرا عن النهاية العظمى في عالم الأفكار [13].

لكن بعد أشهر قليلة سرعان ما انتهت مقولة اية التاريخ التي استمرت لفترة وجيزة في مطلع التسعينيات من القرن الماضي بعد صدور مقالة هنتغتون عن صدام الحضارات، ثم أصدر فوكوياما كتابا جديدا بعنوان "الثقة "حاول فيه أن يجعل من"العولمة "باعتبارها النظام العالمي الجديد النظام النهائي للحضارات الإنسانية[14]. وهذا ما يقتضي منا بيان فكرة العولمة.

---

[11] - إبراهيم محمد تركي ، مرجع سابق ، ص – ص . 178 – 179 .

[12] - زكي الميلاد ، الإسلام و المدنية ، مصدر سابق ، ص . 68 .

[13] - عمار جيدل ، مرجع سابق ، ص . 95 .

[14] - إبراهيم محمد تركي ، مرجع سابق ، ص – ص . 179 – 180 .

3 – الفرق بين العولمة و العالمية :

أضحى موضوع العولمة من الموضوعات الرئيسية التي تثير نقاشا واسعا في البلاد العربية الإسلامية،و في العالم على حد سواء، نظرا لما أثارته من مخاوف و ـديدات على المستوى الثقافي على وجه الخصوص، هذا ما يجعلنا نتساءل ما المقصود بالعولمة ؟و كيف نشأت ؟ و ما حقيقة علاقة ثقافتنا الإسلامية بإمكانية العيش معها وتحقيق الذات والمحافظة على الهوية في ظلها ؟

3 – 1 – العولمة: المفهوم و النشأة:

العولمة ترجمة لكلمة (Mondialisation) الفرنسية التي تعني جعل الشيء على مستوى عالمي، أي نقله من المحدود المراقب إلى اللامحدود الذي ينأى عن كل مراقبة، و المحدود هنا هو أساسا الدولة القومية التي تتميز بحدود جغرافية و بمراقبة صارمة على مستوى الجمارك : تنقل البضائع و السلع إضافة إلى حماية ما بداخلها من أي خطر أو تدخل خارجي، سواء تعلق الأمر بالاقتصاد أو السياسة أو الثقافة، أما اللامحدود فالمقصود به "العالم" أي الكرة الأرضية ، فالعولمة إذن تتضمن معنى إلغاء حدود الدولة القومية في ا ال الاقتصادي (المالي والتجاري) و ترك الأمور تتحرك في هذا ا ال عبر العالم وداخل فضاء يشمل الكرة الأرضية جميعها.

على أن الكلمة الفرنسية إنما هي ترجمة لكلمة (Globalization) الانجليزية التي ظهرت أول ما ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية، و هي تفيد تعميم الشيء و توسيع دائرته ليشمل الكل،و ـذا المعنى يمكن أن نحدس أن الدعوة إلى العولمة ـذا المعنى إذا صدرت من بلد أو جماعة، فإ ا تعني تعميم نمط من الأنماط الذي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة وجعله يشمل الكل و عليه يمكن أن نستنتج أن الأمر يتعلق ليس فقط بآلية من آليات التطور الرأسمالي الحديث بل أيضا بالدعوة إلى تبني نموذج معين، وبالتالي فالعولمة هي إلى جانب كو ا نظاما اقتصاديا هي أيضا إيديولوجيا تعكس هذا النظام وتخدمه و تكرسه و هناك من الكتاب من يقرن بينها و بين" الأمركة " أي نشر وتعميم الطابع الأمريكي [15].

---

[15] - محمد عابد الجابري ، مرجع سابق ، ص –ص ، 136 – 137 .

كما تعني العولمة الدوران في فلك الأقوى،فالعالم الآن لا بقاء فيه إلا للأقوياء، و لا كلام إلا لمن يمتلك القوة، أما الضعفاء فهم مقهورون مغلوبون و عليهم أن يكونوا دائما تبعا لمن هو أقوى منهم يدورون في فلكه و يأتمرون بأمره[16].

هناك من اعتبر العولمة تبشير بمرحلة جديدة للتنظيم العالمي الإنساني، تمثل نقيض المرحلة السابقة التي نحن بصدد الخروج منها،أعني مرحلة الدولة القومية،والانكفاء على الحدود السياسية للدولة كإطار جغرافي للتثمير المادي والروحي عند الجماعات والبشرية عموما، وبالتأكيد لا يعني ذلك أن العولمة قد حققت جميع وعودها وإمكانيا ا فالدولة القومية لا تزال قائمة و تلعب دورا رئيسيا اليوم وستبقى لفترة طويلة ذات دور كبير في ترتيب الأوضاع العالمية[17].

ولهذا صور زكي الميلاد العولمة بأ ا تتصف بالاختزال الشديد، والتركيب المكثف والتفاعل المرن وهي صورة تختلف عن صورة العالم في واقعه الخارجي والمحكوم بعناصر الجغرافية في مساحته و تضاريسه الواسعة و المعقدة، و بقوانين الفيزياء من جهة الحركة و المكان و الزمان.

كما عبرت العولمة في نظره عن فهم هو في غاية الحساسية والتعقيد والتشابك، و هي بمثابة فلسفة تركيبية واختزالية واندماجية،تحاول أن تجعل من العالم المتنوع والمتعدد في هوياته وثقافاته و قومياته ولغاته ودياناته و جغرافياته مختزلا ومندمجا في قالب واحد.

من هنا جاءت العولمة لتقدم مضمونا واتجاها فكريا لمفهوم القرية الكونية واستبدالا له وتطويرا لفلسفته والغايات المرجوة منه [18].

هذا عن مفهوم العولمة أما عن نشأ ا *فإن فريقا من الاقتصاديين يرون أن العولمة في مفهومها الحالي نشأت في منتصف الثمانينيات و بداية التسعينيات عندما أخذ الاتحاد السوفييتي وما يضمه من دول اشتراكية في الا يار،وهو الذي كان قطبا اقتصاديا و تكنولوجيا وعسكريا

---

16 - كمال الدين عبد الغني مرسي ، الخروج من فخ العولمة،
(الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث ، ط1 ، 2002) ، ص 8 .

17 - برهان غليون و سمير أمين ، ثقافة العولمة و عولمة الثقافة حوارات القرن الجديد ،
(دمشق: دار الفكر، ط2، 2000) ، ص . 21 .

18 - زكي الميلاد ، الإسلام و العولمة ، لماذا لا تكون العولمة مكسبا لنا ؟ ،
(بيروت : مؤسسة الانتشار العربي ، 2010) ، ص . 6 .

* انظر : محسن أحمد الخضيري، العولمة الاجتياحية ،
(القاهرة : مجموعة النيل العربية ، ط1 ، 2001) ، ص – ص ، 59 – 72 .

عملاقا يتقاسم الهيمنة السياسية على العالم مع الولايات المتحدة الأمريكية منذ الحرب العالمية الأولى،و كان من نتيجة هذا الا يار الذي فوجئ به العالم أن برزت الو.م.أ كقوة وحيدة تربعت على عرش الزعامة الدولية من دون منافس[19].

فهذه الظروف هيأت لأمريكا أن تعلن ضرورة سيادة ثقافتها لكل العالم، فقد أعطى ا يار دكتاتورية الحزب الواحد في أوروبا الشرقية هذه العقيدة دفعة إضافية ومنحها القدرة لتصبح ذات أبعاد عالمية، فمنذ اية خطر الديكتاتورية البروليتارية، فإن العمل جار على قدم وساق وبكل جدية و إصرار على تشييد دكتاتورية السوق العالمية[20].

في ظل شيوع مفهوم العولمة اختلفت الرؤى والتصورات حولها، فبعضهم يرى بأ ا تبشر بوعود مشرقة للجميع، ومنهم من يعدها الوجه الآخر للهيمنة الامبريالية على العالم * تحت الزعامة المنفردة للولايات المتحدة الأمريكية [21].

3-1 – أ - العولمة في تصور زكي الميلاد :

نتيجة لتضارب واختلاف الآراء حول العولمة، قدم زكي الميلاد طرحا مغايرا للتصورات السابقة يحمل انتقالة فكرية لتجاوز الحوارات التقليدية السائدة حول الموقف من العولمة ،لأن في اعتقاده أن رفض العولمة أو الهجوم عليها ونعتها بمختلف الأوصاف والتسميات، أو التعبير عن مقاومتها ومناهضتها ليست هذه هي المشكلة على الإطلاق، وإنما تكمن المشكلة في تكوين المعرفة بالعولمة لأن رفض العولمة والخوف منها لا يقدم لنا منهجا ومعرفة و إدراكا ا ولا يشكل لنا قدرة على المواجهة أو التحدي والممانعة كما لا يقدم لنا حلا ولا يعالج لنا مشكلة ولا ينتج لنا بديلا.

لهذا أرجع الميلاد نقطة إشكالنا مع العولمة إلى مشكلة التخلّف الذي يستحكم بأوضاعنا ويورثنا الضعف والعجز والفشل،وهي الوضعيات التي يصعب التحكم ا في ظل حركة

---

19 - محمد الشبيني ، صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة ،
(بيروت: دار العلم للملايين، ط1 ، 2002)، ص . 25 .

20 - هانس بيتر مارتن و هارالد شومان، فخ العولمة، ترجمة: عباس عدنان علي ، مراجعة و تقديم : رمزي زكي (سلسلة عالم المعرفة، 138)
(الكويت: ا لس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، 1978)، ص . 31 .

* - لمزيد من الإطلاع أنظر: نبيل راغب، أقنعة العولمة السبعة،
(القاهرة: دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع، 2001) ، ص- ص، 337 – 427 .

21 - حميد حمد السعدون، الغرب و الصراع الحضاري، مرجع سابق ، ص . 35 .

العولمة،حيث تزداد أوضاعنا اختلالا واضطرابا وهذا بالتأكيد ليس دفاعا عن العولمة، وإنما هو دفاع عن العلم وضرورة تكوين العلم بالعولمة [22].

انطلاقا من ذلك حوصل لنا الميلاد موقفه من العولمة في الحقائق التالية:

أولا:يرى زكي الميلاد أن البشرية بحاجة إلى تكوين وعي عالمي له خاصية الاتصال والتواصل بالعالم برمته،على كافة الأصعدة والمستويات،وينهض بالمسؤوليات المشتركة في مواجهة المخاطر والتحديات التي يتأثر منها العالم، فهو مع العولمة التي تعني الوعي بقضايا العالم ومشكلاته ومخاطره.

ثانيا:إن العولمة التي يحتاج إليها العالم،هي العولمة التي يشترك الجميع في صنعها وبلور ا وصياغتها،لا أن ينفرد ا طرف واحد ويسخرها لصالح امتيازاته ووفق منظومته الفكرية والاقتصادية و الاجتماعية.

ثالثا:إن المشكلة الحقيقية ليست في العولمة وإنما في تباين مستوى التطور في الغالب، لأن العولمة هي من منجزات التقدم وبحاجة إلى تقدم يتكافأ معها.والمشكلة مع الغرب أنه حول مشروعه في التقدم إلى تكريس التبعية وضبط آليات السيطرة على العالم فالمواجهة الحقيقية للعولمة هي عن طريق الإنماء والبناء وانجاز مشروعات التقدم والعمران.

رابعا:إن أعظم تحول يمكن أن يحدث هو أن يغير الغرب من رؤيته نحو العالم بعد أن أصبح أكبر مؤثر في قضاياه وشؤونه وتطوراته وتغيراته، فماذا يريد الغرب من الحضارة بعد كل الذي أنجزه ؟ لقد أصبح من الحلم و المثالية التفكير ذا الشكل من يظن أن الغرب يمكن أن يعيد ويغير من رؤيته نحو العالم.لكن التاريخ يعلمنا وهو أفضل معلم لمن يريد أن يتعلم أن العالم لن يبقى على حالة واحدة، وأن الغرب ليس هو اية التقدم ولا اية الحداثة و الحضارة، وأن من يملك التقدم اليوم ليس بالضرورة يملكه إلى الأبد و أن الأمم التي خرجت من الحضارة لن تعود إليها أبدا فالتاريخ يمكن أن يتغير في أية لحظة، وهو الأعرف بقوانينه وسننه[23].

---

[22] - زكي الميلاد ، الإسلام و المدنية ، مصدر سابق، ص . 81 .

[23] -زكي الميلاد،الإسلام والعولمة،مصدر سابق ،ص-ص،17-18

خامسا: إن الخوف الحقيقي على هويات وثقافات الأمم من اكتساح العولمة وفرض الاتجاه الواحد هو نتيجة وجود الضعف والضمور في بنيتها وتكوينها، لذلك لابد من التجديد الداخلي لهذه الهويات والثقافات بما يكسبها المزيد من الحماية و المناعة و التحصن.

سادسا: إن العولمة تضع أمام الفكر الإسلامي سؤال المستقبل في ظل عالم شديد التغير، و ماذا يمكن أن ينتظر العالم من هذا الفكر من عطاء حضاري، ومن الإسلام الذي يتردد صداه بين كل الناس، كيف يستطيع الفكر الإسلامي أن ينهض بمشروع حضاري إسلامي معاصر تجد فيه الأمم والحضارات خيارا واتجاها مختلفا ومقنعا وفعالا عن الخيار والاتجاه الذي يفرضه الغرب على العالم لأن المستقبل ليس مفتوحا على الغرب فحسب بل مفتوح على كل الثقافات والأمم والحضارات [24].

لهذا ذهب الميلاد إلى أنه إذا كان الغرب قد قدم وعبر عن عولمته، التي أخاف ا العالم، و التي تعرضت لأشد أنواع النقد و المعارضة، لكن هذا لا يعني أ ا العولمة القاهرة والوحيدة في هذا العالم والمفروضة على الأمم بلا خيار أو إرادة.لأننا في المقابل نجد في الإسلام إمكانات حيوية أخلاقية وتشريعية وحضارية في غاية الأهمية، بإمكا ا أن تعبر عن عولمة أخرى، مختلفة في جوهرها وماهيتها وفلسفتها ومقاصدها عن عولمة الغرب.

فالإسلام جاء عالميا وللناس كافة، بلا عنصرية أو طبقية أو تمييز أو تفاضل، وهو أول من سعى نحو العالمية[25] .

وهناك من وصف العولمة بجملة من الخصائص نذكر منها:

- إسقاط المفاهيم والقيم والأسس-ومن ثم الأساليب- التي سادت في عصر ما قبل العولمة، ونشأة مجموعة جديدة من تلك المفاهيم تجعل "العالم" كله مجالاً ممكناً ومحتملاً للتعامل.
- تحول معنى التنظيم من كيان ثابت جامد مغلق على نفسه إلى كيان حي منفتح ومتعلم Learning يتعامل في الأساس مع المناخ الخارجي.

---

[24] - المصدر السابق، ص، 19 .

[25] - المصدر نفسه ، ص – ص ، 15 – 16 .

- بروز قوة المنافسة باعتبارها العامل الحاسم في تحديد ما يمكن للمنظمة أن تحصل عليه في السوق الذي تتعامل- أو تريد أن تتعامل- فيه، ومن ثم أهمية أن تستند المنظمة التي تريد البقاء إلى "قدرات تنافسية" تعكس المميزات التي تتفوق ا على المنافسين وتصل بواسطتها إلى تحقيق أعلى المنافع للعملاء وغيرهم من أصحاب المصلحة .
- تصدع العلاقات التي استقرت بين الدول والمنظمات والمؤسسات على المستويات المحلية والإقليمية والمحلية حيث تخفت معايير"المواطنة" وتسود عوضاً عنها معايير تتجاوز حدود الوطن الواحد، وتقل إلى أبعد مدى إمكانيات الدعم والحماية وفرص الانعزالية التي كانت تسود المعاملات والعلاقات فيما بين منظمات الدولة الواحدة في عصر ما قبل العولمة.
- تغيير مفهوم "الحيز" أو"النطاق" الذي اعتادته المنظمات محلية الطابع وحل مكانه العالم كله كمجال محتمل لفعاليات المنظمة. أي منظمة- حيث ساعدت تقنية المعلومات المعاصرة المتمثلة في الشبكة العالمية إنترنت في تجسيد هذه الإمكانية للمنظمات من كل نوع وحجم للتعامل في السوق العالمي بكفاءة لم تكن تستطيعها من سنوات قليلة مضت سوى المنظمات العملاقة [26].

و بين العولمة التي جاءت في اصطلاح الغرب، والعالمية التي جاءت في اصطلاح الإسلام جملة من الفروق، قبل أن نتطرق لهذه الفروق نعرج على مفهوم العالمية، لهذا فإن السؤال الجدير بالطرح فما المقصود بالعالمية و ما الفرق بينها و بين العولمة ؟

3 – 2 – العالمية و مفهومها:

يتحدد مفهوم العالمية في إطار العلاقات البشرية المعترفة بوجود أمم وشعوب لها هويا ا وتراثها وتطلعا ا،وهذا الوجود خلق ليضع ما يسمى تلاقح الثقافات والعلوم والحضارات، وتجاذب المفاهيم والأفكار السامية لخير البشرية، و في النتيجة فإن البشرية لابد أن تتجه نحو التطور الفكري والمادي الذي يسعى لحل أزمات العالم،و ابتداع كل الوسائل التي تريح أبناء هذا الكوكب من عناء الفقر والظلم والاستلاب و عدم الكفاية المادية[27].

---

[26] - The American Political , Science Review, Vol. LVII , June 1963 , pp. 405-406 .

[27] - حسن الباش ، صدام الحضارات حتمية قدرية أم لوثة بشرية ... ؟

(بيروت : دار قتيبة ، ط2 ، 2005) ، ص – ص . 120 – 121 .

3 – 3 – الفرق بين العولمة و العالمية :ومن الفروق القائمة بين العولمة والعالمية نذكر ما يلي :

- قد يكون حكم العولمة هو"عالم بلا حدود"، وأن البشرية قد دخلت مرحلة جديدة أهم صفا ا المميزة قيام اقتصاد عالمي بلا حدود قائم على الدور المحوري للشركات العابرة للقارات المتعددة الجنسيات، وعلى الحرية الكاملة لانتقال السلع ورؤوس الأموال والخدمات والمعلومات والأفراد والأفكار بأقل قدر ممكن من القيود أو التدخل من قبل الدولة التي يبدو أ ا أخذت تفقد السيطرة على الحياة الاقتصادية شيئًا فشيئًا منذ انتصار النيوليبرالية وانتشارها كنموذج تحديثي، وبخاصة بعد الا يار للمعسكر الاشتراكي.إن العولمة ذا المعنى حركة تستمد حيويتها الراهنة في محاولة إلغاء الحدود الثقافية والسياسية والاجتماعية والجغرافية بين سكان هذا الكوكب.

إذا كانت الإمبريالية هي نتاج عصر الرأسمالية الكلاسيكية ، فإن العولمة كما يرى كثيرون هي نتاج عصر النيوليبرالية. و يتصف نسق العلاقات المعولم بال وع نحو تأكيد اقتصاد السوق والتجارة الحرة، وعلى صعيد فكري، رافق ذلك دعوة تقول بنهاية الإيديولوجيا واليوتوبيا والتاريخ والحدود والسيادة إعلانا لانتصار الرأسمالية والفلسفة الذرائعية، فجرى بحسب هذا المنطق تحول من الصراع الاقتصادي إلى الصراع الحضاري . [28]

أما العالمية:"مذهب يدعو إلى البحث عن الحقيقة الواحدة التي تكمن وراء المظاهر المتعددة في الخلافات المذهبية المتباينة "ويزعم أصحاب هذه الدعوة أن ذلك هو السبيل إلى جمع الناس على مذهب واحد، تزول معه خلافا م الدينية والعنصرية ويرى الشيخ بكر أبو زيد في كتابه معجم المناهي اللفظية أن العالمية مذهب باطل ينسف دين الإسلام، بجمعه بين الإسلام والأديان كافة، وأنه لا ينبغي أن نقول "عالمية الإسلام "ولنقل:"الإسلام والعالمية "إلا أن معظم الباحثين المسلمين ومنهم الأستاذ ماجد الزميع يرون عدم المانع من استعمال عبارة "عالمية الإسلام "لأن الشريعة الإسلامية عالمية في أصلها وتفاصيلها،وتعتبر كلمة العالمية تعبير بعيدا"عن ا ال السياسي والاقتصادي وقريبا" من ا ال الثقافي العولمة:تعتبر كائن خارق الإمكانات يتهيأ لافتراس كل ما يقع بين يديه على المستوى العالمي وللعولمة أنواع أهمها عولمة سياسية وثقافية فكريه وعولمة اقتصاديه وكل هذه الأنواع تدعو لنشر القيم الغربية في مجال السياسة مثلا" نشر

[28]- Many globalizations: diversity in the contemporary world , publishing in boston news press, 2009 . p 154 .

الديمقراطية الغربية والأحزاب حرية التعبير ومجالس تشريعيه وفي ا ال الثقافي نشر الأفكار الغربية في حياة الإنسان عن طريق الفضائيات والأدب الغربي والتكنولوجيا والعولمة الاقتصادية تقوم أيضا" على نشر قيم غربيه كفتح الأسواق وترك الأسعار للعرض والطلب، وعدم تدخل الحكومات في النشاط الاقتصادي، وربط اقتصاد الدول النامية بالاقتصاد العالمي، بحيث يصبح العالم مقسما إلى قسمين لا ثالث لهما؛ قسم ينتج ويطور ويبدع ويصدر وهو الدول الغربية، وقسم يستهلك ويستورد فقط وهو الدول النامية ومنها الدول الإسلامية. فالعولمة بمضمو ا هي اجتياح للثقافات الأخرى.وان كان لهذه الثقافات بقاء فهو شكلي فولكلوري للاستمتاع ليس إلا ..وليس لتنمية الذات الإنسانية.فالعولمة هي ظاهرة تاريخية أكثر منها ظاهرة اجتماعية لها بداية.ما عرف باللاوفاق الذي ساد بين قطبين متصارعين وهما الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي السابق وأن العولمة جاءت في أعقاب الحرب الباردة. باختصار هي طغيان أو هيمنة القيم الأميركية [29].

-العولمة مبنية على فكرة السوق والجنس أو الإنسان الاقتصادي والإنساني الجسماني،[30] فهي ترتكز على الانتفاع المادي والجشع الاقتصادي،واحتكار الثروات ورفع القيود عن الأسواق والبضائع وامتصاص الأموال، وهذه الأمور هي من أكثر العوامل سببا وتحريضا لل اع والصدام، أما الرؤية الإسلامية لفكرة العولمة فهي تعني التواصل الكوني والانفتاح العالمي على مستوى الأمم والحضارات على أساس وحدة الأصل الإنساني و تنوعه [31].

-العالمية تصف موضوعها بما هو عليه، بمعنى أن الشيء الذي يوصف بالعالمية لابد أن تكون طبيعته ونتائجه صالحة لأن يستخدمها كل البشر، أما العولمة فهي تدل على فعل وليس صفة، يراد به إخراج شيء عن طبيعته الإقليمية، وفرضه على ا تمعات الأخرى،وإن لم يتفق في طبيعته و نتائجه مع طبيعة هذه ا تمعات.

[29] - تقرير عن مظالم الشيعة في باكستان، تقدمها منظمة اهل السنة و الجماعة في باكستان ،
(باكستان : دار النشر الإسلامية العالمية) ، 1983، ص 44.

[30] - عبد الوهاب المسيري و آخرون، الإسلام و العولمة،
الإسكندرية: مكتبة الإشعاع الفنية ، ط1 ، 2002) ، ص 87 .

[31] - زكي الميلاد ، الفكر الإسلامي و قضايا العولمة،
العدد 20 ، السنة 5 ، 1998
(مجلة الكلمة:منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث) ، ص . 19 .

-مصطلح العالمية يتضمن الاعتراف بخصوصية الآخر وضرورة أخذه في الاعتبار، بينما العولمة لا تعترف بالآخر بل تنكر حقه في الاحتفاظ بخصوصياته الثقافية والاجتماعية.
-العالمية لا تترتب عليها رد فعل مضاد من الآخر لأ ا لا تفرض عليه تبنيها، بل تفرض نفسها بديلا يعتد به،وتترك له الحرية في أن يأخذه بجملته وتفصيله أو أن يأخذ منه ما يرى فيه صلاحه، وترك غير ذلك،ولا تضمر العداء لهذا البديل. بينما العولمة تؤدي حتما إلى رد فعل مضاد، يفرض القهر على تبني مفاهيم غريبة عن طبيعته لم تلد في تربته ولا تتناسب مع روحه[32].

نتيجة:

من خلال ما سبق يتضح جليا مدى ضيق أفق العولمة،فما هي إلا طغيان-وفرض-للقيم الأمريكية،أما فضاء العالمية،فهو يتسع لأنه إنساني ال عة يتضمن الانفتاح على الآخر وعدم إلغائه، كما ترفض كل أشكال الاستغلال.
و لعلّ من أكثر الآيات التي عبرت عن رؤية الإسلام في هذا ا ال قوله تعالى:"يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير "(الحجرات 13).

فهذه الآية تؤسس لعلاقات بين الأمم والحضارات على قاعدة التعارف" لتعارفوا"و ليس على أساس ال اع أو الصدام أو الإلغاء و الإقصاء، ولقد كون زكي الميلاد نظرية من خلال دراسة هذه الآية في مكونا ا التجزيئية والتركيبية،أطلق عليها نظرية تعارف الحضارات[33]، وهو موضوع المبحث الثاني.

المبحث الثاني :في مفهوم تعارف الحضارات

1 – تعريف فكرة تعارف الحضارات:

1 – أ – معنى التعارف لغة:

عرف، معرِفةً وعِرفَاناً:أدركه بحاسة من حواسه فهو عارف وعريف وهو عروف [34].

---

[32] - أبو اليزيد أبو زيد العجمي ، الحضارة الإسلامية وجه جديد ،
(القاهرة: دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة، ط1 ، 2006) ، ص . 171 .
[33] - زكي الميلاد ، الفكر الإسلامي و قضايا العولمة ، مصدر سابق ، ص . 18 .
[34] - المعجم الوسيط ، مرجع سابق ، ص 595 .

المعِرفةُ، والعِرفَانُ:إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره وهو أخص من العِلم ويضاده الإنكار[35].
تعارفا أو تعارفوا: عرف أحدهما الآخر أو بعضهم بعضا،" تعارفا بعد سنوات من الفراق "تعارفوا على أمر "أصبح متفقا عليه بينهم[36].

1 – ب– اصطلاحا:

تعتبر فكرة تعارف الحضارات فكرة جديدة وخلاقة تنتمي إلى الفضاء المعرفي الإسلامي، وتتحدد في مجال العلاقات بين الحضارات.

ينفي الميلاد أن تكون الغاية من هذه الفكرة توسيع دائرة الجدال والسجال المتراكم حول مقولتي صدام الحضارات وحوار الحضارات.و إنما تكمن الغاية من هذه الفكرة،في أ ا محاولة لتطوير مستويات الفهم في النظر إلى عالم الحضارات،والسعي لاكتشاف آفاق جديدة أو غائبة تساهم في تجديد العلاقات بين الحضارات، وتوسع من دائرة التواصل فيما بينها، والتأكيد على ضرورة بناء هذه العلاقات على أساس المعرفة المتبادلة، ومن خلال بناء جسور التعارف لإزالة كافة صور الجهل والتخلص من رواسب وإشكاليات القطيعة.

حسب الميلاد أن الحكمة من هذه الفكرة أ ا تنطلق من قاعدة أن تعدد الحضارات أو انبعاث حضارات جديدة لا يفترض أن يؤدي إلى صدام بين الحضارات، و لا ينبغي أن يفهم هذا التعدد أو أن يفسر على أساس التصادم، هذا من جهة و من جهة أخرى أنه بدون التعارف لا يتحقق الحوار ولا يتطور و يتقدم كذلك[37] .

حيث يؤكد أحد الباحثين أن التحديات المصيرية التي أصبحت تشغل الإنسان المعاصر م ركيزتين أساسيتين لاستمرار الحياة: التنوع البيولوجي، والتعدد الثقافي، فالتأحيد الثقافي هو بمثابة إبادة ثقافية وانقراض للإنسان ثقافيا، الأمر الذي لا يقل خطورة عن اختلال التوازنات الإيكولوجية والبيولوجية في العالم، لذلك فإن التعددية الثقافية تعتبر ثروة كبيرة يجب على

---

[35] - الراغب الأصفهاني، مرجع سابق ، 343 .

[36] - المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، ص 967 .

[37] - زكي الميلاد ،" مقدمة " ، ندوة: تعارف الحضارات ، إعداد: زكي الميلاد ، (دمشق : دار الفكر ، ط1 ، 2006) ، ص . 8 – 9 .

الإنسانية الحفاظ عليها وتعدد الحضارات هو أفضل ضمانة لقدرة الإنسان على إبداع أجوبة مناسبة للتحديات المختلفة[38].

لذلك فإن معنى التعارف: هو أن يتحاوروا حتى يعرف كل إنسان أخاه الإنسان، يعرف عقليته ونفسيته و سلوكه ومبادئه والقيم التي صنعت مقاييسه وموازينه الإنسانية، و المشكلة لا تكمن في مفهوم التعارف بقدر ما تكمن في فهم الطرف الغربي للمفهوم[39] ويضيف:" عندما تتوفر لدى المتحاور قناعات مشتركة بالقيم والمثل و العبر من التاريخ ويتخطون الأنا الفوقية يستطيعون أن يفرشوا الأرض مائدة للحوار"[40]. و عليه فالتعارف هو الخطوة الأولى للفهم المتبادل والتعاون المشترك[41].

لهذا يعتبر التعارف عند الميلاد أحد أرقى المفاهيم وأكثرها قيمة وفاعلية و من أشد وأهم ما تحتاج إليه الأمم والحضارات، و هو دعوة لأن تكتشف وتتعرف كل أمة وكل حضارة على الأمم والحضارات الأخرى بلا سيطرة أو هيمنة أو إقصاء أو تدمير.

كما أن التعارف هو الذي يحقق وجود الآخر ولا يلغيه و يؤسس العلاقة و الشراكة والتواصل معه لا أن يقطعها أو يمنعها أو يقاومها، و الخلاصة أن مفهوم التعارف يعني التواصل الكوني والانفتاح العالمي على مستوى الأمم والحضارات [42].

و لعلّ ما يضاعف من أهمية وقيمة مفهوم تعارف الحضارات في عالمنا المعاصر هو ما تشتكي منه كل حضارة في أن الصورة المتشكلة حولها في أذهان الآخرين، هي صورة ناقصة أو مشوهة أو شديدة السطحية،الأمر الذي يؤكد أن هناك جهلا متبادلا بين الحضارات و لا سبيل لرفع هذا الجهل إلا بالتعارف [43].

---

[38] - محمد سعدي، " الندوة الدولية : إشكالية التواصل الحضاري بين الشرق و الغرب " ،
(مجلة المستقبل العربي ، العدد 233 ،السنة 21 ، مارس 1998، يوليو 1998) ،
(وجدة: مركز دراسات الوحدة العربية) ص . 157 .

[39] - حسن الباش ،مرجع سابق ، ص . 41

[40] - المرجع نفسه ، ص . 44 .

[41] - كمال الدين عبد الغني المرسي، مرجع سابق ، ص . 191 .

[42] - زكي الميلاد ، الفكر الإسلامي و قضايا العولمة ، مصدر سابق ، ص – ص ، 18 – 19 .

[43] - زكي الميلاد ، المسألة الحضارية ، مصدر سابق ، ص 101 .

لهذا حاول الميلاد التأسيس المعرفي لهذا المفهوم ولكن السؤال الذي يفرض نفسه: من أين بدأت فكرة تعارف الحضارات ؟ وكيف نمت و تطورت ؟ وبماذا تتميز عن المقولات الأخرى ؟ و إلى أين وصلت ؟ و ما هو مصيرها ومستقبلها؟

2- **أسس مفهوم تعارف الحضارات عند زكي الميلاد:**

استند زكي الميلاد في تأسيسه لمفهوم تعارف الحضارات على ثلاثة نقاط رئيسية وهي فحص ونقد،أصل ومثال، قياس أو اختبار.

2 – 1 – الفحص والنقد:

*الفحص:يرجع بنا إلى ما قبل زمن الفكرة و تحديدا إلى فكرة حوار الحضارات بحيث إذا نظرنا إلى ا ال التداولي لفكرة حوار الحضارات كما وصلتنا في ا ال العربي، فإنه يمكن التوقف أمام محطتين أساسيتين هما:

2 – 1 –أ– المحطة الأولى:فكرة حوار الحضارات عند غارودي:و هي المحطة الأهم والأساس، جاءت في النصف الثاني من سبعينات القرن العشرين،وقد مرت هذه الفكرة بثلاث أطوار مثلت سياقا تاريخيا لابد من الإحاطة به لتكوين المعرفة ذه الفكرة،و هذه الأطوار هي:

الطور الأول:الدعوة إلى الحوار بين الماركسية والمسيحية، و ذلك بعد أن انتقل غارودي من المسيحية إلى الماركسية، وأراد غارودي من هذا الحوار بناء العلاقة بين التحرر والإيمان، التحرر الذي تمثله الماركسية والإيمان الذي تمثله المسيحية.

الطور الثاني:الدعوة إلى الحوار بين الحضارات،و ذلك بعد أن وجد غارودي أن الحوار بين الماركسيين والمسيحيين سوف يظل إقليميا حسب تعبيره، و لن يتقدم إلا في نطاق منطقة ثقافية واحدة، و هي منطقة الغرب، و وجد من الضرورة التحول نحو إدارة هذا الحوار على مستوى الحضارات.

الطور الثالث:الدعوة إلى الحوار بين الغرب والإسلام، والتي شرحها غارودي في كتابيه (وعود الإسلام) و(الإسلام في الغرب ... قرطبة عاصمة الروح و الفكر)[44].

---

[44] - زكي الميلاد، لماذا مفهوم تعارف الحضارات ؟ الفكرة و الخبرة و التأسيس، (الإسكندرية : مؤتمر تعارف الحضارات ، 2011)، ص. 1.

وكان في قناعة غارودي أن العقبة الرئيسية التي تقف في وجه حوار الحضارات هي النظرة التي حملها الغرب منذ مئات السنين عن الإسلام.

و يذهب الميلاد إلى أنه إذا ما فحصنا رؤية غارودي لحوار الحضارات كما شرحها في كتابه الشهير (حوار الحضارات) نجد أنه كان متوجها إلى الغرب في هذه الدعوة، و أن الغرب هو المعني ـذه الدعوة، بقصد تصحيح مساراته، و ذلك بعد أن وصل إلى مأزق حضاري خطير في نظر غارودي.

فقد اكتشف غارودي بفكره النقدي، و معرفته الواسعة وانفتاحه على الثقافات غير الأوروبية وجود أزمة حضارية في الغرب، والحضارة الغربية، ولا سبيل لتجاوز هذه الأزمة وتداركها في نظره، إلا بالانفتاح على الحضارات الأخرى غير الأوروبية، والتحاور معها والتعلم منها لاكتشاف ما يسميه بالفرص المفقودة، والأبعاد الإنسانية والأخلاقية المطلوبة التي نمت في الحضارات والثقافات غير الأوروبية [45].

لذلك لم تلق هذه الفكرة إصغاء أو استجابة هناك، ولهذا تراجعت فكرة حوار الحضارات ونسيها العالم، و قلما تذكر في إطار نقد الغرب و تجربته الحضارية و تمسكه الشديد بمفهوم المركزية الأوربية [46].

الخلاصة: إن هذه الفكرة التي كو ا غارودي لحوار الحضارات،أراد ا أن يخاطب الغرب بصورة أساسية، لذلك فهي تنتمي وتصنف على النظريات الغربية، التي تنطلق من نقد التجربة الغربية والحضارة الغربية.

2 – 1 – ب – المحطة الثانية: فكرة حوار الحضارات عند محمد خاتمي:

لقد دعا محمد خاتمي إلى سنة دولية لحوار الحضارات في خطابه الذي ألقاه في الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1998 واستجابت الأمم المتحدة لهذا الاقتراح،وحددت سنة 2001 م سنة الأمم المتحدة لحوار الحضارات. هذه الدعوة بعد الفحص يمكن النظر إليها من زاويتين:

الزاوية الأولى: أ ا جاءت ردا على مقولة صدام الحضارات المقولة التي تشاءم العالم منها .

45- المصدر السابق ، ص – ص . 1 – 2 .

46 - زكي الميلاد ،" تعارف الحضارات ... فكرة و تطورا و مصيرا"، ندوة: تعارف الحضارات، إعداد: زكي الميلاد، (دمشق : دار الفكر، 2006) ، ص – ص . 16 – 17 .

الزاوية الثانية: أن السيد خاتمي أراد من هذه الدعوة أن يعيد تصحيح العلاقات الدولية إلى إيران.

إن التطور المهم الذي حصل في هذه المرحلة- حسب الميلاد- هو إحياء مفهوم حوار الحضارات،وتجديد العمل به في مجال العلاقات الدولية، و استخدامه في نقد و تقويض ومحاصرة مقولة صدام الحضارات، و بناء تراكمات فكرية وثقافية حوله، و فتح أوسع نقاش دولي عابر للثقافات والقوميات واللغات حوله، والتأكيد على بناء الجسور وتعزيز الحوار بين الحضارات.

*****النقد: هذا عن ا ال التداولي لفكرة حوار الحضارات، لكن هذه الفكرة لم تتعرض للفحص المعرفي من حيث بنية المفهوم وتركيبته، لكن مع التداول الواسع لمفهوم حوار الحضارات، دخل المفهوم في دائرة الفحص المعرفي في ا ال العربي، ونتيجة لهذا الفحص بدأ **النقد** يتجه لهذا المفهوم، و يتعدد في جهات مختلفة [47].

يمكن ربط نظرية غارودي بالفكر النقدي الجديد للغرب والمتمثل بفكرة ما بعد الحداثة،و الذي يحاول تفكيك بنية خطاب المركزية الأوروبية، وتجديد النظر للثقافات غير الأوروبية و إعادة إدماجها في عوالم الحداثة بعد أن كانت هذه الثقافات يتحدد مكا ا بحسب رغبة الغرب المتعالي في المدارات الهامشية، وتصنف خطابا ا على الماضي والتراث والتقليد والتبعية، ومن دون الاعتراف لها ا بأي انجاز أو إبداع أو تفوق في النطاق الإنساني أو التراث العام.

هذا ما حاول فكر ما بعد الحداثة نقده والتشكيك فيه، من خلال تحطيم مقولات اليقين والإطلاق والثبات في الفكر الفلسفي الغربي، الأمر الذي يعني أن الحداثة ليست امتيازا خاصا بالغرب، و تقدم الغرب ليس هو اية التقدم أو اية التاريخ و طريق النمو ليس طريق واحد و خيار ثابت [48].

بعد النقد تبين للميلاد أن هذه المقولة(حوار الحضارات) تفتقد إلى الدقة والوضوح والإحكام والتماسك، وأول ما يعترض هذه المقولة هو:هل إن الحضارات تتحاور فعلا ؟ وكيف نتصور هذا التحاور ونبرهن عليه ؟

[47] - المصدر السابق ، ص . 3 .

[48] - زكي الميلاد ، " تعارف الحضارات... فكرة و تطورا و مصيرا " ، مصدر سابق ، ص . 27 .

علما بأن الدارسين والباحثين والمؤرخين في ميادين التاريخ والاجتماع والأنثروبولوجيا والحضارة والثقافة، الذين درسوا صور العلاقات بين الحضارات وأشكالها وأنماطها لم يتحدثوا عن ظاهرة الحوار بين الحضارات، و إنما تحدثوا عن ظواهر أخرى كالتفاعل والتعاقب والتبادل والاحتكاك إلى جانب الصراع والصدام، و قد شرحوا هذه الظواهر وعرفوا ا و بأشكالها، ولعلّ في أكثر الأحيان يكون المقصود من حوار الحضارات تلك الظواهر المذكورة، لكن هذا لا يعفي من سلب الدقة عن هذه المقولة.

ومن جهة أخرى يشير الميلاد في نقد هذه المقولة إلى أ ا غير ممكنة فعلا من جهة التطبيق، لأن الغرب الذي يفترض فيه أن يكون طرفا أساسيا في أي حوار على مستوى الحضارات ليس على استعداد لأن ينخرط في هذا الحوار مع حضارات يعتبرها غير متكافئة معه، و هو الذي يمثل الحضارة الغالبة و المسيطرة على العالم والمتحكمة بثرواته .

كما أن تاريخ علاقات الغرب بالحضارات الأخرى قد لا يشجعه على هذا الحوار، وهو الذي دخل في صدام وتدمير مع بقية الحضارات الأخرى و سلب منها ثروا ا و أوصلها لدرجة الإفقار و التخلف [49].

يضاف إلى ذلك أن حوار الحضارات في رؤية السيد محمد خاتمي قد جاء استجابة لبعض المعطيات والضروريات السياسية في الدرجة الأولى ومن أجل أن تكون خطابا نقديا بديلا لخطاب صدام الحضارات.

و قد ظلت تتحدد في هذا النطاق ولم تتحول إلى نظرية تعبر عن رؤيته في كيفية التقدم والتحضر و عن أنماط علاقاته بالعالم[50].

وهنا خلص الميلاد أننا على مستوى العالم العربي والإسلامي لا نمتلك نظرية واضحة حول حوار الحضارات، ولا نفهمها ولا نتعامل معها إلا بطريقة تغلب عليها العمومية والإطلاقية التي تفتقر إلى التحديد والتقييد والتبيين، لكنها مع ذلك تبقى من المقولات التي يمكن اعتبارها بأ ا تتضمن دعوة أخلاقية نبيلة[51].

---

[49] - حسن آل حمادة ، "حوار حول أطروحة تعارف الحضارات" ، ندوة: تعارف الحضارات ، إعداد :زكي الميلاد ،مصدر سابق ، ص – ص. 215 – 217 .

[50] - المصدر نفسه ، ص . 211 .

[51] - المصدر نفسه ، ص . 217 .

لهذا بقي الميلاد ناظرا و متأملا حينا ومتسائلا حينا آخر: هل توجد فكرة أو نظرية إسلامية في هذا الشأن؟

2 – 2 – الأصل و المثال:

*الأصل:يقصد الميلاد بالأصل أن فكرة تعارف الحضارات تستند على أصل من أصول القرآن الكريم، و الذي هو الأصل الأول و أصل الأصول كما يقول أهل الأصول [52].

من هنا كان البحث عن مفهوم آخر هو من مقتضيات التجدد والاجتهاد والفاعلية، وعدم الجمود أو التوقف، و لضرورات البحث عن أبعاد أخرى قد تكون غير مكتشفة، و لفتح مجال التفكير نحو مفهوم جديد وأهمية فحصه واختباره و جعله في دائرة النظر والتحليل، هذا من حيث مقتضيات بناء المفهوم كعملية معرفية.

و هناك مقتضيات أخرى ذات علاقة بالتاريخ الحضاري لعالم الإسلام، فقد كان للمسلمين تجربتهم في بناء الحضارة، و تكونت لهم معرفة وخبرة في هذا ا ال [53].

لذلك يفترض أن يكون في التصور الإسلامي رؤية أو مفهوم يحدد شكل العلاقات مع الأمم و ا تمعات والحضارات الأخرى، و القرآن الكريم الذي جاء للناس كافة و رحمة للعالمين هو الرسالة الخالدة للبشر بكل تعدديا م وتنوعا م، و هذا من آيات حكمة الله سبحانه وتعالى:"و من آياته خلْق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم و ألوانكم "(الروم 22)،هذا الاختلاف أو التعدد والتنوع في الاجتماع البشري، كما تقرره الآية يفترض أن يتأسس على قاعدة أو مفهوم، قد تحدد في القرآن الكريم (فهو الأصل) .

*المثال:استند الميلاد على مفهوم التعارف الوارد في الآية13من سورة الحجرات،هذه الآية تحديدا من أكثر آيات القرآن الكريم التي تكرر ذكرها والحديث عنها،والالتفات إليها في الكتابات العربية والإسلامية، منذ أن تجدد الحديث حول حوار الحضارات، الأمر الذي يجعلها ذات علاقة ذا الشأن .

[52] - زكي الميلاد ، لماذا مفهوم تعارف الحضارات ؟ ، مصدر سابق ، ص 4 .

[53] - زكي الميلاد ،" من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات " ، ندوة: الإسلام و حوار الحضارات ، (الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ا لد 3، 2004) ، ص – ص 57 – 58 .

هذه الآية استشهد ا الدكتور حسين مؤنس في كتابه الحضارة وذلك في سياق حديثه عن علاقة الحضارة بالأجناس، و ما توصل إليه المؤرخون الغربيون بعدم حصر القدرة على بناء الحضارة بأجناس معينة و أن الحضارات إنما قامت بمشاركة أجناس متعددة[54] .

إن حضور هذه الآية والاستشهاد ا والالتفات إليها في الأدبيات العربية والإسلامية يكاد ينحصر ويتحدد في نطاق التذكير ا أو مجرد الإشارة إليها من دون التعمق في استجلاء دلالا ا أو استكشاف مكونا ا، أو إمكانية ابتكار مفهوم منها، يكون أصيلا ومحكما بشرائطه العلمية وقواعده الاصطلاحية.

يضيف الميلاد ملاحظة منهجية ومعرفية ترتبط عموما بعلاقة الباحثين والمؤرخين بالقرآن الكريم و علوم التفسير ومناهجه، و إمكانية التعامل معه كمرجع يرجع إليه في حقول العلوم الاجتماعية والإنسانية وترتبط هذه الملاحظة عند البعض بعوامل نفسية وفكرية ذات علاقة بطرائق التعامل مع القرآن الكريم وكيفية الرجوع إليه و الاستنباط منه [55].

وعليه فبعد التأمل الفاحص لهذه الآية:"يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا" (سورة الحجرات 13)اكتشف الميلاد في الآية حقائق كلية ذات أبعاد إنسانية عامة، واصطلح عليها لاحقا **آية التعارف** و وجد فيها ما كان يبحث عنه.

فقد جاءت هذه الآية بمفهوم التعارف" لتعارفوا" وخاطبت الناس كافة ذا المفهوم"يا أيها الناس" وخاطبتهم ذا المفهوم حينما جعلهم الله سبحانه وتعالى شعوبا وقبائل " وجعلناكم شعوبا و قبائل" والمقصود العام من الشعوب والقبائل التجمعات وا تمعات الصغيرة و الكبيرة ويدخل في هذا المعنى الأمم والحضارات بحسب اصطلاحاتنا الحديثة، أي أن المقصود بالتعارف هنا ليس الأفراد وإنما التجمعات وا تمعات، و لهذا جاز لنا استعمال هذا المفهوم على مستوى الحضارات.

من هنا تبلور مفهوم (تعارف الحضارات) عند الميلاد وترسخت قناعته به، وتحمس له و دافع عنه وسعى للتعريف و التبشير به [56].

---

[54] - المصدر السابق ، ص . 59 .

[55] - المصدر نفسه ، ص . 60 .

[56] - زكي الميلاد ،" تعارف الحضارات ... فكرة و تطورا و مصيرا " ، مصدر سابق ، ص . 19 .

فهذه الآية جاءت لكي تبرز مفهوم التعارف في العلاقة بين الناس كافة شعوبا و قبائل واحتوت على مضامين مهمة تساهم في تشكيل مفهوم التعارف بين الأمم والحضارات، فلم تقل الآية فرضا: ليتعاونوا أو ليتوحدوا أو ليتحاوروا و لا ليتفرقوا أو ليتباعدوا أو ينقسموا، ومن هذه العناوين وغيرها جاء اختيار مفهوم (ليتعارفوا) و ذلك لخصوصية جوهرية في بنية هذا المفهوم و لارتباطه بمقاصد هي في صلب المورد الذي جاءت الآية في سياق الحديث عنه.

مع ملاحظة أن القرآن الكريم في كل آياته كما التفت إلى ذلك الشيخ محمد الصادقي صاحب تفسير" الفرقان في تفسير القرآن "لم يأت على ذكر " شعوب و قبائل " إلا في هذه الآية [57].

و قال سيد قطب في تفسير هذه الآية:"إن الغاية من جعلكم شعوبا وقبائل ليست التناحر والخصام إنما هي التعارف والوئام، فأما اختلاف الألسنة والألوان واختلاف الطباع والأخلاق واختلاف المواهب والاستعدادات فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات، و ليس للون و الجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله " [58].

فالتعارف هو المفهوم العام والكلي والجامع والشامل الذي اختارته هذه الآية في تحديد النمط العام لعلاقات الناس كافة مهما تعددت وتنوعت أعراقهم وسلالاتهم و لغاتهم وألسنتهم و دياناتهم ومذاهبهم وتاريخهم وجغرافيتهم.

هذا هو مصدر القيمة والفاعلية في مفهوم التعارف، فهو المفهوم الذي يؤسس لتلك المفاهيم المذكورة (الحوار، الوحدة،و التعاون) ويحدد لها شكلها ودرجتها وصورها، وهو الذي يحافظ على فاعليتها وتطورها واستمرارها ، هذا من جهة الإيجاب، أما من جهة السلب فإن التعارف كمفهوم وفاعلية بإمكانه أن يزيل مسببات النزاع و الصدام بين الحضارات و يمضي إلى حوار الحضارات [59].

[57] - زكي الميلاد ، المسألة الحضارية ، مصدر سابق ، ص . 93 .

[58] - سيد قطب ، في ظلال القرآن ،

(القاهرة : في دار الشروق ، المجلد السادس ، الأجزاء : 26 – 30) ، ص . 3348 – 3349 .

[59] - زكي الميلاد ، " لماذا مفهوم تعارف الحضارات ؟ " ، مصدر سابق ، ص . 5 .

و أخيرا إن مقولة (تعارف الحضارات) لا تعني مجرد الاعتراف بتعدد الحضارات وتنوعها، وإنما تستند على ضرورة بناء وتقدم الحضارات في العالم، و تأسيس الشراكة الحضارية فيما بينها، و تبادل المعرفة والخبرة فالعالم ليس بحاجة إلى حضارة واحدة وإنما إلى استنهاض الحضارات كافة [60].

3 – القياس و الاختبار:

*القياس:يتعلق القياس باختبار الفكرة في ساحة ا ال التداولي، أي قياس وجهات النظر حول هذه الفكرة بعد الإعلان عنها [61].

ففي صيف 1997أنجز الميلاد أول عمل حول تعارف الحضارات على صورة بحث نشر في العدد 16 من مجلة الكلمة بعنوان: تعارف الحضارات، شرح فيه قيمة هذا المفهوم وتميزه واختلافه عن مفهومي صدام الحضارات وحوار الحضارات واتصاله بالمنبع القرآني، كما شرح فيه طبيعة مكونات هذا المفهوم و أبعاده و مقاصده،و ختم البحث بالدعوة إلى أن يأخذ هذا المفهوم مكانته من الجدل والنقاش الدائر على نطاق واسع حول أنماط و صور العلاقات بين الحضارات، والتأكيد على ضرورة أن نتعامل بثقة مع الأفكار التي نبدعها، ونعطيها من الأهمية ما تستحق، لا أن نكون مجرد مسحورين و منفعلين بالأفكار التي تأتي لنا جاهزة من الخارج ومن الغرب بشكل خاص .

وقد اكتسب هذا المفهوم في وقته قدرا من التفاعل و الاستحسان و الاهتمام عند الذين اطلعوا عليه، أو الذين حدثهم عنه من الأصدقاء أو من المهتمين و الباحثين في هذا ا ال [62].

ثم أتبع الميلاد هذا البحث فيما بعد بدراسات ومقالات في الصحف وا لات وأوراق ومداخلات في الندوات والمؤتمرات وجميعها كانت تتماشى مع الدراسة الأولى، للتأكيد على مقولة تعارف الحضارات.

في سنة 2009 أدرجت الفكرة في المقرر الدراسي لمادة التاريخ في دولة الإمارات العربية، الصف الحادي عشر،الجزء الأول، و هي تدرس في إطار الحديث عن نظريات التفاعل

[60] - زكي الميلاد ، من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات ، مصدر سابق ، ص . 65 .

[61] - زكي الميلاد ، " لماذا مفهوم تعارف الحضارات " ، مصدر سابق ، ص . 5 .

[62] - زكي الميلاد ،" تعارف الحضارات .... فكرة و تطورا و مصيرا "، مصدر سابق ، ص . 20 .

الحضاري الأربع و هي: الصراع، الحوار، اية التاريخ و تعارف الحضارات، و مازالت الكتابات عن هذه الفكرة متواصلة في شكل رسائل جامعية: دكتوراه و ماجستير.

والذين تعرفوا على هذا المفهوم وجدوا فيه تجليا وتخلقا،كما وجدوا أنه أكثر قربا وتعبيرا عن المنظور الإسلامي في مجال العلاقات بين الأمم والشعوب،و مازالت هناك فرص أكبر أمام اكتشاف هذا المفهوم والتعرف عليه والانخراط في التحاور والتواصل معه.[63]

وهكذا نخلص مع الميلاد إلى أن فكرة تعارف الحضارات:

- تجاوزت مرحلة الاختبار وأصبحت فكرة معروفة على نطاق واسع، و دخلت ا ال التداولي و بات الحديث يجري عنها بوصفها نظرية ثالثة.

- أكثر دقة وضبطا وإحكاما وحتى ثراء و تخلقا من فكرة حوار الحضارات من النواحي البيانية و اللسانية و المفهومية .

- إن فكرة تعارف الحضارات هي أقرب تعبيرا وتمثلا لوجهة النظر الإسلامية في مجال الحضارات وصور العلاقات بينها .

- إن تعارف الحضارات هو الذي كان يؤدي إلى توارث الحضارات وتعاقبها في التاريخ الإنساني .

- إن تعارف الحضارات هو الذي يؤسس لكل أشكال وأنماط العلاقات بين الحضارات من الحوار إلى التعاون و التواصل و غيرها، و هو الذي يمنع الصدام و ال اع و الحروب بينها[64].

3 – مفهوم تعارف الحضارات و الأنساق المعرفية :

3 – أ – بين التعارف و التواصل:

إذا أردنا أن نقرب مفهوم التعارف إلى بعض حقول المعرفة الإنسانية فإن هذا المفهوم يشترك في نسق معرفي متقارب أو متجاور لـ**مفهوم التواصل** عند المفكر الألماني المعاصر "يورغن هابرماس"*الذي حوله إلى فلسفة أطلق عليها " التفاعلية التواصلية "، وهي أكثر أفكار هابرماس شهرة، فقد اختبرها وتوصل إليها بعد دراسة نقدية لكبريات النصوص الفلسفية باتجاها ا

[63] زكي الميلاد،"تعارف الحضارات...فكرة وتطورا ومصيرا"،مصدر سابق، ص. 32

[64] - زكي الميلاد ،" لماذا مفهوم تعارف الحضارات " ، مصدر سابق ، ص . 6 .

* - يورغن هابرماس فيلسوف وعالم اجتماع ألماني معاصر

المختلفة في منظومات الفكر الأوروبي، من فلاسفة الأنوار إلى فلاسفة ما بعد الحداثة المعاصرين، و طرحها في كتابه" القول الفلسفي للحداثة "[65].

ينطوي مشروع الحداثة عند هابرماس على عدة أبعاد منها البعدين النفسي والأخلاقي، و يظهر هذان البعدان في الثورة على الأشكال التقليدية الكلاسيكية و محاولة استشراف آفاق إنسانية جديدة تنمو تجاه الشعور والوجدان والذات والأنا بوجه عام ، فقد دعا هابرماس إلى عقلانية تواصلية بدل العقلانية العدائية التي ترمي إلى تفتيت ا تمع الإنساني ليحل محله مجتمع حيواني قائم على البقاء للأصلح أو الأقوى، في حين أن العقلانية التواصلية تعني عنده التفتح الواسع والدعوة إلى التقدم والعصرنة والتجديد بمعنى أ ا عقلانية ترمي إلى البحث في كل جوانب الحياة، الاقتصاد، السياسة، الاجتماع، الدين، الثقافة و غيرها،و هذه العملية تتطلب حسب هابرماس نمطا جديدا في العلاقات الإنسانية مغايرا للنمط القديم الذي يغلب عليه طابع الآداتية،حيث نجده قد هيمن على العالم، فالعقل الآداتي حسب هابرماس هو ذاته يشكّل إيديولوجيا . [66]

لقد وجه هابرماس نقدا لاذعا للفلاسفة الذين مجدوا العقل الآداتي الذي هيمن على حياة البشر وقضى على إنسانية العلاقات البشرية (الحب، الشفقة، العواطف،الانفعالات...)، وجردها من طبيعتها ليضفي عليها زيفا و قناعا و لا مشروعية، الأمر الذي جعل الإنسان يفقد الثقة في الآخر.

كذلك من سلبيات العقلانية الأداتية أ ا تمارس الحساب والإحصاء و تم بالماديات المتاحة قصد بلوغ الأهداف وتحقيق المصالح الضيقة، أما العقلانية التواصلية فهي عقلانية جديدة لغتها الحوار والتفاهم والتقرب من الآخر عكس العقلانية الأولى التي لا تحترم الجوانب الإنسانية لأ ا تؤكد على جمع الأموال والفوز بالسلطة ومن ثمة ينعتها هابرماس بالانغلاق والدوغماتيزم.

في ظل هذه النظرة الجديدة إلى العلاقات الإنسانية،نجد أن هابرماس يدعو إلى إنشاء معايير وأخلاقيات جديدة ذات بناء عقلاني محض، يكون بعيدا عن الهيمنة و إرادة تدمير الآخر.

---

[65] - زكي الميلاد،" من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات " ، مصدر سابق ، ص . 63 .

[66] - فريدة غيوةحيرش ، تأملات في القضايا الإنسانية المعاصرة و الراهنة،

(قسنطينة : منشورات جامعة منتوري ، 2003 ، 2004)، ص . 165 .

إن العقل التواصلي هو بمثابة الخروج من سلطة المركزية الذاتية، بمعنى أنه ينبذ التقوقع على الذات فهو يمثل فعل التجاوز للتقوقع و التمركز الذي تميزت ما الذات الغربية عبر التاريخ وهذه العملية تمثل ذيبا " للأنا الغربي " من أجل الإقبال على فعل التفتح و الحوار مع الآخر.

وهذا يدل على أن هابرماس يناهض الأنانية الذاتية و العنصرية و هي مفاهيم تزخر ا الفلسفات الذاتية، من ثم نجده يدعو إلى إبداع قيم جديدة معاصرة تتماشى مع متطلبات العصر، وليس مع متطلبات الغريزة و حب الهيمنة فهي قيم إنسانية قاعد ا الاتصال و تقبل الآخر و هدفها التطور و التحضر[67].

و عليه فإن فاعلية التواصل في رؤية "هابرماس" تعني تجاوز ما يصطلح عليه بفلسفة الذات والوصول إلى الآخر [68].

هذا وقد حاول الميلاد أن يضفي صفة الاعتبار العلمي لمفهوم التعارف من خلال مفهوم التواصل، هذا المفهوم السهل والبسيط الذي حوله هابرماس إلى فلسفة شديدة الأهمية من خلال تأسيسات جوهرية أعطت هذا المفهوم قيمة معرفية و وطدت صلته بالفكر الفلسفي، الحقل الذي يضفي أو يضاعف صفة الاعتبار العلمي والأخلاقي للمفاهيم .

وهذا في نظر الميلاد يؤكد على إمكانية أن يكون لبعض المفاهيم قيمة معرفية مهمة، لكنها بحاجة لاكتشاف وتأسيس واتصال بأحد الحقول المعرفية، كما يؤكد أيضا على عدم الجمود على بعض المقولات والاقتصار عليها و التوقف عندها بصورة ائية، فالفكر الإنساني مزود بطاقات هائلة لا نستطيع أن نحدد مداها و سعتها و فاعليتها.

و من المفاهيم الفعالة أو التي بالإمكان أن تتحول إلى مفهوم فعال مفهوم التعارف الذي يلتقي مع مفهوم التواصل في نسق معرفي مشترك، فكلاهما يتضمن بناء الجسور و الوصول إلى الآخر و تجاوز الذات أو فلسفة الذات حسب تعبير هابرماس[69].

من جهة أخرى فإن التعارف يتضمن التواصل،فليس هناك تعارف بدون تواصل،ولكنه يتجاوزه بمعنى أن التعارف أوسع وأشمل منه،أما التواصل فقد يكون بتعارف أوبدون تعارف[70].

---

[67] - المرجع السابق ، ص – ص. 166 – 167 .

[68] - زكي الميلاد ،" من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات " ، مصدر سابق ، ص . 64 .

[69] - زكي الميلاد ، نحن و العالم ، مصدر سابق ، ص . 40 .

[70] - المصدر نفسه، ص . 41 .

الفارق بين المفهومين أن التواصل عند هابرماس يرتبط بحقل المعرفة أو هكذا حاول ربطه فتحددت علاقته بالعقل، أما التعارف فيرتبط بحقل الاجتماع فتحددت علاقته با تمع والجماعة و الناس [71].

3– ب – مناقشة لعلاقة التعارف بالتواصل:

أبدى محمد كمال الدين إمام* نوعا من القلق العلمي إزاء العلاقة بين فكرة تعارف الحضارات و فكرة التواصل عند هابرماس بقوله:"وسرعان ما يحتوينا قلق علمي عندما يحاول زكى الميلاد أن يوجد نسبا أوفي القليل تجاوراً بين مفهوم التعارف- الإسلامي المدرك والصياغة والمضمون - وبين مفهوم التواصل عند المفكر الألماني المعاصر "يورغن هابرماس" خاصة في كتابه "القول الفلسفي للحداثة " [72].

وقد فسر الميلاد بأن منشأ هذا القلق العلمي له علاقة اجس الهوية،والشعور بالتمايز الفكري، والخشية من الاختراق الثقافي، والحذر من الإصابة بالتغرب والتغريب أو لا أقل ضرورة الاحتفاظ بمسافة أو مسافات تفصل وتباعد بيننا وبين الغرب الاستعماري والإمبريالي، المخادع والمتحامل الفاتن والساحر، إلى غير ذلك منصور وأوصاف ظهر عليها الغرب في تاريخ علاقاته بالأمم وا تمعات الأخرى غير الأوروبية.

لهذا حدد الميلاد الغاية من النسب أو التجاور بين فكرتي التعارف و التواصل في النقاط الآتية :

أولاً:إن تعارف الحضارات هو مفهوم جديد،والكشف عن أي مفهوم جديد يستدعي من الناحيتين المنهجية والمعرفية،اختبار هذا المفهوم من مختلف جهاته التي يتصل ا، حتى تكتشف أبعاد هذا المفهوم وعناصره، وتتضح هويته وماهيته، وتتبلور حدوده وعلائقه و ذه الطريقة تتحدد صورة المفهوم،ويصك ويستوي على سوقه. فالتواصل مهما قلنا عنه من تفسيرات وتأويلات،هو مفهوم ناظر إلى الآخر، وهكذا الحال مع مفهوم التعارف.

---

[71] - زكي الميلاد ،" من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات " ، مصدر سابق ، ص 323 .

*محمد كمال الدين إمام باحث أكاديمي وفقيه أصولي مصري ،من مواليد 1946،أستاذ ورئيس قسم الشريعة في كلية الحقوق بجامعة الإسكندرية.

[72] - محمد كمال الدين إمام ، " مصطلح تعارف الحضارات رؤية إسلامية – حوار زكي الميلاد "

(الإسكندرية : مؤتمر تعارف الحضارات ، ماي 2011) ، ص 6 .

ثانياً:إن هذه المقاربة مع مفهوم التواصل تنطلق أساساً من خلفية انتساب هذا المفهوم إلى حقل المعرفة الإنسانية وليس بوصفه مفهوماً غربياً متطبعاً بالثقافة الغربية ومتسلحاً بالأيديولوجيا الأوروبية. والمفترض أن لا خشية كثيراً من المفهوم الذي ينتسب إلى الحقل المعرفي وإلى المعرفة بصورة عامة من جهة المس بالهوية أواختراق الثقافة أو الإصابة بالتغرب أو غير ذلك من هواجس ومخاوف.

ثالثاً:كما أرد الميلاد من هذه المقاربة أيضاً القول إن التواصل هي فكرة سهلة وبسيطة مع ذلك تحولت إلى نظرية عرف واشتهر ا هابرماس في ا ال الأوروبي والإنساني عموماً وجرت حولها نقاشات فكرية وفلسفية لم تنقطع إلى اليوم. وهذا يعني أن بإمكان فكرة تعارف الحضارات أن تتحول إلى نظرية لا تقل أهمية وقيمة في المحتوى الفكري والأخلاقي والإنساني من نظرية التواصل خاصة وأن فكرة التعارف تستند على أصل متين يرجع إلى القرآن الكريم والذي هو أصل الأصول عند المسلمين كافة الاستناد الذي يضاعف من قيمة هذه الفكرة ويرفع من م لتها ويكسبها قدرة على البقاء والديمومة. لهذا كان في تصور الميلاد أن هذه الفكرة حتى تنتقل وتتحول إلى نظرية هي بحاجة إلى إنماء معرفي متجدد ومتراكم وإلى مزيد من النقاش العلمي و إلى حالة من الاحتضان والتضامن الفكري والأخلاقي.

رابعاً:إلى جانب تلك الخلفيات والأبعاد وجد الميلاد أن بإمكان هذه المقاربة تقريب الكتاب والباحثين والمثقفين عموماً من فكرة تعارف الحضارات بوصفها فكرة جديدة بحاجة إلى نوع من العناية والالتفات وإلى تكثيف النقاش حولها، ودفعها نحو ا ال التداولي.وكان في ظنه إن هذه المقاربة بإمكا ا أن تمثل إغراء معرفياً ينجذب إليه هؤلاء الكتاب والمثقفون الذين تستحوذ على اهتمامات هم عادة مثل هذه المقاربات التي لا تخلو من إثارة وطرافة وما تتسم به من جدل ونقاش وما تظهر فيها من فروقات ومفارقات.هذا ما كان يقصد الميلاد فعلاً من هذه المقاربة بين فكرة تعارف الحضارات وفكرة التواصل عند هابرماس. [73]

3 – ج – التعارف و تحديات الإنماء المعرفي: أما عن جملة الصعوبات التي واجهت الميلاد في محاولته للتقريب بين فكرتي التعارف والتواصل نجد:

---

[73] - زكي الميلاد ،تعارف الحضارات و فكرة التواصل عند هابرماس، موقع زكي الميلاد
http://www.almilad.org/page/sira.php
تم تصفح الموقع يوم:2012/04/10

- إن المفاهيم والنظريات التي تأتي من العالم العربي تواجه تحديات صعبة في انتزاع الاعتبار العلمي ليس من الغرب فحسب، و إنما من داخل العالم العربي أيضا، لاسيما و أن العقل الذي يبحث في علم الحضارة و تاريخ الحضارات لم يشهد ازدهارا و تقدما في الدراسات والجامعات العربية وليس معروفا عن الكتابات العربية تميزها في هذا الحقل، فهي أقرب إلى محاكاة الكتابات الغربية، والتزود بالمعرفة منها، و إتباع منهجيا ا و محاولة تقليدها أو الاعتماد عليها.

- يضاف إلى ذلك الصعوبة المتعلقة بالإنماء المعرفي لهذه المفاهيم والنظريات ذات المنشأ العربي، وإمكانية دمجها في التراكمات المعرفية وإحاطتها بالخبرات والتجارب والحفريات الأثرية والتاريخية والحضارية، هذا من جهة، و من جهة أخرى مستويات الاهتمام بتناولها بالدراسة والتحليل والفحص والنقد، لغرض إنمائها وتطويرها و إنضاجها.

-و من جهة ثالثة المشاركة بتعميمها و إلفات النظر إليها و الدفاع عنها، و هذا ما يفسر عدم قدرة العالم العربي على ابتكار الأفكار والنظريات وإدماجها في المعارف الإنسانية و فتح النقاش حولها على نطاق عالمي واسع، كما يفسر أيضا غياب التضامن والإحساس بالمشاركة بين الباحثين والكتاب في العالم العربي.[74]

وحسب الميلاد أنه إذا تأملنا في اصطلاح "التعارف"بطريقة معرفية فإنه بالإمكان أن نكتشف قيمته الدلالية التي منها:

1 – الخروج من الإشكالية الثنائية التي كرست الطابع الجدلي والاحتجاجي بين مقولتي حوار الحضارات وصدام الحضارات .

2 – تجاوز إشكالية الجمود والتوقف أو الاقتصار على تلك المقولتين فحسب إلى نوع من التجدد والكشف من خلال مقولة جديدة مختلفة.

3 – إن مفهوم تعارف الحضارات هو أوسع و أشمل وأعمق من مفهوم حوار الحضارات و هو ينطلق من أرضية تكوين المعرفة والتأسيس عليها، فالتعارف هو الذي يحدد شكل العلاقات وحدودها و مستويا ا وآفاق تطورها.

4 – إن المشكلة بين الحضارات ليس في عدم الحوار فيما بينها، وإنما في عدم التعارف والانقطاع عن تكوين هذه المعرفة،و سيادة الجهل أو الفهم المنقوص أو النمطية والسطحية في

[74] - زكي الميلاد ، " من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات " ، مصدر سابق ، ص . 324 .

المعرفة لذلك، فإن كل حضارة غالبا ما تصور مشكلا ا مع الحضارات الأخرى على أساس عدم المعرفة الصحيحة ا [75].

المبحث الثالث:نظرية تعارف الحضارات .

1 – المميزات و المرتكزات:

1 – أ –مميزات نظرية تعارف الحضارات.

بعد تأمل مستفيض توصل الميلاد لمفهوم تعارف الحضارات، و الذي أصبح معروفا على نطاق واسع، حيث طُرح في ا ال التداولي بوصفه نظرية ثالثة في مقابل نظرتي الصدام والحوار، لكن السؤال الذي يطرح نفسه: ما الذي يميز هذه النظرية عن غيرها ؟

يجيب المفكر الإسلامي زكي الميلاد بأن هذه النظريات أو المقولات الثلاث (صدام الحضارات وحوار الحضارات وتعارف الحضارات)، إنما تتعدد وتختلف بحسب اختلاف أنساقها المعرفية وتعددها، فكل واحدة منها لها طبيعتها النسقية المتميزة ا، و المكونة لعناصرها ومكونا ا الذاتية و ملامحها الكلية.

فصدام الحضارات: هي نظرية تفسيرية أو هكذا أراد أن يصورها هنتغتون لكي يدافع عنها و يقنع ا، ويقطع على الآخرين شكوكهم و هواجسهم واحتجاجا م، فقد أراد أن يقدم نظرية كلية يربط من خلالها،و يفسر بواسطتها الأحداث والوقائع وال اعات المتناثرة و المفككة والمتفرقة بين جغرافيات العالم، والتي لها طبيعة ال اعات والصدامات والحروب المشتعلة والمتفجرة منذ زمن طويل، وترجع لأسباب وخلفيات دينية و عقائدية وثقافية.

لذلك فإن هذه النظرية تنتمي إلى ا ال السياسي وتتحدد به،وأن هنتغتون تعامل مع الثقافة أو الحضارة من خلال معايير وتقنيات و منهجيات علم السياسة.

أما حوار الحضارات فهو نظرية أراد منها غارودي أن تكون خطابا نقديا وعلاجيا لأزمة الغرب الحضارية و لأنماط علاقاته بالعالم والحضارات غير الأوروبية، كما أراد منها أيضا أن تكون خطابا موجها إلى الغرب بصورة أساسية ، لذلك فهي تنتمي إلى النظريات الغربية التي تنطلق من نقد التجربة الغربية و الفكر الغربي وتصنف فيها. و من حيث نسقها المعرفي فهي تنتمي إلى ا ال الثقافي و تتحدد به لأ ا تركز على الأبعاد الثقافية و الفكرية و الأخلاقية.

---

[75] - زكي الميلاد، نحن و العالم، مصدر سابق ، ص . 42 .

وأما حوار الحضارات في رؤية السيد محمد خاتمي فقد جاءت استجابة لبعض المعطيات والضرورات السياسية في الدرجة الأولى، و من أجل أن تكون خطابا نقديا بديلا لخطاب صدام الحضارات، و قد ظلت تتحدد في هذا النطاق ولم تتحول إلى نظرية واضحة و متماسكة[76].

فإذا اعتبرنا صدام الحضارات بوصفها نظرية تفسيرية، و حوار الحضارات بوصفها نظرية نقدية أو علاجية فإن تعارف الحضارات هي نظرية تأسيسية (إنشائية)، بمعنى أن القاعدة فيها هي التأسيس وليس الإخبار.

فقد جاءت لإنشاء شكل العلاقات المفترض بين الناس كافة حينما انقسموا إلى شعوب و قبائل كما نصت الآية الكريمة التي أطلق عليها آية التعارف في سورة الحجرات:"يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم " (الآية 13) . [77]

و هي نظرية مستنبطة من القرآن الكريم، و هو الكتاب الذي بإمكانه تحديد العناوين أو المفاهيم الكلية والجامعة وصياغتها، إذا جاءت في سياق يقتضي هذا الشأن – كما هو الحال في آية التعارف – علما بأن جملة (شعوبا و قبائل) لم ترد في القرآن الكريم إلا في هذه الآية، لهذا فإن تعارف الحضارات فيها من المقومات والركائز والشرائط ما يدفعنا لأن نطلق عليه مصطلح " النظرية".

وقد أجاب الميلاد عن السؤال: هل أراد أن يجعل من هذه النظرية مرحلة وسيطة وانتقالية للوصول إلى حوار بين الحضارات ليتجنب- من ثم- الصدام بينها ؟ بأن نظرية تعارف الحضارات هي أكثر من كو ا مرحلة وسيطة أو انتقالية، فهي وسيطة بمعنى أن على أساسها تتحدد مستويات العلاقات ودرجا ا و اتجاها ا ونظام التواصلات بين الناس و بين ا موعات البشرية، و بين الحضارات، و هكذا أنماط هذه العلاقات و التواصلات وأشكالها و صورها .

فالتعارف هو الذي يؤسس لأشكال الحوار ومستوياته ودرجاته، و إلى أشكال ومستويات و درجات أخرى من العلاقات و التواصلات أيضا، كالتعاون والتحالف والتبادل والإنماء و الاندماج و التكامل، إلى غير ذلك من صور العلاقات و أشكالها و أنماطها.

---

[76] - حسن آل حمادة ،مصدر سابق ص- ص 209-211

[77] - زكي الميلاد ، " تعارف الحضارات .... فكرة و تطورا و مصيرا" ، مصدر سابق ، ص . 30 .

و بقدر ما يتطور التعارف تتطور تلك الصور والأنماط من العلاقات والتواصلات، وهذا يعني أن التعارف يسبق الحوار ويؤسس له أرضياته ومناخاته، ويشكل له بواعثه وحوافزه،ويطور له صوره وأنماطه ويرتقي بدرجاته و مستوياته ،لهذا فإن التعارف هو القاعدة وليس الحوار.[78]

1 - 1 – ب - مرتكزات نظرية تعارف الحضارات .

لقد طرح زكي الميلاد مفهوم تعارف الحضارات كما أشرنا من قبل في مقابل مفهومي حوار الحضارات وصدام الحضارات، و لكونه قد استوحى هذا المفهوم من القرآن الكريم في قوله تعالى:" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناهم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير " (الحجرات 13)، فإنه حدد مرتكزات هذه النظرية بالاستناد على هذه الآية الكريمة .

ولمعرفة مضامين هذه الآية وعلاقتها بمفهوم التعارف وأبعادها في ا ال الحضاري، سوف نحاول مع زكي الميلاد دراستها بطريقتين: تحليلية و تركيبية.

1 – أ – الطريقة التحليلية: و تتحدد في دراسة الآية في عناصرها ومكونا ا الجزئية على النحو التالي:

1-" **يا أيها الناس**": الخطاب في سورة الحجرات وهي مدنية كان موجها للمؤمنين حيث افتتحت بقوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا " و اختتمت بقوله تعالى: " إنما المؤمنون الذين آمنوا ... "، و ما تغير خطاب السورة إلا في هذه الآية مع قوله تعالى: "يا أيها الناس "، و هذا التغير هو انتقال في الخطاب من الخاص " يا أيها الذين آمنوا .... " إلى العام " يا أيها الناس ... " [79] و قد جاءت الآية بصيغة النداء، وهذا النداء موجه إلى كافة الناس، و هو المصطلح الذي استخدمه القرآن الكريم في التعبير عن اسم الجنس الإنساني، و هو مصطلح في غاية الدقة، لكونه لا يقبل التجزئة والثنائية والتقابل كما هو حال التسميات الأخرى القريبة منه، مثل الأمة و الشعب وا تمع والجماهير وغيرها ، فالأمة مثلا تسمية تطلق على جماعة من الناس، و هي تسمية تقبل الجمع فيقال أمة، ويقال أمم، وكذلك تسمية الشعب التي تطلق على جماعة من الناس،و جمعها شعوب، وكذلك تسمية ا تمع، أما تسمية الجماهير فيقابلها النخبة، لكن عندما

---

[78]- حوار حسن آل حمادة ، مصدر سابق ، ص 212 .

[79] - زكي الميلاد ، المسألة الحضارية ، مصدر سابق ، ص . 93 .

يقال كلمة **الناس** فإ ا يراد منها العموم، أي الناس كافة، و هي لا تقبل التجزئة إلا إذا أدخلنا عليه الإضافة كأن نقول جماعة من الناس، و هذا الاستعمال هو من بلاغة القرآن الكريم، الذي نزل لمخاطبة الناس كافة في كل زمان و مكان، لأنه الكتاب الذي فيه هدى ورحمة للعالمين .

2- " **إنا خلقناكم من ذكر و أنثى**":يتمثل محور النقاش في هذا الجزء من الآية حول رأيين: الأول خاص و يتصل بنفي التفاخر بالأنساب لأن المراد من الذكر والأنثى، أي من أب واحد هو آدم و أم واحدة هي حواء .

الثاني عام و يتعلق بسياق نفي مطلق التفاخر والتفاضل الطبقي و العرقي،اللغوي و القومي وغيره.

و المعنى: يا أيها الناس إنا خلقناكم من رجل و امرأة فكل واحد منكم إنسان مولود من إنسانين لا تفترقون من هذه الجهة،والاختلاف الحاصل بين الشعوب والقبائل، هو اختلاف راجع إلى الجعل الإلهي، ليس لكرامة و فضيلة و إنما لأن تتعارفوا فيتم بذلك اجتماعكم.

3-"**و جعلناكم شعوبا و قبائل** ":الشعوب وهي جمع الشعب، أي الجماعة الكبيرة من الناس الذي يصدق عليهم ما هو متعارف عليه اليوم في تقسيم الأمم و ا تمعات إلى شعوب، و قبائل جمع قبيلة و هي أصغر من الشعب.

4- " **لتعارفوا**":إن الشعوب والقبائل مهما تعددت و تشعبت على امتداد مساحة الأرض المترامية الأطراف، إلا أ ا مطالبة بالتعارف فيما بينها، كمبدأ في العلاقات المحلية و الدولية الداخلية والخارجية، كما أن هذا المبدأ يفيد نفي ال اع و الصراع، و كل السيطرة و الهيمنة بين الشعوب و القبائل [80].

5- " **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ": إن القرآن الكريم لا ينفي مبدأ التفاضل بين الناس، و بين الشعوب و القبائل، و إنما ينفي القيم التي كان الناس آنذاك يتفاضلون على أساسها، كقيم القوم و القبيلة و العشيرة و العرق و هذه الآية جاءت نقدا و نفيا لمثل هذه القيم و تدعو الناس إلى التفاضل بالتقوى .

6- " **إن الله عليم خبير**":يفرق العلماء بين لفظي الخبير والعليم، فالخبير يفيد معنى العليم، ولكن العلم إذا كان للخفايا الباطنة سمي خبرة، وسمي صاحبه خبيرا، فالله سبحانه و تعالى

---

80 - المصدر السابق ، ص – ص ، 94 - 95 .

حينما خلق الناس من ذكر و أنثى، و ما خلق لهم في هذه الحياة و خبير حينما جعلهم شعوبا وقبائل و في كل ما قدر لهم .

1 – ب – الطريقة التركيبية:أوردها الميلاد على شكل مستخلصات عامة، لمعرفة عناصر الآية ومكونات مفهوم تعارف الحضارات، و من هذه المستخلصات:

- إن القرآن الكريم خطاب إلى الناس كافة من دون أن يتحيز إلى أمة بعينها و من دون أن يفاضل أمة على أخرى بسبب القوم أو العرق أو اللغة أو اللسان، و هو خطاب صالح لكل زمان و مكان.

- التأكيد على وحدة الأصل الإنساني، فالإنسانية بكل تنوعا ا العرقية والقومية واللغوية واللسانية، الدينية والمذهبية، و بكل تصنيفا ا الأخرى الاجتماعية والعلمية والاقتصادية، إنما ترجع إلى أصل واحد، والقرآن الكريم لا يريد أن يقدم هذا اكتشافا، و إنما يريد أن تدرك الإنسانية هذه الحقيقة وتحكمها كمبدأ في نظرة كل إنسان إلى إنسان آخر، و نظرة كل أمة إلى أمة أخرى .

- إن القرآن الكريم يدعو الناس لأن ينظروا لأنفسهم بوصفهم أسرة إنسانية واحدة على هذه الأرض مهما اختلفوا في اللون واللسان و مهما تباعدوا في المكان و أن يكون هذا سعيهم ومنطقهم في الحياة الدنيا، ولا يصح النظر إلى هذا المنطق القرآني على أنه مثالية، بل هو من عليم خبير، يدرك بواطن الأمور.

- ضرورة أن يتعامل الناس فيما بينهم على أساس مفهوم الأسرة الإنسانية المشتركة أو واحدة، و هو تعامل يعبر عن أعمق المكونات الروحية والأخلاقية في الروابط بين الأمم والشعوب والحضارات،لإزالة الأحقاد والعصبيات والعنصريات و الكراهيات بين الناس المتسببة في إثارة ال اعات والصراعات. [81]

- إن التنوع والتعدد في الاجتماع الإنساني حقيقة موضوعية يؤكدها القرآن الكريم، لينتشر الناس في الأرض ويعمروها ويستفيدوا من خيرا ا.

---

[81] - المصدر السابق ، ص –ص .96. 97

- ربط القرآن الكريم بين وحدة الأصل الإنساني وبين التنوع الإنساني مما يعني أن وحدة الأصل الإنساني لا تعني إلغاء التنوع بين الناس في أن يعيشوا شعوبا و قبائل (ومن بلاغة القرآن الكريم تقديم وحدة الأصل على قاعدة التنوع لكي يكون التنوع متفرعا عن الأصل) .

- استخدم القرآن الكريم كلمة "الخلق" وكلمة "الجعل" في هذه الآية فما الفرق بين الخلق والجعل ؟ الخلق يعني الإيجاد ابتداء من العدم من غير صورة سابقة أو نسخ أو مثال و هذا لا يجري إلا في حق الله جلت قدرته، و الإنسان لا يعد خالق على الإطلاق في كل ما اكتشف واخترع، و ما حققه من تقدم وإنجاز ولا يصدق عليه وصف الخلق، فالإنسان مجرد مكتشف لقوانين الطبيعة التي أودعها الله في عالم الطبيعة، و الكون والحياة والإنسان، أما الجعل فهو التقدير الذي يأتي بعد الخلق ويتصل بتحديد الوظائف والخصوصيات وما يترتب عليه الاقتضاء.

فالله سبحانه و تعالى خلق الذكر و الأنثى لأنه العليم، و جعل الناس شعوبا و قبائل أي قدر لهم ذلك لأنه الخبير، و لهذا فإن البشر لا يمكن أن يعيشوا إلا شعوبا و قبائل .

- يؤسس القرآن مبدأ التعارف بين الأمم والشعوب والحضارات، لحكمة إن التنوع بين الناس إلى شعوب وقبائل لا يعني أن يتفرقوا أو أن تعيش كل أمة في عزلة عن الأمم الأخرى، أو أن يتصادموا من أجل الثروة و القوة والسيادة و إنما ليتعارفوا .

- من دون أن يكون هناك تعارف بين الأمم والحضارات، لن يكون هناك حوار ولا تعاون، كما أن التعارف له دور وقائي في منع الـ اع و الصدام بين الحضارات.[82]

- ما يؤكد حيوية وفاعلية مفهوم التعارف، أنه يحمل معه جملة من المفاهيم المتصلة و المتفاعلة والمتكاملة معه،كالانفتاح والتواصل والسلام ومد الجسور ورفض الانغلاق والقطيعة و الكراهية و التي هي شرائط التعارف من جهة تحققه.

- يتجاوز مفهوم التعارف الحدود السطحية المتعارف عليها ويقصد به التعارف على مستوى الأمم وا تمعات والحضارات والذي من أبعاده أن تتعارف كل أمة وكل حضارة على إمكانات وقدرات وثروات الأمم الأخرى، بالإضافة إلى معرفة الظروف والمشاكل والتحديات التي تحيط ـذه الأمم والحضارات، و معرفة كل ما يتوقف ويترتب عليه التعارف في هذا النطاق.

[82]- المصدر السابق ، ص – ص . 97 – 98 .

- لا يلغي القرآن الكريم مبدأ التفاضل بين الناس و بين الشعوب و القبائل لأن التفاضل إنما يعبر عن واقع موضوعي لا يتعارض مع مبدأ العدل والمساواة، و الذي حاول القرآن تغييره هو نوعية قيم التفاضل لربط الأمم و الحضارات بالقيم العليا و السامية، و محور هذه القيم هو التقوى .
- إذا التزمت الأمم والشعوب بمبدأ التقوى، ترفعت عن الأحقاد والعصبيات و تعالت على عالم مصالح الدنيا.
- كما الإنسان الفرد له كرامة فالأمة لها كرامة، لأن الكرامة هي التعبير الحقيقي لوجدان كل أمة و هي التي تشكل للأمم نظر ا إلى ذا ا، و إلى مكانتها و سياد ا و عز ا و أكثر ما تصاب به الأمم حينما تتأثر كرامتها حتى قيل أن ألمانيا دخلت الحرب العالمية الثانية انتقاما من الإذلال الذي فرضه عليها دول الحلفاء بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى .
- في المنظور الإسلامي العلاقات بين الأمم والشعوب والحضارات لا تنحصر في المصالح السياسية، والمنافع الاقتصادية و إنما ترتكز على القيم و الآداب و الأخلاق " التقوى "[83].
- إن العالم لن يستطيع أن يعالج أزماته و مشاكله عن طريق السيادة أو الاقتصاد و فقط أو العلم فحسب، لأن أشد ما يفتقده العالم المعاصر ويتضرر كثيرا بافتقاده هو انعدام العامل الروحي الوجداني والأخلاقي، من هنا تتأكد مدى الحاجة إلى منظومة القيم و الأخلاق.
- إن التقوى باعتبارها الإطار الجامع للقيم والآداب والأخلاق بإمكا ا أن تزيل العصبيات بكل أشكالها العرقية والقومية والطبقية، وهذه العصبيات هي من أشد العوائق تأثيرا و سببا في انقسام الأمم و الشعوب و تصادمها، هذا من جهة السلب، أما من جهة الإيجاب فإن التقوى بإمكا ا أيضا أن ترسخ التعارف وتحافظ على بقائه و استمراريته .
- من الحكمة أن يرتضي الناس وترتضي الأمم والحضارات ما يختاره الله سبحانه و تعالى لهم من سنن وقوانين و آداب و قيم و أخلاق في سعيهم لعمارة الأرض وبناء الحضارة، لأن الله هو العليم الخبير.

هذه بعض المستخلصات العامة من هذه الآية الكريمة التي قدمها الميلاد، التي تكون لنا بمجموعها إطارا نستند عليه في تأسيس مفهوم تعارف الحضارات، وكيف أن هذه الحقائق

83 - المصدر السابق ، ص . 99 – 100 .

والمرتكزات على درجة من الأهمية والحيوية ،بحيث تعطي لمفهوم " تعارف الحضارات" إمكانية التشكل والبناء المتماسك .

2 – بواعث و أهداف تعارف الحضارات:

2 – 1 – بواعث تعارف الحضارات:

تنبع هذه البواعث من طبيعة الرسالة الإسلامية في العالم، فالتعارف الحضاري يوفر الإطار الملائم لأداء واجبات شرعية، وإبراء الذمة،و تقديم العلاج، كما يساعد على تجسيد صفة عالمية الثقافة والحضارة الإسلامية، و تتمثل أهم هذه البواعث في:

1- باعث الدعوة و الهداية، فإن كل خطابات البلاغ التي وجهها الله تعالى لرسوله (صلى الله عليه وسلم) انتقلت مقتضيا ا إلى أمته من بعده ولهذا لزم علينا أن نتجه إلى الآخرين نحاورهم ونجادلهم وندخل عقولهم و نتفهم بعض ما فيها ونصحح بعضا منها، و دي لهم بعضا من قيمنا و مبادئنا و معانينا الرسالية، و لولا هذا البعد في الرسالة الإسلامية لما كان هناك شيء اسمه الحضارة الإسلامية [84].

لأن الاعتراف بالآخر والإقرار له بخصوصية لم يعد مبدئيا شأنا دينيا أو عقيديا فحسب، و لا نظرية منتزعة عن الحياة العملية للإنسان بل حاجة ماسة في ظل الحضور الكثيف والفاعل للرأي والرأي الآخر وفي لحظة زمنية واحدة على مسرح الحياة اليومية في عالم باتت تحكمه نظرية العولمة الشهيرة [85].

2 – باعث الشهادة على الناس، فقد أناط الله تعالى ذه الأمة مسؤولية الشهادة على الناس في قوله تعالى: "و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا " (البقرة 143)، من البديهي أن الأمة لا ترقى لمستوى هذا التكليف إلا بعد أداء واجب البلاغ، فإ ا لا تحقق هذا و لا تستوعب مقتضيات ذاك إلا إذا انطلقت من مستوى تعارف الحضارات.

---

[84] - محمد مراح،" نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات"، ندوة:تعارف الحضارات، إعداد: زكي الميلاد، (دمشق: دار الفكر 2006) ، ص – ص . 90 – 92 .

[85] - غريغوار منصور مرشو، سيد محمد صادق الحسيني، نحن و الآخر، (دمشق : دار الفكر ، 2001) ، ص 99 .

3 – الانفتاح على العالمية، فالانغلاق والعزلة مجافيان لطبيعة الإسلام الحركية الاتصالية المتطلعة للقاء والتعارف،كما أن التقدير السليم للأمور والأفكار يتطلب أكبر قدر من الانفتاح على العالمية [86].

فالإسلام دين متفتح لا يرفض ثقافة معينة لمجرد كونها أجنبية،و إنما ينظر فيها ويفحصها بعناية ويأخذ ما يفيده في مسيرته الحضارية، ويؤكد ذلك قول النبي (صلى الله عليه وسلم):"الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها " [87].

4 –باعث تقديم العلاج لأزمات العالم الروحية والعلمية والأخلاقية والفكرية، فالاتجاه الفكري السليم القائل بأن الإسلام هو المنقذ للواقع الحضاري اليوم في تصاعد مستمر[88].

وهذا ما يؤكده الميلاد من أن " العالم ينتابه شعور عميق بضرورة الإصلاح والتغيير في البنية العالمية، فقد تعالت الأصوات التي تطالب بالإصلاح وكأننا أمام صحوة عالمية متنامية في دول الشمال والجنوب، ... لأن الناس أصبحوا أكثر وعيا وإطلاعا على أوضاع العالم وأحداثه بما وفرته لهم تكنولوجيا الاتصالات العالمية، و قد كشفت هذه الظاهرة على أن العالم أخذ يقف على أزماته الحضارية التي تضيق بالمجتمع الإنساني وتدمر الإنسان والبيئة، والتفكير في مخرج لهذه الأزمات الحضارية لابد أن يكون نابعا من رؤية حضارية إنسانية عالمية،وهذه المرة وفي هذا الظرف لابد أن يكون الإسلام شريكا في هذا التفكير الحضاري لأزمات العالم الكبرى، وهذا الرأي بدأ يقنع جهات عديدة، وهناك ما يحفز قبوله وهو آخذ في التشكل عالميا، و يشار إليه في التقارير العالمية، فالإسلام اليوم يفرض نفسه كأحد الخيارات الحضارية الكبرى في هذا العالم في مواجهة الأزمات الحضارية [89].

2 – 2 – أهداف تعارف الحضارات:

ضبطا لمسار التعارف نرصد أهم الأهداف والغايات التي يسعى لتحقيقها وفق الرؤية الإسلامية:

86 - محمد مراح ، مرجع سابق ، ص ص 91 – 92 .

87 - محمود حمدي زقزوق، الإسلام في عصر العولمة ، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط2 ، 2002) ، ص . 17 .

88 - محمد مراح ، نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات ، مصدر سابق ، ص . 92 .

89 - زكي الميلاد و تركي علي الربيعو ، الإسلام و الغرب الحاضر و المستقبل ، مصدر سابق ، ص – ص ، 63– 65 .

1– **التقارب والتسامح**: فالتعارف الإيجابي هو الذي يبذل فيه كل طرف أقصى جهوده للتعرف على ما يقربه من الطرف أو الأطراف الأخرى التي تشاركه التطلع نفسه، فيبحث القائمون بالتعارف والتحاور في ثقافا م و حضارا م عما يقرب بينهم نحو كل ما هو إنساني معبر عن جوهر الإنسان و فطرته لتحقيق الوفاق بين الحضارات .

2 – **التعايش السلمي**:و يتطلب تعميقا بالغا بفلسفة السلام و أفكاره، و تفكيرا جادا للخروج بالمسألة من حسابات و مصالح السياسيين و العسكريين و أصحاب المنفعة من صناعة التسلح، إلى ساحات التوعية العامة و اصطناع جماعات الضغط من دعاة السلام العالمي العادل في كل حضارة، بل في كل مجتمع، فتسود ا تمع الدولي ثقافة حضارية تمنح فكرة السلام صور ا الحقيقية بأن تضمن وضعها في ذمة المبادئ لا المصالح .

3 – **فك عقدة الهيمنة وتجاوز عقيدة الصراع**: لأن الحضارة الغربية الحديثة بنيت على الصراع والهيمنة فأهلكت الحياة، وما يزال الصراع هو المحرك الأساس لسياسة الغرب و أفضل نموذج له السياسة الأمريكية القائمة على ضرورة خلق العدو الذي يسمح للفرد بنعمة الحرية الشخصية، ولتجاوز هذا الأمر يتطلب لقاءات ومحاورات مستمرة بين النخب المفكرة لشتى الحضارات وا تمعات المعاصرة تراجع فيها الكثير من المفاهيم التي أصبحت من المسلمات في المنظومة الفكرية الغربية والتخلي عن نزعة الاستئثار بتحديد المفاهيم كالديمقراطية، وحقوق الإنسان والحرية و التطور والتنمية وغيرها.

4 – **معرفة الآخر على حقيقته وتصحيح الصورة المسبقة عنه:** فكثيرا ما رسمت الحضارات صورا نمطية لغيرها من الحضارات، فلا تنظر إليها إلا من خلال تلك الصورة وتخضع حسابات التعامل معها لمقتضاها [90].

وكثيرا ما تكون تلك الصورة مغلوطة لعدة أسباب،ولكن من شأن الدفع بمشروع تعارف الحضارات أن يؤدي خدمة جليلة للإنسانية فيتعرف كلّ على صورة الآخر كما هي، وهذا التوجه تعليم رباني كريم لنا نحن المسلمين إذ نحب أن يتعرف علينا الناس و نتعرف على الناس وهذا الأمر يحملنا على مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، و من النتائج المنتظرة لهذا السلوك الحضاري معالجة عقد الاستعلاء. و الحقد والتخلف و اللاإنسانية فمن مهام التعارف

[90] - محمد مراح ،مصدر سابق ، ص – ص ، 92 – 95 .

الحضاري وأهدافه التي ينبغي أن تكون محل عناية شديدة من جانب النخب المتعارفة والمتحاورة، الارتفاع بمستوى مجتمعات ما بعد الاستعمار المتخلفة إلى مستوى الحضارة، و الارتفاع بمستوى الرجل المتحضر المتلطخ بإثم الاستعمار إلى مستوى الإنسانية .

5 – **تشجيع فكرة الانتفاع المتبادل من خيرات الأرض:** من خلال التعاون، فالرؤية الإسلامية تنطلق من عقيدة أن الله لم يخلق الأرض لنسفك الدماء، بل لينتفع كل فريق بخير ما عند الفريق الآخر، فإذا كانت الأرض مختلفة فيما تنتجه، فالإنتاج كله للإنسانية كلها. و هذا توجه يخالف سلوك الحضارة الغربية القائمة على أبشع صور الاستغلال و تبريره بدعاوى التقدم .

6 – **احترام الخصوصيات الحضارية:** التي تميز كل حضارة عن الأخرى، فتشكل الحضارات تنوعا فسيفسائيا من الثقافات يغني الحضارة العالمية، وتبقى مسألة الأخذ والترك منها محل اختيارات إنسانية تقديرية تكيفها كل حضارة مع ما تراه متناسبا مع أوضاعها وقيمها ومرحلتها الحضارية، فتستنفر قواها الإبداعية في هذا الجو المتفاعل حضاريا لتطوير نفسها داخل نسقها الحضاري، وبعيدا عن مضار العزلة والتقوقع فتخرج الحضارة الإنسانية من الأحادية الحضارية ويعرف العالم تجربة التعددية الحضارية التي تزدهر فيها قوى الإنسان وقدراته الإبداعية،و تتخاطب الحضارات والثقافات بلغة المنافسة الشريفة يطوى معها منطق الصراع والصدام و الغلبة المبيدة و التبعية الذليلة[91].

3 – نظرية تعارف الحضارات: الصعوبات و التحديات

إن الواقع يكشف أن هناك جملة من الصعوبات التي تعترض سبيل التعارف، لكن من شأن البحث الجاد والمؤمن بتعارف الحضارات وجدواه على مستقبل الإنسانية، الوقوف عند هذه المعوقات ليس بغرض تثبيط العزائم والهمم، وإنما للبحث في كيفية تجاوز هذه الصعوبات وتذليلها لتحقيق جملة من الأهداف والآفاق التي يسعى التعارف لتحقيقها، ومن بين هذه الصعوبات نجد:

- التطورات التكنولوجية الهائلة: التي ميزت القرن العشرين وأضحت القوة البديلة للقوى المهيمنة في السابق، فوسائل الإعلام والاتصال الحديثة- يهيمن عليها أصحاب المصانع

[91] - المصدر السابق ، ص – ص، 95 – 100 .

والإمبراطوريات المالية والصناعية و التجارية الكبرى وأصحاب عقيدة معاداة تآخي الإنسانية - باتت تصنع الحرب والسلم والخوف و الرعب و الأنانية و الكراهية و غيرها.

ولتجاوز هذا العائق يتعين علينا إنشاء مواقع عبر شبكة الانترنت بلغات العالم المختلفة ليتسنى لأبناء مختلف الحضارات التواصل حول القضايا الكبرى التي تشغل بال الإنسان المعاصر تحت شعار التعاون والتعارف والتنوع و التعدد الثقافي، و إنشاء منتديات فكرية عالمية تضم النخب المؤمنة بالتعارف الداعية لتفعيله من خلال أنشطة ومنشورات ثقافية لتحقيق التقارب وفضح مغالطات وإدعاءات وسائل الإعلام المضللة الموجهة من طرف الغرب، و توجيهها نحو التعايش مع الحضارات الأخرى .

-العائق الديني: إذا كان الدين يمثل جوهر كل حضارة، والالتفاف حول المعتقد في حالات الشحن والتعبئة العاطفية أو المقابلة الفكرية بين المعتقدات حقيقة مشهودة، مما يضيق مساحة العقل لمواجهة المسائل بموضوعية.

هنا يبرز التعارف باعتباره مبدأ إسلامي يدعو بالتي هي أحسن، حيث لا إكراه في الدين، لأن الغاية من التعارف ليست نقل أهل دين إلى دين آخر، وهنا ينبغي التطلع إلى بحث القواسم المشتركة بين الحضارات كرفض الظلم وطلب الحرية والعدل و محاربة الاستغلال بكل أشكاله وغيرها، و هي مما تلتقي القيم الحضارية السوية و العقول السوية على رفضها، فتضطر العقائد غير النقية من هذه الآفات، أن تكيف عقائدها مع غيرها أو تبريرها أو الانكفاء عن ركب التعارف.[92]

-تضخيم الذات الحضارية: والمقصود به الادعاء بتفوق حضارة ما، مما يؤدي إلى الشعور بالتفوق والعظمة المفرطة لديها،و لتجاوز هذه العقدة ننطلق من أن الحضارة إنجاز بشري مشترك، ونصرف الجهود نحو إفادة الحضارات من إيجابيات بعضها بعض لفائدة إنسان المستقبل و التفكير في نظرية مستقبلية للتكامل الحضاري يتخلق لها المنظرون بخلق التواضع بوصفه خلقا إنسانيا ساميا و علميا مطلوبا.

-نظريات الصراع و الصدام بين الحضارات:الواقع يثبت أن الحضارات عرفت فترات كثيرة من الصراع والصدام سواء المادي أو المعنوي إلا أن ذلك لم يكن اختيارا حرا لأبناء شعوب

[92] - المصدر نفسه ، ص -ص. 107 .108.

الحضارات دائما، بل في أحيان كثيرة يأتي تلبية لرغبة طغيان سياسي أو عسكري أو مالي أو فئوي أو اضطرارا لمواجهة هذا الطغيان، أما المبادئ و القيم الحضارية فأكثرها ينحو منحى السلم والتعايش و احترام الإنسان .

و لتخطي هذا العائق علينا إنضاج الأفكار حول نظرية السلم و التعاون بين الحضارات، لأن البشر أكثر ميلا إلى المسالمة و الموادعة، و لأن فترات السلم بين الأمم والحضارات أطول من فترات الحرب، كما أن الأديان بدورها تدعو إلى السلم والتآخي والقيم الإنسانية والإيجابية.

-هيمنة المفهوم السياسي في مجال العلاقات الدولية، وهو مجال كما لا يخفى تحكمه مبادئ المصلحة و فرض شروط الأقوى وأحادية النظرة في تحديد المفاهيم وتفسيرها على حساب القيم العليا للإنسانية .

و لهذا يتعين على رواد التعارف الحضاري، صياغة مفهوم جديد للعلاقات بين الشعوب والأمم، يتأسس على إنسانية سامية تترفع على المصالح الآنية الضيقة و الجشعة.[93]

هذه أهم الصعوبات التي تواجه التعارف، و في نفس الوقت جملة المقترحات لتجاوزها، و تجدر الإشارة إلى أن نظرية تعارف الحضارات لقيت ترحيبا وتأييدا من طرف النخب الفكرية، و في هذا الصدد ذهب البعض إلى الإقرار بقيمة ما توصل إليه الميلاد.

4-تقييم و نقد لنظرية تعارف الحضارات:

لقد لقيت نظرية تعارف الحضارات ترحيبا وقبولا ايجابيا في ا ال التداولي لدى المهتمين بالفكر الإسلامي، ففكرة تعارف الحضارات: جهد فكري يستحق الاهتمام في معناه الذي يخرج العالم من مأزق الصدام، وهو الذي لم يذهب إلى الحوار، و هو جهد مهم من حيث أهدافه التي تتعدد مستوياته الحضارية والسياسية فتخلق قواعد جديدة للعلاقات في العالم المعاصر، لكن الوصول ذا الجهد إلى غاياته يحتاج إلى آليات وجهود كبيرة وحثيثة و إلى بيئة مساعدة ذلك أن كثيرا من الأفكار المهمة ذات الأهداف الجيدة ضاعت لأ ا لم تجد الآليات والبيئة المناسبة لبلور ا و تكريسها [94].

---

[93] - المصدر السابق ، ص – ص . 109 – 112 .

[94] - فايزة سارة ، التعارف صيغة وسطى بين حوار الحضارات و صراعها ، الوسط التونسية

.http://www.alltareekh.com/t56006/2006

من خلال عملية التعارف هذه يتسع أفق البشر الفكري إتساعا يمكنهم من أن يعرفوا أنفسهم على نحو أفضل، فالبشر جميعا خلقوا من نفس واحدة مصداقا لقوله تعالى: " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة " (النساء 01) [95].

و هناك من أقر بأن الميلاد أظهر قدرة طيبة في استخلاص نظرية يمكن تطويرها و هي أكثر إنصافا و عدلا و فاعلية و وئاما و تتيح سبيلا نحو فهم أفضل يتيح بناء علاقات سوية بين الأمم و الشعوب و هذه الرؤية تستحق المزيد من الجهود المعرفية والتداول الفكري في سبيل بلورة مشروع حضاري صالح يمهد للقيام بتواصل مثمر، بل يمكن عقد المزيد من الحلقات والندوات البحثية على مستويات مختلفة في سبيل إكتناه الرؤية الأكثر قربا من الإنسان بشكل عام و بما ينسجم مع رسالة الإسلام الموجهة إلى العالم بأكمله " [96].

و نحن بدورنا نؤيد هذه الآراء ونثمنها ونؤمن بأن فكرة تعرف الحضارات ما زالت من الأفكار الجديدة، ولكنها في الوقت نفسه من الأفكار الواعدة لأن بمقدورها أن تستوعب كافة صور الجهل أو عدم الفهم ومد جسور التواصل لو تعرف عليها العالم بصورة معمقة و ناضجة و لو أتيحت لها فرص التداول والانتشار، لأن هناك مفارقة بين ما هو كائن و بين ما ينبغي أن يكون، فالعالم أصبح أشبه بقرية صغيرة، لكن الواقع يؤكد أن الحضارات لا تعرف بعضها بعضا كما ينبغي.

يكتسي مفهوم تعارف الحضارات عند محمد كمال الدين بنية أخلاقية تعطي الحياة المشتركة صبغة إنسانية كونية،فإذا كانت فكرة صدام الحضارات تقوم على المغالبة حيث الدنيا لمن غلب فإن فكرة تعارف الحضارات تقوم على المصاحبة حيث "الدين المعاملة".

وهكذا يؤسس الإسلام تعارف الحضارات على قيمتين هما: واجب الاعتراف بأهمية الآخر،وحق الاختلاف عن هوية الآخر،وهنا يصبح التعارف ليس مجرد إطلاع على ما عند الآخر، بل هو في جوهره اقتناع بعدم احتكار الحقيقة تأسيسا لمشروعية الأخذ والعطاء دون تكبر من المعطي، ودون تنكر من الآخذ،وفي هذا السياق يتأكد التفضيل لكلمة"ليتعارفوا" والتي هي عند زكي الميلاد مصدر القيمة والفاعلية في مفهوم التعارف،فهو المفهوم الذي يؤسس

[95] - محمد حمدي زقزوق ، الإسلام و الغرب ، مرجع سابق ، ص 110 .

[96] - عبد الواحد علواني ، كيف ننظر لمستقبلنا الحضاري في عالم متغير ؟ مجلة ثقافتنا العدد 4 .

لمفاهيم (الحوار،الوحدة،التعاون) ويحدد لها شكلها ودرجتها وصور ا وهو الذي يحافظ على فاعليتها واستمرارها، هذا من جهة الإيجاب، أما من جهة السلب فإن التعارف كقاعدة وفاعلية بإمكانه أن يزيل مسببات ال اع والصدام.

لذا فإن تعارف الحضارات بالمعنى الوظيفي عند محمد كمال إمام يتحرك في مسارين:

المسار الأول:تكويني وظيفته حفظا لتنوع باعتباره سنة كونية،والسياق القرآني في قوله تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل" يدعم هذا التنوع لأن الخلق والجعل كلاهما يشير إلى الجبلة والفطرة.

المسار الثاني: تكليفي،لأن كلمة "لتعارفوا " ليست مجرد توصيف لواقع، بل هي تكليف بواجب، وعليه فإن أمة الإسلام مطالبة بأن تكون الأمة الوسط والأمة القدوة، والأمة المبادرة إلى تفعيل مبدأ تعارف الحضارات، وهذا التفعيل أيضا يتحرك في مسارين:

المسار الأول:يوجب على المسلمين السعي إلى العلم النافع ونفي العلم الضار أي إ م أمة حضارة بحكم إسلامهم، فتخلفهم إثم، وجمودهم معصية.

المسار الثاني: يوجب على المسلمين ألا يحبسوا ثمار حضار م عليهم، فلا يكتموا علما، ولا يصادروا قلما أمينا،ولا يوصدوا أمام المعرفة بكل أشكالها بابا،وفى هذا يقول أحد المفكرين: "فكما أننا نأخذ من ثقافة الآخرين ونحتاج إلى البقاء على الأخذ منهم، لا من جهة الاطلاع على أسباب المعرفة فحسب،بل أيضا من جهة تقوية العمل التعارف الذي يرجع إليه كمال التخلق، فكذلك أن نعطيهم من ثقافتنا ما لا يقدرون على تحصيله بأنفسهم، في هذه الوظيفة المزدوجة تكمن أهمية تعارف الحضارات باعتباره أكبر من مفهوم لأنه في الفضاء الإسلامي العام يعد تأسيس المشروع حضاري يستهدف صحوة الأمة و ضة العالم . وربما يصبح مبدأ تعارف الحضارات هو هديتنا للتاريخ العقلي المعاصر،ولكن ذلك الأمل لن يتحقق إلا بعدة شروط:

الأول: ملكة شجاعة على نقد الذات، لأن قصورنا واضح،وتقصيرنا واقع،ولا يحول دون ذلك الأصول القرآنية لتعارف الحضارات [97].

الثاني:إيمان لا يتزعزع بأننا أمة ذات رسالة، وينبغي أن يكون إيماننا أقوى من ضعفنا الذي نعانيه، والأمة ذات التاريخ تستفيد من هزائمها،كما تتعلم من انتصارا ا.

[97]- محمد كمال الدين امام ،مرجع سابق،ص- ص. 8،9.

الثالث:ألا يتملكنا الغرور القائل،فنظن أننا نستغني بما عندنا روحيا وماديا عما يملكه غيرنا،فالعقل هو أعدل الأشياء قسمة بين البشر،والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق ا.

إن أول ما يوحي به مبدأ تعارف الحضارات إننا لن نكون وحدنا في هذا العالم، وان حاجتنا لغيرنا، لن تقل عن حاجة غيرنا لنا،فلن نكتب تاريخنا بقلم واحد،و هو مهما كان ممتلئًا فإن مداده إلى نفاد . وهذا يعني أن "تعارف الحضارات" ليس مقدمة نظرية، بل هو في الرؤية الإسلامية، سنة كونية، وفى ظلال تفرقة التي ينبغي أن توجد بين النظام والأحكام، يصبح مبدأ تعارف الحضارات جزءاً من نظام تأتي الأحكام الإسلامية كلها داعمة له،إن "تعارف الحضارات" نظام "قبلي" تقرأ في ضوئه العلاقة بين الوظيفة الحضارية وغايا ا،وتقرأ في ضوئه العلاقة بين المعرفة باعتبارها نظرية في العلم والتعارف باعتباره واجبا إنسانيا عاماً[98].

نتائج الفصل الثالث :من خلال ما سبق نستنتج مايلي:

- بشر فوكوياما أنه بسقوط الشيوعية وانتصار الحضارة الغربية بمحتواها الأمريكي، ومن ثمة انتهى التاريخ عندما بلغ الفكر البشري المدنية المنشودة والمتمثلة في الديمقراطية الليبرالية، وهذا ما تجسده مقولة العولمة التي تفترض طريقا فكريا وحيدا و هو "الليبرالية".
- افترض الميلاد إمكانية إقامة عولمة بديلة بدعوى أن الإسلام جاء عالميا للناس كافة، ومن منطق أن هناك فرق اصطلاحي بين العولمة التي تتضمن معنى الجبر والهيمنة وفرض نمط محدد على العلاقات بين الدول مع إلغاء ثقافة الآخر، بينما العالمية دعوة للانفتاح على العالم وعلى الثقافات الأخرى و هذا يتحقق من خلال فكرة تعارف الحضارات .
- فكرة تعارف الحضارات طرح إسلامي أصيل مقابل مفهومي حوار الحضارات وصدام الحضارات، و هو الذي يؤسس للحوار، و لأشكال أخرى من العلاقات لتجنب الصدام.
- توصل الميلاد إلى مفهوم التعارف بعد حفر معرفي مستفيض للآية 13 من سورة الحجرات، كما استند في التأسيس لهذا المفهوم على ثلاث نقاط أساسية وهي فحص ونقد أصل ومثال و قياس أو اختبار.

---

[98]- المرجع السابق،ص-ص، 10 .11

- قدم الميلاد جهوده في سلسلة من الكتابات المنهجية والمشاركات الحوارية في مؤتمرات وندوات بالإضافة إلى نقاشات واختبارات أجراها مع المهتمين بالفكر الإسلامي.
- نظرية تعارف الحضارات هي نظرية إنشائية جاءت لبناء شكل العلاقات المفترض بين الناس كافة.
- يهدف التعارف إلى تحقيق التقارب والتسامح وفك عقدة الهيمنة وتجاوز عقيدة الصراع بين المختلفين، كما يرمي إلى تصحيح الصور المسبقة،عن الآخر وتشجيع فكرة الانتفاع المتبادل من خيرات الأرض واحترام الخصوصيات الحضارية لكل طرف ليعرف العالم تجربة التعددية الحضارية.
- دخول فكرة التعارف في ا ال التداولي في خطابات المفكرين الإسلاميين،ووعيهم بالصعوبات التي تواجه التعارف، إلا أن إمكانيات تفعيله تبقى قائمة.

خاتمة:

و في ختام هذه الدراسة أمكننا أن نحوصل النتائج التي توصلنا إليها في بحث ودراسة هذا الموضوع من خلال جانبين و هما:

الأول: يتعلق بأهمية الموضوع المطروح في حد ذاته، لأن الانشغال بقضية العلاقة بين الحضارات ومحاولة صياغة منظور مستقبلي لها يعتبر من القضايا الجديدة والمتجددة، والتي باتت تطرح نفسها بقوة على الصعيدين العربي والإسلامي.

ولعلّ المحرك المحوري الذي شجع على الاهتمام بمثل هذا النوع من الدراسات هو جملة التحولات العالمية التي رافقت اية القرن العشرين و بداية القرن الحادي والعشرين منه، ويأتي في مقدمتها ظاهرة العولمة التي تشكل في جوهرها المرحلة الراهنة من تطور النظام الرأسمالي العالمي من خلال اختزال و دمج معالم الحياة الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية والتقنية والثقافية وحتى السلوكية ضمن إطارها الكوني ضاربة عرض الحائط سيادة الدول وحدودها، مخترقة الهويات الثقافية للمجتمعات الإنسانية، و هذا ما يتعارض مع طبيعة ا تمعات العربية والإسلامية التي تملك من المقومات ما يمنعها من الذوبان في الآخر، و لعل هذا التصدي و عدم الخضوع هو ما أثار حفيظة العالم الغربي المتطور المهيمن، و من هنا بات الإسلام العدو اللدود الذي يهدد الغرب، مما أدى إلى قطع جسور التواصل والتفاهم بينهما، مما ولّد تحديات وخلق رغبة في فرض السيطرة ولو بمنطق القوة والجبر و الصدام، و هكذا جند الغرب كل إمكانياته لتحقيق مبتغاه .

و لا يخفى على المتتبع لهذا الواقع أن هذه التحولات قد أحدثت صحوة فكرية تجلت في تلك اليقظة الروحية و ال عة نحو العودة إلى الجذور و لا يقتصر هذا على العالم الإسلامي بل حتى ا تمعات الغربية التي بالغت في نظر ا المادية للإنسانية و لعل أبرز مثال على ذلك الطرح الهنتغتوني الذي شغل فيه البعد الديني حيزا هاما حول صدام الحضارات و هذا ما زاد من تنامي الوعي بأبعاد التغيرات العالمية و إدراك خلفيات الصراع الحضاري .

و هو ما شكل مكسبا لنا و لأمتنا العربية الإسلامية التي تسعى إلى تكوين منظور عربي إسلامي يحتوي هذا الوضع بالاستناد إلى منظومة مفاهيمية مستوحاة من الإرث الحضاري قرآنا و سنة.

الثاني: يتمثل في أهمية الشخص، حيث شغِل الميلاد بمشكلات العالم الإسلامي، و هو ما يدخل في صميم المسألة الحضارية عنده، كما يبدو جليا اطلاعه الواسع على مصادر الثقافة الإسلامية من جهة و انفتاحه على ما يجري و ما يكتب في الساحة العالمية .

فضلا عن الصلة الفكرية بينه وبين مفكرنا الجزائري مالك بن نبي فكلاهما شغل بالحضارة الإسلامية، كما أظهر الميلاد قدرة طيبة على بلورة نظرية تعارف الحضارات وعمل على تطويرها والتبشير ا والدفاع عنها، و ذلك تأسيسا لمنظور معرفي جديد لعلاقات مستقبلية إيجابية على أساس الشراكة الحضارية بما يخدم الإنسان والحضارة في هذا العالم، و هي نظرية كما سبق وأن أشرنا مستنبطة من القرآن الكريم، جاء في قوله تعالى:" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا " ووفق تصور الميلاد، فإن هذه الآية جاءت لتأسيس مفهوم التعارف في صيغة خطاب موجه إلى الناس كافة باعتباره المفهوم الكلي و الجامع والشامل الذي يمكن أن يحتوي تنوعا م وتعدديا م الدينية والمذهبية والقومية والعرقية واللغوية.

إلى هنا يمكن أن نجيب على لسان الميلاد على الإشكالية العامة التي حاول متن هذه الرسالة معالجتها من خلال ثلاث فصول رئيسية متكاملة مؤكدين أن التعارف خطاب موجه إلى الناس كافة و إلى مجتمعات و جماعات كبيرة و صغيرة (قبائل و شعوبا) لذلك جاز لنا استعماله في مجال الحضارات و هو الاستعمال الذي نتوصل منه إلى مفهوم تعارف الحضارات، و هو مفهوم أكثر دقة و ضبطا من مفهوم حوار الحضارات، لأن الحضارات لا تتحاور و إنما تتعاقب كما أن التعارف ذا المستوى من الفهم يعمل على إزالة الصورة النمطية عند كل طرف للتخلص من الرواسب الفكرية المتراكمة عبر التاريخ لخلق جو إيجابي فعال مبني على الاحترام المتبادل، و النتيجة أن بوسع التعارف أن يهذب التناقض بين أطروحتي الصدام والحوار، و هنا تكمن أهمية نظرية التعارف في تجنب الصدام و فرش الأرضية للحوار.

في الحقيقة إن إشكالية العلاقة بين الحضارات كمشروع بحث علمي في ميدان العلوم الإنسانية قد تجاوز بعده الفلسفي إلى مرحلة المعالجة المتخصصة،حيث تتوفر لدينا الكثير من الدراسات التي حاولت معالجة هذه الإشكالية من منظور علوم مختلفة،كعلم الاجتماع والعلوم السياسية وحتى من زاوية علم النفس.أما جديد هذه المعالجة فيكمن في البصمة أو اللمسة الدينية التي حاول الميلاد إضافتها للسمو بمنطق العلاقات الحضارية إلى مستوى القيم الأخلاقية .

بناءا على ذلك، فإن نظرية تعارف الحضارات تعد من أنضج النظريات التي تسعى إلى رسم صورة أفضل لمستقبل العلاقة بين الحضارات في زمن العولمة،من حيث أ ا قدمت لنا إطارا واضحا عن شكل العلاقة المفترض بين الحضارات من جهة،و من جهة أخرى طبيعة الأصل الذي اعتمدت عليه في ذلك .

رغم ذلك من المؤاخذات التي تؤخذ على هذا الإطار أنه غير مركز و على درجة متواضعة من الدقة والرتابة و ذلك لسبب رئيسي هو عدم قدرة النظرية على إعطاء آليات عملية لتفعيل فكرة التعارف، لكن هذا لا يعد انتقاصا من قيمة النظرية، لأ ا في الوقت نفسه فتحت ا ال للنخب الفكرية المهتمة ذا الشأن في أن تساهم في إثراء و بلورة هذه الآليات والسعي بجد لتفعيلها ،و المرجح أن الميلاد يدرك جيدا هذا الأمر –لا يخفى على الميلاد و هو إن صح التعبير تقصير إرادي ومقصود – فهو ينطوي على هدف ضمني يمكن استبطانه من خلال معاني الحضارة كما حددها الميلاد والتي من بينها القدرة على التجدد والنمو والتواصل والانخراط في قضايا العصر وتحمل المسؤولية و عدم التعامل بمنطق المتفرج أو اللامسؤول و هو ما يحقق حضور الأمة في حركة العالم والعصر لأن كل نتاج حضاري هو في اية المطاف تظافر لجهد جماعي ينمو و يترسخ بالاكتساب.

التوصيات:انطلاقا من جدة ما قدمه الميلاد وثراء رصيده الفكري ومن قدرته على استخلاص نظرية قابلة للتطور فإننا ندعو إلى:

-الاهتمام بفكر زكي الميلاد بتوجيه الدراسات والبحوث نحو ما أثاره و ما طوره من إسهامات فكرية و أطروحات وتحويلها إلى مشاريع عملية شأن أطروحة التعارف وكذلك أطروحته في الاجتهاد هذا المفهوم الإسلامي عنده يعادل مفهوم الحداثة عند الغرب وكذلك أطروحة التأصيل والتجديد في الفكر الإسلامي بالإضافة إلى إشكالية الإسلام و الغرب وغيرها من القضايا .

-الاستفادة من فكر زكي الميلاد في التأسيس لمشروع إسلامي حضاري معاصر يجمع بين القيم السامية التي صنعت أمجاد الأمة إبان ازدهارها و بين حقائق العصر و مستجداته والمتمثلة في اجتياح الحضارة الغربية بقوة سلاحها وتفوقها العلمي و التكنولوجي والعمل على مواكبتها والاهتمام بالعلم و المعرفة للخروج من دائرة التخلف و التبعية.

-ضرورة الاستفادة من تصور زكي الميلاد لمفهومي الثقافة والحضارة و تنمية وتطوير هذين المفهومين، و كذلك الوقوف بإمعان عند الفرق القائم بينهما، ليس بغرض تعميق هذا الفارق وإنما بقصد إدراك الجوهر المركب لبناء الحضارة و المتمثل في " اقرأ ".كوننا ما نزال نمتلك الثقافة و ما ترتكز عليه من قوة روحية خلاقة وطاقة كامنة نستطيع استثمارها و توظيفها من أجل إعادة بناء الحضارة.

-نتوجه بدعوة لأبناء هذه الأمة و لنخبها الفكرية المتطلعين لحياة أفضل يسودها الإخاء و الأمن و السلم و الاحترام المتبادل لشتى الخصوصيات بأن تتظافر جهودهم وتوحد إرادا م و تشحذ هممهم للمساهمة في صنع حضارة إنسانية متوازنة (إدراكا لتزايد هوة الفارق بين عالم غربي متطور مهيمن،و بين عالم عربي إسلامي متخلف منقاد)، في ظل احترام التعدد و التنوع الثقافي.

-و هنا تتوجه الدعوة إلى عقلاء و علماء و منظري هذه الأمة للعودة ا إلى مصادر ثقافتنا قرآنا و سنة للنهوض بما يناط ا من مهام و مسؤوليات لتشارك في بناء الحضارة الإنسانية المعاصرة مثلما شاركت فيها في عهود ازدهارها، على أمل أن تخطو الدراسات المعاصرة خطوات ثابتة قدما للأمام عندما تنحو منحا معرفيا أصيلا .

-ومن التوصيات التي يمكن أن تضاف في سبيل تفعيل نظرية تعارف الحضارات ضرورة أن تتبنى هذه النظرية المنظمات الإسلامية التي تعنى ذا الشأن كالمنظمة الإسلامية للتربية و العلوم والثقافة.

كما تجدر الإشارة إلى أن هذه النظرية قد لقيت اهتماما وصدى واسعا و تقبلا و تداولا في أوساط الكتاب والباحثين و الأكاديميين في العالم الإسلامي ونشرت عنها الكثير من البحوث و المقالات و الدراسات في صحف و مجلات و دوريات و جرت حولها مناقشات و حوارات في ندوات و مؤتمرات و أنجزت حولها رسائل و أبحاث جامعية.

و هذا وإن دلّ على شيء فإنما يدل على أن مفكرنا قد عالج قضية جد شائكة وحساسة ما تزال تثير جدلا حادا، و في ظل ذلك هناك جملة من الأسئلة التي باتت تطرح نفسها:

- ما هو مصير الثقافات المختلفة للشعوب في عصر العولمة ؟
- ما هي التنبؤات المستقبلية للتعارف الحضاري ؟
- هل أدت فكرة صدام الحضارات فعلا إلى حوار الثقافات والحضارات؟

- و هل بإمكان فكرة التعارف بلوغ التحالف الحضاري المطروح في الساحة العالمية ؟
- هل بإمكان نظرية تعارف الحضارات أن تفتح علينا طريق المستقبل الحضاري الجديد ؟

قائمة المصادر و المراجع:

أولا : المصادر:

*** – القرآن الكريم**

1 – مؤلفات زكي الميلاد:

أ–الكتب:

1 - الميلاد، زكي و الربيعو، تركي علي،الإسلام و الغرب الحاضر والمستقبل، حوار لقرن جديد
(دمشق: دار الفكر، ط2، 2001).

2 - الميلاد ،زكي، من التراث إلى الاجتهاد – الفكر الإسلامي و قضايا الإصلاح والتجديد –،
(المغرب: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2004).

3 - الميلاد، زكي، " من حوار الحضارات إلى تعارف الحضارات " الإسلام و حوار الحضارات،
(مكتبة الملك عبد العزيز العامة، المجلد 3، ص2004).

4 -زكي الميلاد، نحن و العالم، سلسلة كتاب الرياض، 138،
(الرياض:مؤسسة اليمامة الصحفية، ط1، 2005).

5 - الميلاد، زكي، تعارف الحضارات، إعداد: زكي الميلاد،
(دمشق: ط1، دار الفكر، 2006) .

6 - الميلاد، زكي، الإسلام والمدنية حوارات حول الفكر الإسلامي و قضاياه و مشاكله و إشكالياته،
(بيروت: الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط1، 2007).

7 -الميلاد ، زكي، الإسلام والتجديد، كيف يتجدد الفكر الإسلامي
(بيروت:المركز الثقافي العربي، ط1، 2008).

8 - الميلاد،زكي،المسألة الحضارية – كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متغير ؟،
(بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط2، 2008).

9 - الميلاد، زكي، الإسلام و العولمة، لماذا لا تكون العولمة مكسبا لنا ؟
(بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2010).

10 -الميلاد، زكي، الحوار في القرآن ... نماذج و مبادئ،
(الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوافي، 2010).

11 -الميلاد،زكي، المسألة الثقافية – من أجل بناء نظرية في الثقافة –
(بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط2، 2010).

ب – المجلات (المقالات):

12 - الميلاد، زكي، الفكر الإسلامي و قضايا العولمة،
مجلة الكلمة،العدد 20، السنة 5،
(بيروت:منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، 1998).

13 - الميلاد،زكي،الإسلام والمدنية،
مجلة الكلمة، العدد 62، السنة 16 ،
(بيروت: منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، 2009).

ج – المؤتمرات:

14 -الميلاد،زكي، لماذا مفهوم تعارف الحضارات ؟ الفكرة و الخبرة و التأسيس،
(الإسكندرية:مؤتمر تعارف الحضارات، 2011).

د–الموقع الالكتروني:

15 -الميلاد، زكي، تعارف الحضارات و فكرة التواصل عند هابرماس
.htpp://www.almilad.org/page/sira.php

ثانيا : قائمة المراجع باللغة العربية :

1 - الكتب :

2 - إبراهيم، عبد الله، المركزية الغربية – إشكالية التكون و التمركز حول الذات –،
(بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط2 ، 2003).

3 - أبو المجد، أحمد ، رجاء غارودي– رحلة فكر و حياة –،
(قسنطينة: دار البعث للطباعة والنشر، ط1، 1983).

4 - إدريس، هاني، حوار الحضارات بين أنشودة المثاقفة وصرخة الهامش،
(الدار البيضاء:ط1، 2002).

5 -اشبنجلر، أسوالد، تدهور الحضارة الغربية، ترجمة: أحمد الشيباني،
(بيروت: دار مكتبة الحياة، الجزء الأول).

6 -اشفيتسر، ألبرت، في فلسفة الحضارة، ترجمة: عبد الرحمان بدوي،
(بيروت:دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2 ،1980).

7 - أمين، جلال، عولمة القهر،
(القاهرة: دار الشروق، ط1، 2002).

8 - الباش،حسن، صدام الحضارات حتمية قدرية أم لوثة بشرية ... ؟

(بيروت:دار قتيبة، ط2، 2005).

9 - البيلاوي، حازم، نحن و الغرب عصر المواجهة أم التلاقي ؟،
(القاهرة: دار الشروق، ط1 ، 1999).

10 -بن خلدون، عبد الرحمان بن محمد، مقدمة ابن خلدون، تقديم: محمد الاسكندراني،
(بيروت:دار الكتاب العربي ،2008).

11 - برنارد، لويس و سعيد ، إدوارد ، الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية،
(بيروت: دار الجيل، ط1) .

12 -بن نبي، مالك ،شروط النهضة، ترجمة:عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين،
(دمشق:دار الفكر، ط4، 1987).

13 - بن نبي ،مالك، مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين،
(دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ط4، 1984).

14 - بيتر مارتن، هانس وشومان، هارالد، فخ العولمة،ترجمة: عباس عدنان علي،
(الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 1978).

15 - تركي، إبراهيم محمد، في فلسفة الحضارة قضايا ومناقشات،
(الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1 ، 2008).

16 - تشومسكي، نعوم، الصدمة الحادي عشر من أيلول، تعريب: سعيد الجعفر،
(دمشق:دار الكتاب العربي، ط1، 2002).

17 - التويجري، عبد العزيز بن عثمان، الحوار من أجل التعايش،
(القاهرة: دار الشروق، ط1، 1998).

18 -الجابري، محمد عابد، قضايا في الفكر المعاصر،
(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1997).

19 -الجفائري، محمد عبد السلام، مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي،
(طرابلس:الدار العربية للكتاب، ط1، 1984).

20 -جغلول، عبد القادر، الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون،
(بيروت: دار الحداثة للطباعة و النشر، ط4 ، 1987).

21 -جيدل، عمار، حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني،
(عمان:دار الحامد للطباعة و النشر والتوزيع ، ط1).

22 -الحجي، عبد الرحمان علي، أضواء على الحضارة والتراث،

(الجزائر، شركة الشهاب للنشر والتوزيع).

23 -الحديثي،عباس، نظريات السيطرة الإستراتيجية وصراع الحضارات،
(عمان:دار أسامة للنشر والتوزيع الأردن، ط1 ، 2004).

24 - خاتمي،محمد، الإسلام والعالم،
(القاهرة: مكتبة الشروق، ط9، 2002).

25 - خاتمي، محمد، حوار الحضارات، ترجمة: سرمد الطائي،
(دمشق: دار الفكر ، ط1 ، 2002).

26 - الخضيري، أحمد، العولمة الاجتياحية،
(القاهرة: مجموعة النيل العربية، ط1، 2001).

27 -الخطيب، سليمان، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام،
(القاهرة :الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1986).

28 - ديورانت، ول ، قصة الحضارة – نشأة الحضارة في الشرق الأدنى ، ترجمة: زكي نجيب محمود،
(مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ،المجلد 1، ط3 ، 1965).

29 - راغب ، نبيل ،أقنعة العولمة السبعة ،
(القاهرة: دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، 2001).

30 - رودنسون ، مكسيم ، جاذبية الإسلام ، ترجمة : إلياس مرقص،
(بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط ، 2005) .

31 - زريق، قسطنطين،في معركة الحضارة -دراسة في ماهية الحضارة و أحوالها في الواقع الحضاري-
(بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1981 .

32 -زقزوق، محمود حمدي، الإسلام في عصر العولمة،
(القاهرة:مكتبة الشروق الدولية، ط2 ، 2002) .

33 - زقزوق، محمود حمدي، الإسلام و الغرب،
(القاهرة: مكتبة الشروق الدولية ، ط1 ، 2005).

34 - السحمراني، أسعد ، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا ،
(بيروت: دار النفائس، 1986).

35 - السعدون، حميد حمد، الغرب والإسلام و الصراع الحضاري،
(الأردن:دار وائل للنشر، 2004).

36 - سعدي، محمد، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة و ثقافة السلام،

(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 ، 2006) .

37 -سعيد، ادوارد، تعقيبات على الاستشراق، ترجمة و تحرير:صبحي حديدي،
(عمان:دار فارس للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 1996) .

38 - سعيد، جودت و علواني، عبد الواحد، الإسلام و الغرب و الديمقراطية،
(بيروت: دار الفكر المعاصر، ط1، 1996) .

39 - السيد، رضوان – برقاوي، أحمد،المسألة الثقافية في العالم العربي – الإسلامي،
(دمشق: دار الفكر، ط 2، 2001).

40 - الشبيني، محمد، صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة،
(بيروت:دار العلم للملايين، ط1، 2002).

41 - شرف، محمد ياسر، إعادة تنظيم العالم – دراسة تحليلية نقدية لأطروحة صامويل هنتغتون في صدام الحضارات –،
(دمشق : وزارة الثقافة، 2004).

42 - صبحي،أحمد محمود وجعفر، صفاء عبد السلام، في فلسفة الحضارة (اليونانية– الإسلامية– الغربية)،
(بيروت:دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1999).

43 - الطالبي ،عمار، دراسات في الفلسفة و في الفكر الإسلامي،
(بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ط1، 2005).

44 - الطيب،بن إبراهيم ، مواقف مشتركة بين مالك بن نبي وابن خلدون،
(الجزائر: دار مدني ،ط1، 2008) .

45 - عارف،محمد نصر، الحضارة، الثقافة، المدنية" دراسة لسيرة المصطلح و دلالة المفهوم"،
(عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2، 1994) .

46 - عجك، بسام، الحوار الإسلامي المسيحي،
(دمشق: دار قتيبة ، 1997).

47 - العجمي، أبو اليزيد أبو زيد، الحضارة الإسلامية وجه جديد،
(القاهرة: دار السلام للطباعة و النشر والتوزيع و الترجمة ، ط1 ، 2006).

48 - عزوز، محمد العربي، زمن هنتغتون ؟ صدام الحضارات و نهاية التاريخ،
(القاهرة: دار النهضة العربية، ط1، 2009).

49 - العسال، أحمد محمد، حوار الحضارات – مدخل إلى رؤية إسلامية،
(القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1996).

50 - عمارة، محمد، في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام،
(القاهرة:مكتبة الشروق الدولية، ط2، 2008).

51 - عمارة،محمد، المشروع الحضاري الإسلامي،
(القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر و التوزيع، ط1، 2005).

52 - عمراني، عبد المجيد، مستقبل الحوار في ظل العولمة، تقديم: حسن حنفي،
(القاهرة:دار الوليد للتوثيق، ط2، 2009).

53 -العوا، عادل، آفاق الحضارة – دراسة فكرية –،
(دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 2001).

54 - غارودي، روجيه، الإسلام، ترجمة: وجيه أسعد،
(بيروت: دار الفارابي ، ط1 ، 1996).

55 - غارودي، روجيه، في سبيل حوار الحضارات، تعريب: عادل العوا،
(بيروت:دار عويدات للطباعة والنشر، ط6، 2007).

56 -غليون، برهان و أمين، سمير، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة حوارات القرن الجديد،
(دمشق: دار الفكر، ط2 ، 2000).

57 - غيوة (حيرش)، فريدة، تأملات في القضايا الإنسانية المعاصرة و الراهنة،
(قسنطينة:منشورات جامعة منتوري، 2004) .

58 - فضل الله، محمد حسين، الحوار في القرآن (قواعده، أساليبه، معطياته)،
(الجزائر:دار المنصوري للنشر،ج 1) .

59 - فوكوياما،فرانسيس، نهاية التاريخ وخاتم البشر،ترجمة:حسين أحمد أمين،
(القاهرة:مركز الأهرام للترجمة و النشر، ط1، 1993) .

60 - القرضاوي، يوسف، الحل الإسلامي فريضة و ضرورة حتمية الحل الإسلامي،
(الجزائر:نشر وتوزيع مكتبة رحاب ، ط13 ، 1988) .

61 - قطب،سيد، في ظلال القرآن،
(القاهرة:دار الشروق، المجلد السادس، الأجزاء: 26 – 30) .

62 - الكحلاني، حسن محمد، فلسفة التقدم – دراسة في اتجاهات التقدم و القوى الفاعلة في التاريخ –،
(القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1 ، 2003) .

63 - لحرش، موسى، إستراتيجية البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي،

(الجزائر:مختبر التربية، 2006) .
64 - اللبودي، إبراهيم، الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعليمه،
(القاهرة:مكتبة وهبة،ط1،2003).
65 - مرشو، غريغوار منصور والحسيني، سيد محمد صادق، نحن والآخر،
(دمشق: دار الفكر، ط1،2001).
66 - مؤنس، حسين، الحضارة – دراسة في أصول وعوامل قيامها و تطورها –،
(بيروت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ،1978).
67 محفوظ،محمد، الإسلام الغرب وحوار المستقبل،
(الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط1، 1998).
68 - مراح، محمد، نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات، كتاب تعارف الحضارات، إعداد زكي الميلاد،
(دمشق:دار الفكر، 2006).
69 - مرسي،كمال الدين عبد الغني، الخروج من فخ العولمة،
(الإسكندرية:المكتب الجامعي الحديث، ط1، 2002).
70 - المسيري، عبد الوهاب و آخرون، الإسلام والعولمة،
(الإسكندرية: مكتبة الإشعاع الفنية، ط1، 2002).
71 -مغربي،عبد الغني،الفكر السوسيولوجي عند ابن خلدون، تعريب:محمد الشريف بن دالي حسين،
(الجزائر: دار القصبة للنشر، 2006) .
72 - المنجرة ، المهدي ، الحرب الحضارية الأولى،
(قصر النيل: مكتبة الشروق، ط1 ، 1995) .
73 - مهاجراني، السيد عطاء الله، الإسلام والغرب، ترجمة : عادل عبد المنعم،
(القاهرة: مكتبة الشروق الدولية ، ط1 ، 2006) .
74 - موللر، هارولد، تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتغتون، ترجمة: إبراهيم هشهش،
(بيروت:دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2005).
75 - النشار مصطفى، ضد العولمة،
(القاهرة: دار قباء للطباعة و النشر والتوزيع ، ط2 ، 2001) .
76 - النشار، مصطفى، في فلسفة الحضارة جدل الأنا و الآخر نحو بناء حضارة إنسانية واحدة،
(القاهرة: دار قباء الحديثة للطباعة و النشر و التوزيع ، ط1 ، 2007).
77 - النشار،مصطفى، ما بعد العولمة قراءة في مستقبل التفاعل الحضاري و موقعنا منه،

(القاهرة: دار قباء الحديثة للطباعة و النشر و التوزيع، 2007).
78 - نصر، محمد حسين، مفهوم الحضارة عند ابن خلدون و هيجل دراسة مقارنة،
(طرابلس: الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان ، ط1 ، 1993).
79 - هنتغتون، صامويل، الإسلام و الغرب آفاق الصدام، ترجمة: مجدي شرشر،
(القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1، 1995) .
80 - هنتغتون، صامويل، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي،ترجمة:مالك عبيد أبو شهيوة ومحمود خلف،
(مصراتة: الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان ، ط1 ، 1999).
81 - ولد أباه ،السيد، عالم ما بعد 11 سبتمبر الإشكاليات الفكرية و الإستراتيجية،
(بيروت: الدار العربية للعلوم ، ط1 ، 2004) .
82 - يحيا الملاح، هاشم، المفصل في فلسفة التاريخ دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأملية والنقدية،
(بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 2007) .
83 - يسن، السيد و آخرون، خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات، تحرير: نادية محمود مصطفى وعلاء أبو زيد،
(مصر: دار السلام للطباعة والنشر ، ط2 ، 2008)

2- المعاجم و الموسوعات :

1 - ابن منظور، لسان العرب، حرف باب الراء – الفاء،
(بيروت: دار صادر، المجلد 5 – 9 ، ط1 ، 1995).
2 - الأصفهاني، الراغب، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق : نديم مرعشلي،
(دار الكتاب العربي، 1972).
3 - أنيس، إبراهيم و آخرون، المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية)، إشراف: حسن علي عطية وآخرون،
(مصر: مطابع دار المعارف ، ج2 ، ط2 ، 1973).
4 - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، تصدير: إبراهيم مدكور،
(القاهرة: مجمع اللغة العربية، 1983) .
5 - مدكور، إبراهيم، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية،
(القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983) .
6 - لالاند، أندري ، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب:خليل أحمد خليل، إشراف: أحمد عويدات،
(بيروت – باريس: منشورات عويدات، ط2 ، المجلد الأول A-G، 2001).

7 - نعمة، أنطوان و آخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة،
(بيروت: دار المشرق ، ط2، 2001)

3- مجلات (مقالات):

1 - مشري، مرسي،" جدلية العلاقة بين الإسلام فوبيا وحوار الحضارات "
مجلة دراسات شرق أوسطية،العدد 55، السنة 15 .
(الأردن:مركز دراسات الشرق الأوسط2011)،

2 - المنجرة، المهدي، " الإهانة في عصر الميغا إمبريالية "، العولمة وحوار الحضارات والثقافات،
مجلة عالم التربية، العدد 17،
(الجديدة: منشورات عالم التربية، 2007).

3 - علواني عبد، الواحد ، كيف ننظر لمستقبلنا الحضاري في عالم متغير ؟
(مجلة ثقافتنا العدد 4) .

4 – سعدي، محمد: تقرير عن: " الندوة الدولية: إشكالية التواصل الحضاري بين الشرق و الغرب "،
مجلة المستقبل العربي، السنة 21 ، العدد: 233 .
(وجدة: مركز دراسات الوحدة العربية، مارس 1998، يوليو 1998-)،

4- ندوات ومؤتمرات:

1 مراح ، محمد، "نحو رؤية إسلامية لتعارف الحضارات ، ندوة تعارف الحضارات، إعداد: زكي الميلاد،
(دمشق : دار الفكر ، ط1 ، 2006) .

2 غسان، علاء الدين، " وهم الحوار ، حوار الحضارات "، إعداد و تقديم : عطية ممدوح ،
(دمشق: دار الينابيع ، ط1 ، 2009) .

3 - خزندار، اسماعيل سليم وفتيحة تلاحيت ،"ما الغرب ؟ فرضية متشائمة"،مراجعات في نظرية صراع
الحضارات، ترجمة: محمد معتصم، إشراف: المصطفى الشاذلي
و ليزا غارون،
(الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة ، ط1 ، 2005) .

4 - إمام محمد كمال الدين، مصطلح تعارف الحضارات رؤية إسلامية حوار مع زكي الميلاد.
(الإسكندرية: مؤتمر تعارف الحضارات، 2011).

5- رسائل الماجستير:

1 - المحمداوي،علي عبود مالك، تعارف الحضارات الأطروحة البديل في التعامل مع الآخر،رسالة ماجستير في الفلسفة، إشراف: نبيل رشاد سعيد، (جامعة بغداد، 2007).

ثالثا : المراجع باللغات الأجنبية :

1 – الكتب ومجلات:

1 - Malek Ben Nabi : le problème des idées dans le monde musulman ; Alger ; édition : El byynate, 1990

2-Toynbee Arnold,traduit de l'anglais par Jacques Potin et autres, Paris-Bruxelles, Elsevier, Séquoia, 1975.

3-Many globalization :diversity in the contemporary world, publishing in boston news press, 2009.p154.

4- The American Political, Science Review, Vol. LVII, June 1963, pp.19-406

2 – القواميس و الموسوعات :

1 – Encyclopedia Universalis , groupe 7 . paris . 1996

2 - La Rousse Dictionnaire Encyclopédique .paris . tome 1 , 1999

3- Oxford basic English dictionary, new third edition, Oxford University Press, 2006.

3 – مواقع الأنترنت :

1 - http://www.elmandjara.org/premierguerre

2 - http://www.allatreekh.com/t56006/2006

ملحق :

*موقع الأستاذ الدكتور زكي الميلاد http//www.almilad.org

*جدول بأهم المراسلات عبر البريد الالكتروني، يتضمن ما زودني به الميلاد من مصادر رئيسية، وهي نسخ إلكترونية Wordو Pdf.

التاريخ (اليوم)	الوقت	المرفقات
يوم:الاثنين:06 جوان2011	22سا.34د	ورقة البحث المقدمة في مؤتمر تعارف الحضارات بالأسكندرية
يوم الجمعة:10جوان2011	00س-16د	كتاب:"المسألة الحضارية"،ط2،الصادرة عن مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،بيروت:2008(تحتوي على فصلين جديدين).
يوم الجمعة:01جويلية 2011	02سا.06د	كتاب:"الحوار في القرآن، الرياض،مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني،2010.
يوم:الحد:03جويلية 2011	02سا-50د	الإطلاع على خطة البحث مع تقديم جملة من الملاحظات القيمة،كما سجل استحسانه لما جاء فيها من عناصر
يوم الأربعاء:08جويلية 2011	02سا-37د	استفسر عن جملة الأسباب الداعية إلى اختيار الميلاد"نموذجا"
يوم:الأربعاء:03أوت2011	00سا-57د	رسالة الماجستير:حول تعارف الحضارات، إعداد الطالب علي عبود مالك المحمداوي،جامعة بغداد 2007.
يوم الخميس:04أوت2011	03سا-11د	كتاب:"نحن والعالم،،ط2، 2005.
يوم الأربعاء:24 أوت 2011	14سا-50د	كتاب:"المسألة الثقافية،ط2،2010(بيروت:مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي)
الاثنين:20 فيفري 2012	15سا-02د	كتاب:الإسلام والعولمة(بيروت:مؤسسة الانتشار العربي 2010).
الجمعة:24فيفري 2012	00سا-51د	كتاب":نحن والعالم"،ط2، وهي طبعة لم تصدر بعد،لكن بعض أجزاء فصولها منشورة على موقعه وهي نسخة خاصة.
السبت:07أفريل 2012	23سا-52د	السيرة الذاتية لزكي الميلاد.
الأحد:08أفريل 2012	16سا-02د	ورقة الدكتور إمام محمد كمال الدين مصطلح تعارف الحضارات رؤية إسلامية حوار مع زكي الميلاد.

ملخص الرسالة :

تعنى هذه الدراسة بشكل العلاقة بين الحضارات، حيث اختلفت المواقف وردود الأفعال على تصور واقعي يرصد طبيعة هذه العلاقة ،في أعقاب جملة التغيرات التي شهدها العالم برمته نهاية القرن العشرين. على إثر التغير الحاصل في البنى الايديولوجية السائدة و المسيطرة آنذاك والذي انعكس بدوره على مختلف الأصعدة سياسيا ،اقتصاديا ،اجتماعيا وحتى ثقافيا وحضاريا.

وضمن هذا السياق حاولنا معالجة هذا الموضوع من خلال رؤية معاصرة قدمها الباحث و المفكر السعودي زكي الميلاد، حيث طرح طرحا جديدا ومغايرا استنادا إلى منظومتنا التراثية الإسلامية تجسد في نظرية تعارف الحضارات وهي أطروحة خلاّقة ومبدعة قامت على أساسين متكاملين:

الأول :نقدي تبلور في النقد المنهجي والبناء الذي وجهه الميلاد لجملة المقولات الرائجة والمتمثلة في صدام الحضارات وحوار الحضارات اللذين ينتميان إلى المجال الغربي ويتحددان به،بالإضافة إلى ظاهرة العولمة التي استحوذت على أوسع اهتمام عالمي وهنا أراد الميلاد أن يبرز الرؤية الإسلامية للعولمة من خلال عالمية الإسلام .

الثاني :تأسيسي تجسد في دراسة ما أسماه الميلاد بآية التعارف ، مستنبطا منها العناصر التجزيئية والتركيبية المقومة لنظرية التعارف، والتي من أهدافها التخلص من رواسب الصدام والوصول بنا إلى حوار الحضارات . وبهذا تحدد مفهوم التعارف في التواصل الكوني والانفتاح العالمي على مستوى الأمم والحضارات وربط هذا المفهوم بوحدة الأصل الإنساني وبقاعدة تنوعه وأكرمية التقوى .

Résumé du mémoire :

Ce mémoire se propose d'étudier la nature de la relation entre les civilisations. Etant donné que les positions et les réactions divergent quant à une conception réaliste déterminant la nature de cette relation, après les changements qu'a connus le monde, à la fin du 20ème siècle, et suite au bouleversement des structures idéologiques dominantes jusqu'à lors. Ceci s'est répercuté, à son tour, sur divers plans, politique, économique, sociologique et même culturel et civilisationnel.

Et dans cet ordre, nous avons essayé de traiter le sujet à travers une vision moderne, basée sur notre Patrimoine islamique, proposée par le Chercheur et Penseur Saoudien Zaki El Milad. En effet, il a proposé une thèse novatrice et créative basée sur deux fondements :

Le premier : critique, axé sur une critique méthodologique et constructive qu'El Milad a dressée à l'ensemble des idées dominantes représentées par le choc des civilisations, et le dialogue de civilisations, deux notions qui appartiennent au monde occidental et se déterminent par lui. Sans oublier le phénomène de la mondialisation qui accaparait le plus large intérêt mondial : le penseur saoudien a voulu mettre en exergue la vision islamique de la mondialisation à travers l'universalité de l'Islam.

Le deuxième : fondamental, représenté par ce qu'il a nommé « *le verset de la connaissance* », en déduisant les éléments partitifs et synthétiques de la théorie de la connaissance et qui vise entre autres de se débarrasser des résidus de l'affrontement et arriver ainsi au dialogue des civilisations. A partir de là s'est définie la communication universelle et l'ouverture mondiale au niveau des nations et des civilisations et la liaison de cette notion avec l'unité de l'origine de l'homme et avec la règle de sa diversité.